

# السياسة الشرقية للأمبراطور رينالدينز

في القرن السادس الميلادي  
«عصر جوستينيان»

دكتور محمد فتحي الشاعر  
كلية الآداب - جامعة المنوفية



الهيئة العربية العامة للكتاب

١٩٨٩



الاخراج الفني : محمد قطب

---

الآلاف : اسامه سعيد

# تقديم

يمثل عصر جوستينيان فترة تاريخية في التاريخ الروماني المتأخر أو البيزنطي الباكر ، ذات خصائص مميزة ، جعلت حتمية البحث في تاريخ هذه الفترة بالتفصيل أمرا لا مندوحة عنه لمن يشاء دراسة التاريخ البيزنطي .

وأما تحديد الجانب الشرقي في السياسة البيزنطية ، فمرجه بداية ظهور المسحة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عصر جوستينيان . وبالرغم من أن الامبراطور بذل جهودا مضنية في حركته الاستردادية ، فإنه لم يغض طرفه عين عن الجزء الشرقي من الامبراطورية بسواء في الداخل ، أم فيما يتعلق بالشعوب المحيطة بالحدود الشرقية للقسم الشرقي من الامبراطورية ، وما تحقق من نجاح الدبلوماسية الرومانية في عصره .

لذلك اختص الفصل الأول بدراسة أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستينيان ، في الداخل والخارج موضحا كيف كان الصراع على السلطة ، أحد العوامل الرئيسية في تدهور الأحوال في الداخل ، وطمع الأعداء المحيطين ، والذين تربصوا بها الدوائر ، حتى عانت الدولة من ويلات الحروب الأهلية من ناحية ، والحركات الانفصالية في الشرق والغرب على حد سواء من ناحية ثانية . وزاد الطين بلة تحول الخلافات المذهبية الى عداوة مستحكم ساعد على ظهور النعرات القومية في الأقاليم الشرقية بصفة خاصة . وأدهى من ذلك وأمر حدوث الانشقاق للمرة الأولى بين القسطنطينية والبابوية في تلك الفترة بسبب الصراع على الزعامات الدينية التي اتخذت الخلافات في الآراء المذهبية قناعا لها .



وتحدث الفصل الثانى عن جوستينيان والامبراطورية العالمية ،  
وتناولت فيه الامبراطور جوستينيان فى عهد خاله جوستين ، وركزت فيه  
على الخلفية الأيدولوجية لسلطة جوستينيان الامبراطورية ، وعن نظرية  
المسيئة الالهية وايمان جوستينيان الشديد بفكرة الامبراطورية العالمية .

أما الفصل الثالث فيتحدث عن انجازات جوستينيان الداخلية فى  
الادارة ، والتشريع ، والعمارة ، والشئون المالية .

ويتحدث الفصل الرابع عن اقامة جوستينيان الكنيسة العالمية .  
وتناولت فيه نجاحه فى اعادة الاتحاد المذهبى مع روما ، ومواقف  
الامبراطور جوستينيان من الطوائف التى لاتدين بمذهب الدولة ، وعلى  
رأسها الطائفة التى تؤمن بمذهب الطبيعة الواحدة ، ومواقفه من اليهود  
عامة ، والطائفة اليهودية المعروفة بالسامرة بصفة خاصة ، وموقفه من  
الوثنية وجهوده اللاهوتية التى انتهت بعقد مجمع القسطنطينية الخامس  
٥٥٣ م ، وأنهيت الفصل بالتحدث عن جوستينيان والقيصرية البايوية .

أما الفصل الخامس فيتحدث عن سياسة جوستينيان تجاه شعوب  
الحدود الشرقية وتناولت فيه الدبلوماسية الرومانية فى عصر جوستينيان .  
وموقف جوستينيان من عرب الحدود ، وسياسته تجاه البحر الأحمر  
ودولتي الحبشة واليمن . وكذلك سياسته تجاه شعوب البحر الأسود  
وشبه جزيرة القرم ، ثم موقفه من الآفار .

على أنى أفردت قسما خاصا بالفرس فى هذا الفصل ، وأوضحت  
طبيعة الصراع الرومانى الفارسى ، والصراع بين القوتين العظيمين على  
مناطق النفوذ عامة ، والمنطقة القوقازية خاصة ، واقليم لازيقا على وجه  
الخصوص . وكذلك تحدثت عن معاهدتى السلام بين الفرس والرومان فى  
عصر جوستينيان : الأولى ٥٣٢ م ، والثانية ٥٦٢ م ، والحروب الطاحنة  
التي حدثت قبل عقد هاتين المعاهدتين ، وكيف أن جوستينيان ظل يعمل  
دائما على شراء السلام من الفرس بهدف التفرغ لاستكمال حركته  
الاستردادية .

وأنهيت البحث بملاحق يهدف القاء الضوء ، على عدة جوانب من  
نواحي الحياة فى عصر جوستينيان سواء فى الداخل أو الخارج . ونظرا  
لشدة أهمية الخلافات الدينية قبيل عصر جوستينيان تضمنت الملاحق  
نص منشور الامبراطور باسيليسكوس المؤيد لاتيساع مذهب الطبيعة  
الواحدة ، ثم منشوره المضاد عندها انقلب عليهم .

ولأهمية ما كان يدور في فكر المعاصرين للامبراطور جوستينيان ،  
أوردت نص النصائح التي تقدم بها أجاييتوس للامبراطور جوستينيان ،  
كما تضمنت الملاحق نص القسم الذي ألزم جوستينيان به حكام الأقاليم  
وحرص على ضرورة تلاوتهم له قبل اعتلائهم المنصب حتى يلتزموا  
بسياسته الداخلية في إدارة شئون الامبراطورية .

وحرصت على ذكر نصين عن المسائل المهمة التشريعية ، اذ ليس  
من المقبول أن يكون جوستينيان « امبراطورا مشرعا » دون ذكر نص  
كلمته الى طلبة الدراسات القانونية والتي ورد بها الكثير عن ملامح  
سياسة جوستينيان العامة في الداخل والخارج ، أو دون أن أذكر خطة  
العمل لاصدار الديجست التي حافظت على التراث القانوني الروماني .

وطالما كان جوستينيان يهيم بالامبراطورية العالمية حتى أنه رمز الى  
ذلك بالنمط الجديد التي أقام به تمثاله الضخم المعبر عن هذا المفهوم ،  
كما ذكر مؤرخ العصر والقصر ، بروكوبيوس ؛ لذلك وجدت من المناسب  
أن أقدم وصفا للتمثال من واقع المصدر الأصلي الوحيد .

واستحوذ الفصل الرابع على نصيب الأسد فيما يتعلق بالملاحق .  
فذكرت رسالة الأساقفة أتباع مذهب الطبيعة الواحدة الى جوستينيان عند  
محاويلته كسبهم الى صفه ، ثم ذكرت النوفلا التي أصدرها ضد أقطابهم  
عندما قلب لهم ظهر المجن .

ولما كان جوستينيان شهيد الاهتمام بالنواحي الدينية ؛ لذلك  
ذكرت القوانين ( النوفلات ) التي أصدرها ضد اليهود والسامريين ،  
وعن الرهبان وحياتهم ، وكذلك آخر نوفلاته ضد الطوائف الدينية  
المسيحية التي لاتدين بمذهب الدولة ، واختتمت ملاحق الفصل الرابع  
بنصوص قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣ م .

وتنتهي الملاحق بذكر نصوص معاهدتي الفرس والروم في  
عصر جوستينيان الأولى عرفت باسم معاهدة السلام الدائم والتي عقدت  
سنة ٥٣٢ م ، والثانية عرفت باسم معاهدة الخمسين عاما ، وعقدت  
سنة ٥٦٢ م لما لهما من أهمية كبرى من جميع النواحي سواء أكانت  
سياسية أم اقتصادية ، أم دبلوماسية ، ولا سيما المعاهدة الثانية التي  
وردت بها تفصيلات تستحق الوقوف عندها ، وتوضح المستوى الراقى  
الذي وصل اليه الفكر البشرى في تلك العصور التي يدعى البعض أنها  
كانت عصور ظلام وتخلف .

ويجدر بي أن أرجع الفضل لأهله ، فاتوجه بالشكر الى أستاذي  
الفاضل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ تاريخ العصور  
الوسطى ، وصاحب مدرسة العصور الوسطى في العالم العربي ، والأستاذ  
الدكتور حسنين محمد ربيع ، والأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم ،  
والأستاذ الدكتور رأفت عبد الحميد محمد والأب منصور مستريح رئيس  
دير الآباء الفرنسيسكان بالقاهرة فلولا مساعداتهم وتشجيعهم لما خرج  
البحث بهذه الصورة .

واني لعلّ يقين أن كلمات تتلى في محراب الشكر والعرفان غير  
كافية ، غير أن قلّمي لا يملك سسواها وان كان قلبي يحمل لهم بين  
ثناياه الكثير .

وأخيرا فاني أقدم هذا الجهد وكلّ أمل أن يوفقني الله الى اسهامه  
جديدة في ميدان التاريخ البيزنطي .

**والله ولي التوفيق .**

**بورسعيد في ١٣/٦/١٩٨٧م**

**دكتور محمد فتحي الشاعر**

## دراسة لأهم مصادر الكتاب

- المصادر اليونانية

- المصادر اللاتينية

- المصادر السريانية

- النصوص التشريعية

- المصادر العربية

## دراسة لأهم مصادر الكتاب :

نظرا لتعدد الموضوعات التي يعالجها هذا البحث ، فقد أصبح لزاما على الباحث أن يعتمد في دراسته على المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية والنصوص التشريعية باللغة اللاتينية ، ثم أقدم المصادر العربية ، هذا بالإضافة الى نصوص الخطابات المتبادلة بين جوستنيان والبايوية باللغة اللاتينية وتحليل مادتها التاريخية لخدمة موضوع البحث وبهدف الوصول الى الاطار العام للسياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عصر جوستنيان .

## أولا - المصادر اليونانية ( البيزنطية ) :

اعتمد الباحث على ثيودور القارى Theodore Lector في كتابه التاريخ الكنسى Ecclesiastical History وThiodor من المصادر المعاصرة لعهد جوستين اذ أنه عاش في النصف الأول من القرن السادس للميلاد . وكان يعمل قارئاً في كنيسة الحكمة المقدسة ( أيا صوفيا ) . وما ورد في تاريخه الكنسى من معلومات جعلته في مقدمة المصادر الأساسية للبحث ، وبخاصة في الفترة التي سبقت انفراد جوستنيان بالسلطة . ويبدأ تاريخه الكنسى سنة ٣٢٣ وينتهي سنة ٥٢٧ م .

ويتكون التاريخ الكنسى لثيودور من قسمين القسم الأول ( في أربعة كتب ) وهذا القسم مجرد نقل حرفي لكتابات المؤرخين الكنسيين ، سوقراط Socrates وسوزومينوس Sozomenos وThiodoret (١) .

واعتمد الباحث على القسم الثاني من التاريخ الكنسى لثيودور ، الذى يتكون من كتابين : الكتاب الأول يبدأ من عهد ثيودوسيوس الثانى ( ٤٠٨ - ٤٥٠ م ) ، والكتاب الثانى ويبدأ من عهد أنستاسيوس حتى بداية انفراد جوستنيان بالسلطة . وقد استفاد الباحث كثيرا ، ولاغنى عن هذا التاريخ لمن يشاء أن يبحث في تاريخ تلك الفترة ولاسيما ان ثيودور كان معاصرا لأحداثها كما مال الى الإيجاز في عهد جوستين اذا ما قورن بما قدمه من مادة علمية في عهد أنستاسيوس .

---

A. A. Vasiliev, Justin the First, (Cambridge, 1950), p. 11.

(١)

ومن المصادر اليونانية والمعاصرة للإمبراطور جوستينيان حولية حنا مالالاس John Malalas ، والذي بدأ حويلته منذ بداية العالم حتى سنة ٥٥٧ م . وهذه الحولية Chronographia من المصادر المهمة لفترة البحث ، وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الشرقية للإمبراطورية الرومانية مع شعوب حدود القسم الشرقي للإمبراطورية سواء مع شعوب شرق البحر الأسود أو الفرس أو الحبشة أو اليمن ، هذا فضلا عن دراسة الأحوال الداخلية للإمبراطورية وبخاصة ثورتى السامريين فى عصر جوستينيان (٢) ، واستفاد الباحث من نصوص المراسلات التى ذكرها حنا مالالاس بين قباذ ملك الفرس والإمبراطور جوستينيان (٣) . وكذلك المراسلات التى دارت بين ملك الحبشة وذى نواس ملك اليمن (٤) . كما انفرد حنا مالالاس بذكر السفارة التى أرسلها جوستينيان الى ملك الحبشة سنة ٥٣١ م ، وقدم وصفا شيقا للقاء الذى تم بين ملك الحبشة والوفد الرومانى مؤكدا على نجاح هذا الوفد فى مهمته وذاكرا أنه استقى هذه المعلومات من أحد أعضاء الوفد الرومانى الذى زار الحبشة (٥) .

وعلى أية حال فإن حولية حنا مالالاس لاغنى عنها للباحث فى عصر جوستينيان لما بها من معلومات قيمة .

أما المؤرخ بروكوبيوس Procopius فهو مؤرخ العصر والقصر ، وهو المصدر الأول والأساسى لعدة جوانب من البحث وبخاصة الجوانب الدبلوماسية والحربية والمعمارية ، وبعض نواحي الحياة العامة فى عصر جوستينيان .

كتب بروكوبيوس أعماله كشاهد على العصر ، بحكم موقعه كمستشار قانونى لازم بليزاريوس Belisarius - أعظم قادة جوستينيان طوال عصره - فى كل خطواته فى القسم الشرقى للإمبراطورية ، وكذلك فى القسم الغربى منها إبان الحركة الاستردادية .

بدأ بروكوبيوس أعماله بكتبه « عن الحروب » اثنان منها عن الحروب الفارسية ، واثنان عن الحروب ضد الوندال ، وأربعة كتب عن الحروب القوطية . وقد استفاد الباحث كثيرا من الكتابين الخاصين

Malalas, Chronographia pp. 445-447, pp. 486-487. (٢)

Ibid, pp. 449-450. (٣)

Idem, p. 433. (٤)

Malalas, Op. cit., pp. 457-458. (٥)

بالحروب الفارسية بشكل أساسي ، ومن باقى الكتب الأخرى وفقا لما تطلبه البحث . والواقع أن بروكوبيوس قدم مادة علمية غزيرة وكتب بالتفصيل الى حد أنه فاق المؤرخ حنا مالاناس فى هذا المجال . كما لاحظ الباحث أن بروكوبيوس صار مصدرا لمن جاء بعده من المؤرخين الذين كتبوا عن عصر جوستينيان فى أواخر القرن السادس ، كما فعل ايفاجريوس Evagrius أو فى القرون التى تلت القرن السادس الميلادى كما سيظهر فى دراسة باقى المصادر .

على أن بروكوبيوس توقف عند سنة ٥٥٢ م فى كتبه الثمانية « عن الحروب » وأفاد الباحث أعظم فائدة من الكتاب الضخم عن « الانشاءات المعمارية » للمؤرخ بروكوبيوس ، حيث تضمن هذا العمل القيم ستة كتب جعلت منه سجلا فريدا ونادرا عن حركة البناء والتعمير سواء فى المجال الدينى أو الحربى أو الاجتماعى . وصدر كتاب بروكوبيوس « عن الانشاءات المعمارية » سنة ٥٦٠ م بناء على ايعاء من الامبراطور جوستينيان ، لذلك مال بروكوبيوس الى اتباع أسلوب الاطراء بشكل واضح .

غير أن بروكوبيوس كان قد أصدر كتابا سنة ٥٥٠ م وكتبه بقصد الا ينشر فى عهد جوستينيان والمعروف باسم « التاريخ السرى » The Secret History وهو كتاب استفاد منه الباحث كثيرا لما به من مادة علمية غاية فى الأهمية ، اذا ما استثنينا هجوم المؤلف اللاذع على جوستينيان وزوجته الامبراطورية ثيودورا ، وبشكل حمل الباحث على القول بأن ما قاله بروكوبيوس عن جوستينيان إنما هو أمر مبالغ فيه ، لا سيما بعد أن سجل بروكوبيوس على نفسه بأنه بالغ فى التقديرات مرتين على الأقل : فهل يعقل أن جوستينيان قتل من السامريين مائة ألف نسمة سنة ٥٢٩ م ١٩ (٦) وأنه قتل من أهالى شمال أفريقيا خمسة ملايين نسمة ١١٩ ، وأنه قتل طوال حكمه مليون مليون نسمة ١١٩ (٧) .

على أية حال ، لاغنى للباحث فى عصر جوستينيان عن هذا الكتاب ، بالرغم مما به من مبالغات عديدة ، وأمور قتم عن الحقد الأسود ، والكراهية العمياء .

ومن المصادر اليونانية التى رجع اليها الباحث كتاب « التاريخ »  
Historiarum مؤلفه أجاثياس Agathias (٥٣٦ - ٥٨٢ م)

بدأ أجاثياس تاريخه سنة ٥٥٢ م وانتهى بسنة ٥٥٨ م . وهو من أهالي آسيا الصغرى وولد في بلدة مايرينا Myrina ، التي تقع بالقرب من سمايرينا Smyrina ( وهي أزمير حاليا ) ، ولاتبعد عنها سوى عشرين ميلا تجاه الشمال . (٨) ودرس القانون في الاسكندرية ، في الفترة ما بين ٥٥١ - ٥٥٥ م ، وذلك لأن مدرسة القانون الشهيرة في بيروت كانت قد دمرها الزلزال سنة ٥٥١ م (٩) .

والمؤرخ أجاثياس قدم معلومات مهمة استفاد منها الباحث تتعلق بالشعوب التي تعيش شرق وشمال شرق البحر الأسود ، وهي التي تقع في نطاق الشعوب المجاورة للحدود الشرقية للإمبراطورية ، ومن هنا تبدو أهميته لموضوع البحث . كما تناول أجاثياس الحوادث التاريخية في إيطاليا ( ٥٥٢ - ٥٥٨ م ) وكذلك هجمات الفرنجة على إيطاليا .

واستفاد الباحث من أجاثياس لأنه تحدث عن الجانب الحربى في المنطقة القوقازية وما بها من اقليم لازيقا الذي له أهمية استراتيجية للفرس وللروم على حد سواء وانتقل أجاثياس الى مدينة القسطنطينية ، وإعادة بناء كنيسة الحكمة المقدسة ( ايا صوفيا ) على أثر زلزال سنة ٥٥١ وأخيرا استعان الباحث بكتاب أجاثياس في دراسة دور بليزاريوس في التصدى لهجوم قبائل الهون على العاصمة سنة ٥٥٨ م . وهكذا أكمل أجاثياس فترة زمنية مهمة من تاريخ عصر جوستنيان اذ بدأ حيث انتهى بروكوبيوس واستعان الباحث بالمؤرخ ميناندر Menander في كتابه Excerpta de legationibus Romanorum ويتميز ميناندر بأنه بدأ من حيث انتهى أجاثياس اذ بدأ بسنة ٥٥٨ م وانتهى بسنة ٥٨٢ م . وهو من أهالي القسطنطينية ودرس القانون .

وتعود أهمية ميناندر للباحث أنه المصدر الوحيد الذي ذكر نصوص معاهدة السلام مع الفرس سنة ٥٦٢ م حيث كتب بالتفصيل عن جلسات المفاوضات التي سبقت التوقيع على هذه المعاهدة . وذكر أنه اعتمد على أحد أعضاء الوفد الرومانى الذى اشترك في تلك المفاوضات . كما أن ميناندر لاغنى عنه فيما يتعلق بالفترة الأخيرة من حكم جوستنيان . كما

Ure, Justinian and His Age, p. 184.

(٨)

Ronald, «On the Early Career of Agathias Scholasticus»,  
Revue de, Etudes Byzantines, Tome XXVIII, (Paris, 1970),  
p. 141, 144, 1٢0.

(٩)



أنه مصدر مهم للجوانب السياسية والدبلوماسية والحربية لعهدى  
جوستين الثاني وتيبريوس (١٠) .

من أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث المؤرخ ايفاجريوس  
Evagrius وكتابه تاريخ الكنيسة ، قسم ايفاجريوس كتابه الى ستة  
كتب بدأها الحوادث التاريخية لمجمع افسسوس ٤٣١ وانتهى بسنة  
٥٩٣ م (١١) .

ولد ايفاجريوس في سوريا حوالي سنة ٥٣٦ م واشتغل بالمحاماة  
في أنطاكية ثم صار مستشارا قانونيا للبطريرك جريجورى Gregory  
بطريرك أنطاكية ( ٥٧٠ - ٥٩٣ م ) . (١٢) ويبدو أن عمله مع البطريرك  
جريجورى مكنه من أن يكون على معرفة بالشئون العلمانية والكنيسة ،  
كما كان في وضع يسمح له بالاطلاع على الوثائق والمستندات  
الرسمية (١٣) . لذلك كله جاء تاريخ ايفاجريوس سجلا حافلا بالتاريخ  
الكنسى والتاريخ العام على حد سواء . وقدم ايفاجريوس حقائق مفيدة  
عن المعلومات التاريخية التي ذكرها من سبقه من المؤرخين . كما استفاد  
الباحث كثيرا من كتاب ايفاجريوس في الفترة الزمنية للبحث والفترة  
السابقة لها مباشرة .

اعتمد ايفاجريوس على المصادر السابقة بالنسبة للفترات التاريخية  
التي لم يعاصرها . (١٤) وذكر منها المؤرخ أيوستاثيوس Eustathius  
الذي قال عنه ايفاجريوس أن تاريخه انتهى عند سنة ٥١٣ م وذكر أنه  
خير من كتب عن الحروب الفارسية الرومانية في عهد أنستاسيوس (١٥) .

وفيما يتعلق بالفترة الزمنية المتعلقة بالبحث فقد اعترف ايفاجريوس  
بأنه استقى معلوماته من عدة مصادر منها ، الرجال المعمرين ، (١٦) ومن  
المؤرخ الكنسى زكريا المثيليني . (١٧) وكذلك من المؤرخ بروكوبيوس

- 
- Baldwin, «Menander Protector», Dumbarton Oaks Papers (١٠)  
No. 32, (New York, 1978), pp. 101-111.  
Evagrius, History of the Church, pp. 371-372 : (١١)  
Ibid, p. 254. (١٢)  
Downey, A History of Antioch in Syria, (Princeton, 1961). (١٣)  
p. 43.  
Evagrius, Op. Cit., p. 366. (١٤)  
Evagrius, Op. Cit., pp. 364-365. (١٥)  
Ibid, p. 371. (١٦)  
Ibid, pp. 343-346, 350-357. (١٧)

(١٨) ، هذا بالإضافة الى ما شاهده بنفسه ، وما سمعه كشاهد عيان للفترة الزمنية للبحث وما بعدها حتى سنة ٥٩٣ م .

رجع الباحث لكتاب « جولية الفصح » Chronicon Paschale ومؤلف هذا الكتاب مازال مجهولا . ويتحدث الكتاب عن الحوادث التاريخية منذ آدم حتى سنة ٦٢٩ م . ومن الواضح أن كاتب هذه الجولية نقل عن غيره من المصادر السابقة على عصره - وبالنسبة للفترة الزمنية للبحث ، قدمت هذه الجولية معلومات مفيدة ، ولاسيما أنها تميزت عن غيرها من المصادر بذكرها نصوص قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣ م .

رجع الباحث للمصادر اليونانية التي صدرت بعد الفترة الزمنية للبحث أولها ثيوفانس Theophanes وهو من مؤرخي القرن التاسع للميلاد وكتابه من الجوليات المهمة .

وان كان قد اعتمد على ثيودور القاري وحنا مالالاس بالنسبة للفترة الزمنية للبحث (١٩) . وعلى أية حال ، فقد استفاد الباحث من ثيوفانس لما قدمه من معلومات في عدة مواضيع من مواضيع البحث .

والمؤرخ جورج كدريينوس George Cedrenus من مؤرخي القرن الحادي عشر ، وكتابه « التاريخ المختصر » Historiarum Compendium بدأه منذ آدم حتى سنة ١٠٥٧ م . ومن الواضح أنه اعتمد على مصادر سابقة . غير أنه لم يذكر سوى بروكوبيوس كأحد المصادر التي رجع إليها في عصر جوستنيان (٢٠) وكتابه تناول فيه عدة جوانب في تاريخ الامبراطورية منها السياسي والديني والحربي .

أما المؤرخ حنا زوناراس Johannes Zonaras وكتابه « الموجز في التاريخ » Epitome Historiarum اعترف أنه رجع للمؤرخ بروكوبيوس في عصر جوستنيان (٢١) . وتاريخ زوناراس يبدأ منذ

---

Idem, pp. 396-397, 401-406. (١٨)

Vashtiev, Justin the First, p. 14. (١٩)

Cedrenus, Historiarum Compendium, Tomus, Prior, p. 649. (٢٠)

Zonaras, Epitome Historiarum, p. 170. (٢١)

بدء الخليقة حتى سنة ١١١٨ م . ولاحظ الباحث أن تاريخه يميل الى  
الايجاز كما يبدو أنه نقل عن مصادر ليست معروفة حاليا (٢٢) .

(٢٢) فيما يتعلق بالفترة الزمنية للبحث ، لاحظ الباحث أن زوناراس هو المؤرخ الوحيد الذي أورد العبارة التالية على لسان جوستين « حذار من أن يخالو أي شاب ارتداء هذا الزي » . انظر: Zonāras, Op. Cit., p. 150.

## ثانياً - المصادر اللاتينية :

من بين كتاب الحوليات اللاتين وأعظمهم أهمية ماركيلينوس كوميز Marcellinus Comes الذى عاش وكتب فى القسطنطينية فى عصر جوستينيان . وكان الليريا ، وعمل فى وظيفة السكرتير الأول للامبراطور جوستينيان قبل اعتلائه لعرش الامبراطورية وظل على علاقة وثيقة بالامبراطور بعد اعتلائه للعرش (١) ، لذلك تعتبر حوليته من المصادر المهمة ، فضلاً عن أنها غطت الفترة ما بين ٣٧٩ - ٥٦٦ م . على أن ماركيلينوس يتميز بالإيجاز عند تقديمه للمعلومات ، كما تتركز حوليته على الجانب السياسى فى القسمين الشرقى والغربى من الامبراطورية . ولا حظ الباحث أن ماركيلينوس لم يذكر شيئاً عن الحروب فى عهد جوستين .

ورجع الباحث الى حولية الأسقف فيكتور التونسى Victor Tununensis الذى كان معاصراً للامبراطور جوستينيان ، وكان أسقفاً فى شمال أفريقيا . وتم ارساله الى المنفى لأنه اتخذ موقفاً يتعارض مع جوستينيان بالنسبة لموضوع الفصول الثلاثة . وكتب فيكتور حوليته ابان وجوده فى المنفى وغطت الفترة ما بين ٤٤٤ الى ٥٦٦ م (٢) . غير أن حولية فيكتور تميل الى الإيجاز وجاء معظمها عن الحوادث التى وقعت فى القسطنطينية بالإضافة الى بعض الملاحظات المختصرة عن الشئون الكنسية فى الامبراطورية بصفة عامة ، وكذلك عن وفاة الملك الوندالى ترازاموند Trasamund (٤٩٦ - ٥٢٣ م) .

ورجع الباحث للشماس القرطاجى لبراتوس Carthaginian deacon Liberatus وكتابه « المختصر أو الموجز » Breviriums الذى صنفه فيما بين ٥٦٠ - ٥٦٦ م . ويغطى الفترة التى تم فيها التصنيف . ومال المؤرخ الى مذهب الطبيعيتين ويعتبر كتابه من المصادر المهمة المتعلقة بتاريخ الخلافات الكنسية فى القرنين الخامس ، والسادس ، وكذلك عن ساويرس بطريرك أنطاكية والخلافات الدينية فى الاسكندرية (٣) .

Vasiliev, Justin the First, p. 19.

(١)

Ibid, pp. 19-20

(٢)

Vasiliev, Op. Cit., pp. 21-22.

(٣)

كما اعتمد الباحث على « مجموعة أفيلانا » Collectio Avellana للوقوف على الاتجاه العام لسياسة جوستينيان الدينية . واستفاد الباحث كثيرا اذ أنها تعتبر كنزا نفيسا ، لما بها من معلومات عن العلاقات بين روما والقسطنطينية في المجال الديني .

على أن اسم أفيلانا غير موجود الآن ، وهو الذي تنسب إليه هذه المجموعة منذ القرن الثامن عشر للميلاد على يد الأخوين العالمين بولينيري Balleniri ، لأن هذه المجموعة كانت في بداية أمرها ملكا لدير القديس كروكيز St. Crucis الذي كان موجودا في Fonte Avellana in Umbria (Italy) . ويجب حاليا أن تحمل هذه المجموعة اسم « مخطوطة الفاتيكان رقم ٣٧٨٧ » .

The Collection of the Vatican manuscript 3787.

يبد أن العلماء استمروا في استعمال اسمها القديم الذي اشتهرت به (٤) .

### ثالثاً - المصادر السريانية :

أقدم المصادر السريانية التي اعتمد عليها الباحث حوليات يوشع العمودي Joshua the Stylite وهو من أهم المصادر التي عالجت أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستنيان وبخاصة أنه عاصر الحوادث التاريخية حتى سنة ٥٠٧ م .

كان يوشع العمودي قسا في دير زوحنين Zuhinin بالقرب من أمد ( ديار بكر حالياً ) . وكتب هذه الحولية بناء على طلب سيرجيوس Sergius رئيس أحد الأديرة في منطقة الرها (١) .

واستفاد الباحث كثيرا من حولية يوشع عند البحث في عهدي زينون وأنستاسيوس وبخاصة أن يوشع بدأ بعهد زينون (٢) وانتهى في كتابة حوليته في الثامن والعشرين من نوفمبر ٥٠٦ م (٣) .

اعترف يوشع في حوليته أنه جمع مادته التاريخية من بعض الكتب القديمة ( وإن كان لم يذكر أسماء هذه الكتب ) ، ومن مقابلاته مع الذين قاموا بدور السفراء بين الفرس والرومان ، ومن الذين عاصروا الحوادث التاريخية (٤) .

أفادت حولية يوشع العمودي في معرفة العلاقات الرومانية الفارسية في عهد زينون ، والأحوال الداخلية في الامبراطورية إبان استيلاء باسيليسكوس على العرش والحركة الانفصالية التي ترتب عليها إعلان الامبراطورية في أنطاكية (٥) . كما كانت حولية يوشع أول المصادر التي تحدثت عن إلغاء أنستاسيوس « ضريبة التجارة » Chrysarguron (٦) وكذلك عن الحروب الفارسية الرومانية ( ٥٠٢ - ٥٠٣ ) التي قدمها بالتفصيل (٧) .

---

Joshua, Chronicle, p. IX.

(١)

Ibid, p. 7.

(٢)

Idem, p. 75.

(٣)

Joshua, Op. Cit., p. 17.

(٤)

Ibid, pp. 7-11.

(٥)

Ibid, p. 22.

(٦)

Idem, pp. 38-75.

(٧)

ومن أقدم المصادر السريانية التي اعتمد عليها الباحث « كتاب الحميريين » The Book of the Himyarites والذي ظل كمخطوطة حتى سنة ١٩٢٤ م ثم قام المستشرق السويدي أكسل موبرج Axel Moberg بترجمتها الى اللغة الانجليزية . وهذه المخطوطة مجهولة المؤلف . ونسخها القس اسطيغان بن متى في هيكل القديس مارتوما في حصن يوم الثلاثاء الموافق العاشر من يناير سنة ٩٣٢ م (٨) . وكتاب الحميريين هذا من أهم المصادر السريانية وأقدمها إذ يبدو أنه كتب بعد سنة ٥٢٥ م بفترة وجيزة ، كما أن مؤلفه اعتمد على ما سمعه من شهود عيان للحوادث هناك . وتضمن كتاب الحميريين معلومات قيمة عن بلاد اليمن وعن اليهودية والمسيحية بها ، وعن حروب الحبشة هناك . كذلك عن اضطهاد الحميريين للمسيحيين وبخاصة في عهد مسروق ( ذو نواس ) في مدن ظفار ونجران وحضرموت ومأرب ثم الرسالة التي أرسلها ذو نواس الى المنذر أمير الحيرة ضد المسيحيين هناك . ويفهم من هذا الكتاب أن اليمن كان بها يهود ونصارى بالإضافة الى بقاء الوثنية بها .

ومن المصادر السريانية المهمة حولية زكريا الميلىنى Zachariah of Mitylene ( ت ٥٦٨ م ) . واعتمد الباحث على حولية زكريا في النصوص الدينية قبيل عصر جوستنيان وكذلك طوال عصر جوستنيان وتعود أهمية حولية زكريا الى أنه لم يقتصر على النواحي الدينية فحسب وإنما امتدت الحولية لتشمل أحوال الامبراطورية الداخلية في بعض النواحي . ففي عهد زينون ذكر ثورة الأيسوريين وظهور فيتاليان على مسرح الأحداث الداخلية في عهد انستاسيوس وكذلك الحرب اليونانية الفارسية .

وأفادت حولية زكريا الباحث بالنسبة لعصر جوستنيان لأنها قدمت معلومات عن الحروب مع الفرس واسترداد شمال أفريقيا وإن كان ذلك بشئ من الإيجاز وقدم زكريا تفاصيل ما فعله ذو نواس باليمن هذا بالإضافة الى الأحوال الدينية بالامبراطورية من وجهة النظر المونوفيزيتية لأن زكريا كان يؤمن بمذهب الطبيعة الواحدة .

أما حولية ميخائيل السرياني ، فهي إحدى المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الباحث الى حد كبير لأن ميخائيل تناول في حوليته جوانب

(٨) أغناطيوس يعقوب الثالث ( بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ) ، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، دمشق ١٩٦٦ م ، ص ٩٦ .

متعددة قبيل عصر جوستنيان وكذلك فى عصر جوستنيان وظهر ذلك فى متون البحث فى أكثر من فصل .

كان ميخائيل بطريركا لأنطاكية ( ١١٦٦ - ١١٩٩ م ) ، وكتب فى حوليته منذ بدء الخليقة حتى فترة جلوسه على كرسى البطريركية ولايفوت الباحث القول أن الجوانب الدينية فى حولية ميخائيل تناولها من وجهة نظر أتباع مذهب الطبيعة الواحدة ، كما فعل زكريا المتيلينى .

ومن أهم المصادر السريانية التى رجع إليها الباحث أعمال حنا الأفسوسى John of Ephesus ( ت ٥٨٥ م ) . والذى حملت اسم « حياة القديسين الشرقيين » (٩) وعمله هذا يلقي كثيرا من الضوء على السياسة الدينية فى عصر جوستنيان وحنا الأفسوسى معاصر للإمبراطور جوستنيان ، واستعان به كثيرا ، حيث أرسله الى أقاليم آسيا ، وليديا Lydia وكاريا Caria وفريجيا Phrygia سنة ٥٤٢ م . وبعد ذلك بأربعة أعوام ( ٥٤٦ م ) كلفه جوستنيان بالبحث عن الذين يمارسون الطقوس الوثنية سرا فى القسطنطينية ، والعمل على جعلهم يعتنقون المسيحية (١٠) .

---

(٩) The Syrian text with an English translation was published by C.W. Brooks, «Lives of the Eastern Saints», Patrologia Orientalis, XVII (Paris, 1923), XVIII (1924), XIX (1925).  
(١٠) J. Payne, John of Ephesus, (Oxford, 1909), pp. 1-3.



#### رابعاً - النصوص التشريعية :

رجع الباحث الى مجموعة جوستينيان القانونية Codex Justinianus وبخاصة الكتاب الأول منها والتي تضمنت كل القوانين التي أصدرها أباطرة الرومان في الشئون الكنسية منذ عهد قنسططين حتى سنة ٥٢٩ م ، عندما صدرت النسخة الثانية لهذه المجموعة .

ومن واقع متون البحث وبخاصة الفصل الرابع منه ، « جوستينيان والكنيسة العالمية » فانه يمكن القول ان الباحث استفاد كثيراً جداً بعد دراسته للكتاب الأول من هذه المجموعة اذ أنه بدون الرجوع بتمعن لهذا الكتاب لا يمكن أن يستقيم البحث في الشئون الدينية ، وسياسة جوستينيان بشأن الكنيسة العالمية (١) .

كما رجع الباحث الى القوانين التي أصدرها جوستينيان اعتباراً من سنة ٥٢٩ م حتى سنة ٥٥٦ م والتي حملت الاسم اللاتيني Novellae Constitutiones وعددها مائة وثمانية وستون . وهي التي صارت معروفة باسم Novels ( نوفلات ) .

والواقع أن الباحث استفاد كثيراً منها لأنها احدى المصادر الأساسية المهمة اذ أنها مكنت الباحث من الوقوف على الأحوال الداخلية للامبراطورية المتعلقة بالسياسة الادارية والكنيسة ، والقضائية وبها اشارات عديدة عن مفهوم جوستينيان عن سلطته تجاه الكنيسة ، وإيمانه الشديد بعالمية الامبراطورية .

وليس يخاف ان ما أصدره جوستينيان من تشريعات منذ اعتلائه للعرش كلها غاية في الأهمية لضرورة اكتمال الصورة العامة لعصر جوستينيان . اذ بدونها وبقصر الاعتماد على المصادر التاريخية فحسب تصبح الصورة الحقيقية للعصر غير واضحة على الاطلاق (٢) .

---

(١) رجع الباحث الى الترجمة الفرنسية المصحوبة بالنص اللاتيني للجزء الأول من الكتاب .

Code de Justinien, Tome Premier, Traduction par P.A. Tissot, (Paris, 1806).

(٢) رجع الباحث الى الترجمة الفرنسية المصحوبة بالنص اللاتيني لقوانين جوستينيان

الجديدة ( نوفلات ) في كتابي :

Les Nouvelles de l'Empereur Justinien, Traduites en français par Berenger fils, de Valence (Drôme), Tome Premier (Paris, 1811), Tome Deuxieme, (Paris, 1812).

## خامسا - المصادر العربية :

اعتمد الباحث على العديد من المصادر العربية التي قدمت اضافة للمادة العلمية التي استقاها من المصادر اليونانية والسريانية فيما يتعلق بالعرب الذين يعيشون على حدود الدولة الرومانية أو في اليمن ، وكذلك عن علاقات الحبشة باليمن . وحرص الباحث على الرجوع الى أقدم المصادر العربية قدر المستطاع .

ولاحظ الباحث تطابق المصادر العربية مع المصادر اليونانية والسريانية فيما يتعلق بالعلاقات الحبشية اليمنية ، بالرغم من أنها صدرت بعد وقوع هذه الأحداث بعدة قرون ، كما أن هذا التطابق ظهر أيضا في الفترة التي حكم فيها ذو نواس اليمن ، وما فعله في نجران بصفة خاصة ويبدو أن هذا التطابق مرده الى الكتب المترجمة عن الفرس واليونان والسريان ، منذ بداية القرن الثالث الهجري ، والتي كانت بمثابة مصادر أساسية نقل عنها المؤرخون العرب في ذلك الحين بالاضافة الى الروايات التي تناقلتها الشفاه ، اذ أن بداية تدوين التاريخ عند العرب ، لم تبدأ الا بعد عهد الخلفاء الراشدين .

وثمة ملاحظة أخرى على المصادر العربية هي أنها تشابهت الى حد كبير في سردها للحوادث التاريخية مما تقطع بأنها نقلت من بعضها البعض ، فقد ظهر للباحث أن أقدم هذه المصادر العربية اتفقت جميعها في عدد الجيش الذي قضى على ذى نواس ، اذ حددت عدده بسبعين ألف مقاتل (١) . ويبدو أنه رقم مبالغ فيه ، علما بأن المصادر السريانية واليونانية لم تذكر شيئا عن عدد هذا الجيش .

على أن هذا التطابق بين المصادر العربية لم يكن كاملا في نواحي أخرى ، فقد ذكر ابن هشام ( ت ٢١٨ ) أن ذا نواس حكم لمدة ثمانية وثلاثين عاما (٢) ، في حين أن اليعقوبي ( ت ٢١٧ هـ ) (٣)

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الأول ص ٢٠٠ ، ابن هشام : التيجان في ملوك حمير ، ص ٢٩٩ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٦٣٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، البلخي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ابن هشام : التيجان في ملوك حمير ، ص ٣٠١ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الأول ، ص ٢٠٠ .

وابن قتيبة (٤) ( ت ٣٧٦ هـ ) ذكر ان ذا نواس حكم لمدة ثمانية وستين عاما ، ويشك الباحث كثيرا في هذين الرقمين .

على أن هذا لا يقلل من قيمة المادة العلمية التي وردت في المصادر العربية عن بعض الموضوعات التي تتعلق بالبحث وبخاصة أن هذه المصادر العربية كانت الوحيدة التي قدمت مادة علمية أصيلة عن نشأة امارتي الحيرة والفساسنة . كما أنها تطابقت مع المصادر غير العربية بشأن العداء المتبادل بين أهل الحيرة والفساسنة .

---

(٤) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٣٧

## أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستنيان

الصراع على السلطة داخل القصر الامبراطوري - اعتلاء زينون للسلطة - استيلاء باسيليسكوس للعرش - عودة زينون - تمرد الأيسوريين في أنطاكية واعلانهم الامبراطورية بها . اعلان السامريين للملكية في فلسطين - المسألة الدينية : المونوفيزيائية الهينوتيكون - الانشقاق بين القسطنطينية والبابوية في روما - علاقات القسطنطينية بالقبائل الجرمانية بالشرق وشبه جزيرة البلقان - علاقات القسطنطينية بالفرس - موقف القسطنطينية من أدواكر وثيودريك في إيطاليا - موقف القسطنطينية من الوندال - اصلاحات أنستاسيوس المالية وتصحيحة للمسار الاقتصادي للامبراطورية .

تعتبر الفترة الواقعة بين وفاة الامبراطور ليو الأول ( ٤٧٤ م ) واعتلاء جوستين الأول ٥١٨ م للعرش ، من أشد الفترات خطورة في تاريخ الامبراطورية ، فقد تميزت هذه الفترة بحدوث متغيرات داخلية فاقت في خطورتها الاخطار الخارجية . وتمثلت هذه الاخطار الداخلية في الصراعات على السلطة ، وازدياد قوة الحركة المونوفيزيائية ، وما ترتب على ذلك من تفاقم الانقسامات الداخلية ، والخلافات الكنسية الدامية ، وحدوث الانشقاق الكنسي الأول بين القسطنطينية والبابوية في روما . وازاد من حدة التوتر في عاصمة الامبراطورية الأساليب العنصرية التي مارسها العناصر الأيسورية المسيطرة على الدولة . هذا في الوقت الذي كانت فيه خزانة الدولة خاوية منذ الحملة الاستردادية الفاشلة على شمال افريقيا في أواخر أيام الامبراطور ليو الأول . وبالرغم من بقاء زينون على

عرش الامبراطورية حوالى سبعة عشر عاما ( ٤٧٤ - ٤٩١ م ) فانه كان اشبه بالجالس على فوهة بركان ، نظرا لتعدد المؤامرات والحروب الأهلية فى عهده ، بالإضافة الى الأخطار الخارجية . وإذا كان عهد أنستاسيوس ( ٤٩١ - ٥١٨ م ) قد اتخذ طابع الإصلاح ومعالجة مصادر الخطر فى الداخل والخارج ، فان نجاحه لم يكن كاملا ، لأن التركة التى ورثها عن زينون كانت ثقيلة . هذا فى الوقت الذى عانت فيه الامبراطورية طوال هذه الفترة من الأخطار المحيطة بها على أيدي القبائل الجرمانية فى الشرق والغرب على حد سواء .

تولى الامبراطورية بعد وفاة الامبراطور ليو الأول حفيده الطفل ليو الثانى وهو فى السادسة لعدم وجود وريث للعرش سواء وساعدته والدته أريادن Ariadne ، وتولى الوصاية والده زينون وذلك فى الثامن عشر من يناير سنة ٤٧٤ (١) . غير أن وجود طفل فى هذه السن على عرش الامبراطورية كان مدعاة لخلق صراعات عنيفة داخل القصر نفسه طمعا على الانفراد بالسلطة . وتمثل هذا الصراع فى طموحات الامبراطورة فرينا Verina ؛ اذ عملت على بقاء نفوذها السابق . ومن الطبيعى أن يحاول زينون المحافظة على حق الوصاية على ابنه الطفل الامبراطور .

وعلى الرغم من نجاح زينون فى استبدال وصايته على ابنه بالمشاركة القانونية فى التاسع من فبراير سنة ٤٧٤ ، ثم انفراد بالسلطة فى السابع عشر من نوفمبر سنة ٤٧٤ عند وفاة الطفل الامبراطور (٢) ، فان الامبراطورة فرينا دخلت فى صراعات السلطة الى أن دفعت حياتها ثمنا لطموحاتها التى استمرت الى ما يزيد على عشر سنوات .

حاكت فرينا مؤامرتها الأولى ضد زينون ، بيد أنها لم تجن الثمار التى كانت تشتهيها ، اذ لم يكد تمضى عدة أسابيع على اعتلاء زينون للعرش بعد وفاة ابنه حتى اضطر الى مغادرة العاصمة على وجه السرعة دون أدنى

---

(١) Theodore Lector, Ecclesiasticae Historiae, I, 24, PG, Tomus 88  
Pars Prior, Col. 178 ; Procopius, History of the Wars, 3, p. 66;  
Michel Le Syrien, Chronique ed. Choubot, 2, (Paris, 1904), p. 143;  
Lebeau, Histoire du Bas-Empire, 7, (Paris, 1872), p. 57. J. B. Bury,  
History of the Later Roman Empire, Vol. I, Second edition, (London  
1923), p. 389 ; Marcellinus Comes, Chronicon, P. L. Tomus, LI,  
(Paris, 1846, Col. 931).

(٢) Theodore Lector, Op. Cit., Col. 179 ; Malalas, Chronographia,  
ed. Dindorf (Bonn 1831), p. 376; Ostrogorsky, History of the Byzantine  
State trans. by J. Hussey, (Oxford, 1968), p. 62.

بقاومة ، ولاذ بالفرار الى بلده فى اقليم ايسوريا Isouria فى آسيا الصغرى ، طلبا للنجاة ، ثم لحقته زوجته التى هربت من القصر (٣) وكانت فرينا قد أحكمت خططها بالتعاون مع شقيقها باسيليسكوس Basiliscus الذى تمكن من استمالة الأخوين الأيسوريين ايللوس Illus ، وتروكوندس Trocundes الى جانبها وهما اللذان كانا من أشبه الرجال اخلاصا للامبراطور زينون . واذا كان هروب زينون جعل الآمال تتراقص أمام عيني فرينا على أنها ستظل سيدة الامبراطورية الأولى فان أخاها باسيليسكوس فاقها فى الخداع والدهاء ، ونجح فى اغتيال صديقها بتريكوس Patricius ، الذى كانت تأمل أن يكون امبراطورا وزوجا لها ، واعتلى باسيليسكوس العرش فى التاسع من يناير سنة ٤٧٥ . (٤) ومن الطبعي أن تسوء العلاقات بين فرينا وشقيقها باسيليسكوس ، كما ساءت بينها وبين ابنتها أريادن زوجة زينون من قبل ، ولا سيما أن باسيليسكوس سارع بوضع التاج على رأسه كما توج زوجته زينون Zenonis امباطورة ، ومنح ابنه ماركوس Marcus لقب قيصر ، ثم توجه بعد ذلك أغسطس Augustus فى العام نفسه (٥) .

غير أن باسيليسكوس لم يستمر على العرش سوى عشرين شهرا ، لتعدد المؤمرات ضده ، وللعجز الشديد فى ميزانية الدولة ، ولسياسته الدينية التى تميزت بالتخبط . ففى عهده حدثت مذبحة رهيبة ضد الأيسوريين فى العاصمة ، وهو الأمر الذى لم يرض عنه حليفه ايللوس الأيسورى . كما أنه أغضب ثيودريك سترابو Theodoric Strabo والذى ساعده على الوصول الى العرش ، وبرغم ذلك لم يقد بتعيينه قائدا عاما للجيش ، ونظرا لأنه كان يمت بصلة القرابة للامبراطور ( ابن شقيقته ) ، هذا من ناحية ، كما كان يحظى برضاء زينون من ناحية ثانية . وهكذا أغضب باسيليسكوس من عاونه فى الوصول الى السلطة فى الوقت الذى اضطر فيه الى ابتزاز الأموال من الكنيسة ، وفرض الضرائب القاسية لحاجته الماسة للمال ، لأن الامبراطور زينون كان قد

(٣) Marcellinus Comes, Chronicon, PL, Tomus 51, pp. 931-932, (٣)  
Evagrius, History of the Church, p. 339; Michel Le Syrien Op. Cit. P. 143; Lebeau, Op. Cit., 7, p. 73.  
Joshua, Chronicle, ed. Wright, (Cambridge, 1882), p. 9; (٤)  
McCabe, The Empresses of Constantinople, (London, 1913) pp. 12-13;  
Bury, Op. Cit., I, p. 391; A.H.M. Jones, Later Roman Empire. (Oxford, 1964), Vol. 1, p. 225; Marcellinus Comes; Op. cit., Col. 932.  
Theodore Lector, Op. Cit., Col. 179; Evagrius, Op. Cit., p. 340; (٥)  
Lebeau, Op. Cit., 7, pp. 73-74; Bury, Op. cit., 1, p. 391.

نقل الى قلعة آيسوريا ، البقية الباقية في خزانة الدولة المنهارة (٦) .  
وزاد على ما تقدم من حكم استبدادي ، أن حدة كراهية الشعب له ، انتقلت  
الى جنود القصر ، الذين عانوا من بخله الشديد (٧) . هذا في الوقت الذي  
لعبت فيه فرينا دورها عن طريق توزيع الذهب على رجال مجلس الشيوخ ،  
وكبار الموظفين ، للعمل على سرعة عودة زينون الى العرش (٨) . وهذا  
التصرف من قبل فرينا ، انما كان انتقاما من شقيقها ، الذي أضاع عليها  
فرصتها الذهبية في الوصول للسلطة .

وهكذا أصبحت العاصمة على استعداد لاستقبال زينون الذي ظل  
متحصنا ، وقويا في اقليمه ، بعد أن انضم اليه الاخوان ايللوس وتروكندس  
Tracundes . اللذان أرسلهما باسيليسكوس ضد زينون بعد أنهما تحالفا  
مع زينون للقضاء على باسيليسكوس . ورغم محاولات باسيليسكوس  
العسكرية لوقف زينون صوب العاصمة فان أرمانوس قائد جيشه  
خانه أيضا ، وانضم الى زينون هو الآخر ، مقابل اعلانه قائدا عاما للجيش ،  
وتعيين ابنه قنصلا ووريثا للعرش بعد زينون . وعلى ذلك دخل زينون  
العاصمة دخول الظافرين ، دون مقاومة على الاطلاق . أما باسيليسكوس  
فقد لجأ معه زوجته وأولاده ، الى الكنيسة طلبا للحماية ، في نهاية شهر  
أغسطس سنة ٤٧٦ . غير أن مصيره ، وكل أسرته ، كان الموت في إحدى  
قلاع اقليم قبدوقية بعد تركهم جميعا دون طعام أو شراب (٩) .

وهكذا انتهت أولى مؤامرات فرينا الى لا شيء كما أن الفوضى  
والاضطباع الشخصية أضرتا كثيرا بالامبراطورية في الداخل والخارج  
شرقا وغربا اذ أنه قبل سقوط باسيليسكوس بشهر واحد فحسب  
سقط القسم العربي من الامبراطورية في يدي أدواكر Odoacer  
أحد حاشية الامبراطور الصبي أوغسطولوس Augustulus ، والذي كان  
تحت وصاية والده أوريسيتيز Orestes ، وذلك بعد أن رفض والد  
الامبراطور أوغسطولوس ضغوط القوط والحاصنة بضرورة منحهم ثلث  
إيطاليا . غير أن أدواكر وافق على مطالب القوط مقابل الاعتراف به

(٦) Lebeau, Op. Cit., 7, p. 83; Bury, Op. Cit., 1, p. 389; Jones,

Op. Cit., 1, p. 225.

Procopius, Wars, 3, p. 60.

(٧)

Lebeau, Op. Cit., 7 p. 83 ; McCabe, Op. Cit., p. 13.

(٨)

Marcellinus Comes, Op. Cit., p. 982; Procopius, Wars, 3,

(٩)

pp. 67-71 ; Theophanes Chronographia, 1, ed. Classen, (Bonn-1839),  
pp. 192-193, Evagrius Op. Cit., p. 348; Michel Le Syrien, Op. Cit., II,  
P. 144 ; Lebeau, Op. Cit., 7, pp. 86-88; Bury, Op. Cit., 1, pp.392-393;  
McCabe, Op. Cit., p. 14 ; Jones, Op. Cit., p. 225.

ملكا عليهم . وقام بنفى الإمبراطور الصبي في إحدى القلاع في الثالث والعشرين من يولية سنة ٤٧٦ ، وتخلص القوط من أوريستيز بالقتل بعد ذلك بخمسة أيام فحسب (١٠) . وعلى ذلك يمكن القول أن فترة العشرين شهرا التي قضاها باسيليسكوس في السلطة كانت من أحلك الفترات في تاريخ الامبراطورية شرقا وغربا .

على أية حال ، اتخذت عودة الإمبراطور زينون للسلطة طابع القبول العام من العناصر السياسية في الدولة ، حيث استقبله مجلس الشيوخ وأعلنت الأفراح ، وأقيمت الألعاب في السيرك ، بناء على أوامر الإمبراطور زينون ، وعين أرمانيوس قائدا عاما للجيش ، وأعلن ابنه قيصر ، تنفيذا للاتفاق السابق بينهما (١١) .

غير أن زينون كان حريصا على الاستئثار بالسلطة دون منازع ، وبخاصة أن أرمانيوس كان يمت بصلة القرابة للإمبراطورة فرينا (١٢) . لذلك - وبناء على مشورة ايللوس - تمكن زينون من اغتيال أرمانيوس ، وعزل ابنه الذي كان قيصر ، وأجبره على الانخراط في السلك الكهنوتي ، في العالم التالي (٤٧٧ م) (١٣) .

على أن صراعات السلطة تجددت لزيادة سلطات ايللوس واصطدامه بشخصية الامبراطورة فرينا ، وأدى هذا الصراع الى القاء القبض عليها ، وسجنها في إحدى القلاع في إقليم آيسوريا (١٤) . غير أن هذه الحادثة حركت أطماع ماركيان Marcian أحد أبناء الإمبراطور أنثيميوس Anthemius الذي كان امبراطورا على القسم الغربي ومعاصرا للإمبراطور ليو الأول ، وكان ماركيان هذا زوجا لابنه فرينا الصغرى ، ليونثيا Leontia فطالب ماركيان بالعرش لصالح زوجته على أساس أنها أحق بالعرش من غيرها .

على أية حال نجح ماركيان في استمالة إحدى الفرق العسكرية ، وانضم اليه جماعات من القبائل الجرمانية ، وخاض معركة شرسة حول القصر الامبراطوري بالقسطنطينية . وأوشك ان يكون سيدا للقصر ،

(١٠) Procopius, Wars, 5, pp. 3-5; Marcellinus Comes, Op. Cit., p. 932.

(١١) Michael Le Syrien, Op. cit., II, p. 144.

(١٢) Evagrius, Op. Cit., P. 363.

(١٣) Evagrius, Op. Cit., p. 363; Michel Le Syrien, Op. Cit., II,

p. 148; Lebeau, Op. Cit., 7, p. 89; McCabe, Op. Cit., p. 15;

Bury, Op. cit., I. P. 393; Jones, Op. cit., 1, p. 225.

(١٤) Bury, Op. cit., 1 p. 394; Jones, Op. Cit., 1, p. 225.



لولا أنه أضاع الفرصة بتأجيل عملياته العسكرية ، حتى صباح اليوم  
التالى . لذلك فإن الهزيمة حلت به ، واضطر الى الهرب الى كنيسة الرسل  
طلبا للحماية . غير أن زينون أخرجه من هناك بالقوة ، ونقله الى مدينة  
قيصرية فى اقليم قبدوقية . وهناك تم اجباره على الانخراط فى السلك  
الكهنوتى سنة ٤٧٩ (١٥) .

على أن حادثة اعتقال الامبراطورة فرينا وسجنها فى قبدوقية ، بناء  
على نصيحة ايللوس ، المستشار الأول للامبراطور ، تركت أثرا عظيما فى  
نفس ابنتها الامبراطورة أريادن ، لذلك دبرت أريادن مؤامرة للشخص  
من ايللوس ، بيد أن هذه المؤامرة لم يكتب لها النجاح ، وإن كان ايللوس  
قد فقد أذنه اليمنى نتيجة لتلك المؤامرة كما فقد ثقته فى زينون بصفة  
نهائية ، برغم تأكيدات زينون بعدم علمه بتلك المؤامرة وبناء على ذلك  
ترك ايللوس العاصمة وترك منصب القائد العام للجيش . وشغل منصب  
قائد قوات الشرق ، وأقام فى أنطاكية ، ومعه وفد كبير من الأيسوريين  
سنة ٤٨٢/٤٨١ (١٦) .

ويبدو أن ايللوس هذا قد عقد العزم على القيام بتمرد مسلح للقضاء  
على زينون ، اذ رفض كل الجهود التى بذلها زينون لاطلاق سراح فرينا ،  
كما ظل محتفظا بشقيق زينون ، لونجينوس Longinus ، رهينة برغم  
مطالبة زينون له باطلاق سراحه . فى الوقت الذى نجح فيه ايللوس فى  
خلق شعبية كبيرة له فى أنطاكية ، وضم الى جانبه ليونتئوس Leontius  
الذى كان قد أرسله زينون للوساطة . وخطا ايللوس بعد ذلك خطوة  
سياسية على ضوء المتغيرات السياسية الجديدة - ولكى يضيف قناعا من  
الشرعية على موقفه الانفصالى - ألا وهى اخراجه عدوته بالأمس الامبراطورة  
فرينا من سجنها ، حيث أعلنت بيانا ووزعته على الأقاليم الشرقية هاجمت  
فيه زينون ، وأعلنت تأييدها للامبراطور الجديد ليونتئوس فى مدينة  
أنطاكية ، بناء على ترشيح ايللوس (١٧) .

غير أن زينون لم يقف مكتوف اليدين ، وإنما استعان بالعناصر  
الجرمانية ، وعلى رأسهم ثيسودوريك Theodoric وحنا السكيشي

(١٥) Evagrius, Op. cit., p. 364; Theophanes, Op. Cit., I, pp. 196-197; McCabe, Op. Cit., 7, pp. 104-106; Jones, Op. Cit., p. 227.

(١٦) Bury, Op. Cit., I, pp. 395-396; McCabe, Op. cit., p. 17; Downey, A History of Antioch in Syria, (New Jersey, 1961, p. 490).

(١٧) Bury, Op. cit., p. 396; McCabe, Op. cit., p. 18; Downey, Op. cit., pp. 493-494.

John the Scythian بهدف القضاء على هذه الحركة الانفصالية الخطيرة (١٨) ، وبخاصة أن الثوار وسعوا جهودهم واتصلوا بالفرس ، وقدموا اليهم الأموال ، مقابل التأييد والمساعدة (١٩) . واتصلوا بالأمراء الذين يحكمون أقاليم أرمينيا الرومانية حيث حصلوا على تأييدهم (٢٠) . كما اتصلوا بأدواكر في إيطاليا ، بيد أنه اعتذر عن تقديم المساعدة (٢١) .

على أية حال ، فإن الامبراطورية التي أقامها إيللوس في أنطاكية لم يقدر لها البقاء سوى عامين ( ٤٨٢ - ٤٨٤ م ) ، حيث تمكنت القوات التي أرسلها زينون من القضاء عليها ، والقضاء القبض على كل من إيللوس وليونتيوس ، وتم قتلها ، وتعليق رؤوس الثوار بالقسطنطينية ، وقطعت أيدي من كان معهما ، وذلك سنة ٤٨٨ (٢٢) . وهكذا يمكن القول ان عهد زينون كله - باستثناء السنوات الثلاث الأخيرة من حكمه ثورات واضطرابات ومؤامرات كلها ، بلاشك ، أضرت بالامبراطورية بشكل خطير ، ومزقت السولة في الداخل شر ممزق .

شجعت الحركة الانفصالية في أنطاكية العناصر السامرية (٢٣) في فلسطين حيث قاموا بدورهم بحركة انفصالية ، فاستولوا على مدينتي

Jones, Op. cit., 1, p. 229; Downey A History of Antioch, p. 495. (١٨)

Joshua, Op. cit., p. 11. (١٩)

Procopius, Buildings, ed. and tr. by H.B. Dewing, (London, 1940), p. 185. (٢٠)

Bury, Op. cit., I, p. 497. (٢١)

Joshua, Op. cit., p. 12; Bury, Op. cit., I, p. 398; (٢٢)

McCabe, Op. cit., p. 18; Downey, Op. Cit., p. 498.

(٢٣) السامرة أو السامريون هم طائفة من اليهود عاشوا بفلسطين ويسبون إلى مدينة

السامرة Samaria — Sebastia وهي تقع شمال غرب مدينة نابلس — Sichem

Neoplis (Naplous) وجنوب غرب مدينة بيسان Scythopolis وموطنهم الأصلي كوت

Khuth وبابل Babylon وعمره Awa وحماة Hamath وسفراويم Sfrawayim

ونقلهم سليمان Shalmanasr ملك آشور إلى هناك

وامتدت طائفتهم في المنطقة ما بين قيصرية Caesarea إلى شرق الأردن وزادت

قوتهم في قيصرية وبعض المدن الأخرى . ولهم ترجمة خاصة للأسفار الأولى من العهد

القديم ولبدهم اليهود باعتبارهم منشقين ، كما كرههم المسيحيون على أساس أنهم في

حكم الوثنيين . وفي القرن الرابع الميلادي قامت نهضة سامرية على يد بابا رابا Baba

Rabba أحد أبناء كبير كهنة السامرة ، وأقيم العديد من المعابد ، وظهرت حركة قوية ،

ونهضة أدبية ، هذا في الوقت الذي ازداد اهتمام المسيحيون بفلسطين لما بها من أماكن

مقدسة بالنسبة اليهم ، وبخاصة بعد اعتراف أباطرة الرومان بالديانة المسيحية . على

أن ثورة السامريين في عهد زينون ترجع جذورها إلى سنة ٤٣٨ عندما شملت تشريعات

ثيودوسيوس الثاني ( ٤٠٨ - ٤٥٠ م ) السامريين حيث حرّمهم من الوظائف الشرقية ، =

نابلس وقيصرية • وأعلنوا جوستوس Justus ملكا عليهم ، بعد أن قتلوا الكثيرين من المسيحيين • بيد أن القوات الرومانية تمكنت من القضاء عليهم • وقتل ملكهم وأرسال رأسه وتاجه للإمبراطور زينون (٢٤) •

وهكذا كانت صراعات الأيسوريين مع بعضهم البعض من أجل السلطة ، هي الطابع العام الذي ساد عهد زينون ، وهي المشكلة الأولى التي جابهت الامبراطور أنستاسيوس ، عند اعتلائه عرش الامبراطورية ، لأنه تولى السلطة في الامبراطورية على عكس كل توقعاتهم •

فقد نجحت الامبراطورة أريادن Ariadne في اختيار أنستاسيوس امبراطورا والزواج منه بعد أربعين يوما من وفاة زوجها زينون (٢٥) • في الوقت الذي توقع فيه الأيسوريون اعتلاء لونجينوس Longinus شقيق زينون للسلطة خلفا له • ولما كانت العناصر الأيسورية هي المهيمنة على السلطة والوظائف المهمة في الدولة ، كان اختيار أنستاسيوس امبراطورا بمثابة ضربة شديدة لم تتحملها عناصرهم التي جاهدت للمحافظة على وضعها في الدولة ، عن طريق التآمر ومحاولة إعلان لونجينوس امبراطورا (٢٦) •

غير أن أنستاسيوس • الذي كان على علم ودراية تامة بطبيعة الصراع الداخلي على عرش الامبراطورية بحكم عمله السابق بالقصر الامبراطوري قبل اعتلائه العرش اغتنم فرصة حالات الشغب التي حدثت في السنة الأولى من حكمه أثناء عرض مسرحي ، في ميدان سباق الخيل ، وأثناء حضوره شخصيا ، حيث أشعل المشاغبون الحرائق ، في ميدان سباق الخيل ، وحطمو تماثيل الامبراطور والامبراطورة ، للقضاء على المشاغبين حيث سالت دماء الكثيرين في هذه الفتنة بيد أن أنستاسيوس اضطر الى

• ومنهم من بناء المعابد الجديدة ، وحرّم عليهم الدعوة الدينية بين العبيد والاحرار ،

النظر : Procopius, The Secret History, p. 97; Zachariah, Chronicle, p. 232; Milman, The History of the Jews, 2, p. 224-225; Parkes, A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times, pp. 79-81.

والنظر جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ج ٢ ، ص ٥٣٣ ،

د • قاسم عبده قاسم ، أهل اللغة في العصور الوسطى ، ط ٢ ، ص ١١٣ - ١١٥ •

(٢٤) Procopius, Buildings, pp. 349-353; Malalas, Op. cit., pp. 382-

383; Michel Le Syrien, Op. cit., II, pp. 148-149; Dubnov, History of the Jews, 2, pp. 208-209.

Jashua, Op. cit., p. 15; Evagrius, Op. cit., p. 366; (٢٥)

Zacharish, Op. cit., p. 150; Chronicon Paschale, p. 840.

Johsua, Op. cit., p. 15; Zachariah, Op. Cit., pp. 150-151. (٢٦)

عزل حاكم العاصمة جوليان Julian بناء على رغبة المشاغبين ، وتعيين سيكونديتيوس Secondinus خلفا له (٢٧) . وسارع أنستاسيوس باتهام الأيسوريين بأنهم وراء أعمال الشغب وقام بإجراءات سريعة للقضاء على نفوذهم داخل العاصمة . فأجبر لونجينوس شقيق زينون الذي كانت قد رشحته العناصر الأيسورية لاعتلاء العرش - على الانخراط في السلك الكهنوتي ونفاه إلى الاسكندرية ، وظل بها حتى وافته المنية هناك بعد سبع سنوات . كما طرد لونجينوس وكنيته كالوفس Calovs ، والذي كان يشغل وظيفة رئيس دواوين القصر ، وكذلك كل كبار الشخصيات الأيسورية - أجبرهم على مغادرة العاصمة إلى أقاليمهم ، كما منع الاعانة المالية التي كانت مقررة للأيسوريين منذ عهد زينون (٢٨) .

ويبدو أن أنستاسيوس كان مدركا أن الصدام المسلح بينه وبين الأيسوريين واقع لا محالة ، بالرغم من إخراجهم من العاصمة ، لذلك أتبع معهم أسلوب المهادنة ، إلى أن يتمكن من اعداد الجيش اللازم لسحقهم في عقر دارهم ، فبالرغم من رفضهم دفع الضرائب للدولة ، وسيطرتهم على الأقاليم المحيطة بأقاليمهم فإنه جرب معهم أسلوب المصالحة ، بيد أنهم أغلقوا الباب في وجهه ، ورفضوا الهدايا التي أرسلها لهم (٢٩) . فلم يعد أمام أنستاسيوس سوى حسم الموقف عسكريا . وتقابلت جيوش أنستاسيوس بقيادة حنا السكيثي ، وحنا الأحدب John the Hunchback مع الأيسوريين بالقرب من كوتيايم Cotyaeum ( كوتاهية ) ، في سهول إقليم فريجيا Phrygia في آسيا الصغرى في خريف سنة ٤٩٢ . وبالرغم من التفوق العددي للقوات الأيسورية ، والتي دعمها مغنوبيا اشتراك كونون Conon الأسقف السابق لمدينة أناميا Apamee ( قلعة المضيق ) ، فإن الهزيمة الساحقة لحقت بهم (٣٠) . وشكلت هذه المعركة

Bury, Op. cit., p. 432; Stein, *Historie du Bas-Empire*, T. II, (٢٧)

(Parsl, 1948), p. 82.

Theodore Lector, Op. cit., p. Col. 187; Evagrius, Op. cit., (٢٨)

p. 366; Theophanes, Op. cit., p. 211. Holmes, *The Age of Justinian and Theodora*, Vol. I, second edition (London, 1912), p. 165, Stein, Op. cit., II, pp. 82-83.

Isaurica وذكر المؤرخ الكنسي إيفاجريوس أن الملحة السنوية التي عُقدت باسم

والتي عادت إلى خزنة الدولة كانت خمسة آلاف وطل من الذهب سنويا الطر :

Evagrius, Op. cit., p. 376.

Zachariah, Op. cit., p. 151.

(٢٩)

(٣٠)

Theodore Lector, Op. cit., Col. 187; Malalas, Op. cit., pp. 393-394;

Evagrius Op. cit., p. 375; Theophanes, Op. cit., J. p. 213; Lebeau, Op. cit., 7, pp. 230-231; Bury, Op. cit. 1, p. 433; Stein Op. cit., II, pp. 83-84; Jones, Op. cit., p. 230.

بداية النهاية للأيسوريين بوصفهم قوة سياسية كبرى فى كيان  
الامبراطورية .

غير أن الأيسوريين لم يستسلموا ، وواصلوا التضال كما فعلوا من  
قبل أبان الصراع بين ايللوس وزينون . وظلت الحرب قائمة فى المناطق  
الجبيلية فى اقليم أيسوريا حتى سنة ٤٩٨ ، وهى السنة التى شهدت  
نهاية البقية الباقية من قياداتهم بما فيهم الأسقف السابق كونون (٣١) .

والواقع أن أنستاسيوس نجح فى القضاء التام على نفوذ الأيسوريين  
وكسر شوكتهم بشكل نهائى . ولم يكتف بهدم قراهم ، وحصونهم ،  
ومنع الاعانات التى كانت مقررة لهم أيام زينون ، وإنما عاملهم كما لو  
كانوا ليسوا من رعايا الامبراطورية ، أو أنهم أسرى حرب ، فقام بنهجيرهم  
الى اقليم تراقيا ، أما كبار قادتهم فقد علق رؤوس بعضهم على أعمدة فى  
ضاحية سيكاى Sycae ، بعد ارسالها الى القسطنطينية ، حيث  
شاهدتها الجماهير التى كانت تمتلئ الأيسوريين . وبدافع من الرغبة فى  
التشفى والتشهير ، أقام أنستاسيوس عرضا عسكريا ، اعلانا للنصر ،  
يضم كبار قادة الأسرى من الأيسوريين والحديد فى أيديهم ، وحول  
أعناقهم ، وطاف العرض شوارع القسطنطينية ، وكذلك فى ميدان سباق  
الخيول . (٣٢) وبذلك يكون أنستاسيوس قد قضى على أكبر العناصر  
قوة ، تلك التى هددت عرشه لمدة سبع سنوات .

وإذا كانت المشكلة الأيسورية قد ظهرت فى عهد زينون ، وتمكن  
الامبراطور أنستاسيوس من حلها فى عهده وبشكل حاسم ، فإن المشكلة  
الدينية والخلافات المذهبية شغلت الامبراطورية فى عهدي زينون  
وأنستاسيوس بشكل عمل على تمزيق كيان الامبراطورية ، وحدوث  
انقسامات ، بالرغم من الجهود المضنية التى بذلها الامبراطوران ، اذ انها  
مشكلة لها جذورها ودوافعها المتعددة منذ عقد مجمع خلقيدونية  
سنة ٤٥١ .

فمنذ عهد ماركيان ( ٤٥٠ - ٤٥٧ م ) ، وخليفته ليو الأول  
( ٤٥٧ - ٤٧٤ م ) ، ظل سكان مصر والشام وآسيا الصغرى متمسكين

Theodore Lector, Op. cit., Col. 187; Zachariah, Op. cit., p. 151; (٣١)  
Vasiliev, History of the Byzantine Empire, 1, p. 230.

Evagrius, Op. cit., p. 375; Lebeau, Op. cit., 7, p. 238; (٣٢)  
Holmes, Op. cit., 1, p. 176; Bury, Op. cit., 1, p. 433;  
Stein, Op. cit., II, p. 84; Vasiliev, The Byzantine Empire, 1, p. 238.

بالمونوفيزيتية (٣٣) . لذلك لم يكن يعلم رجال الدين في مصر أن الطبيب ثيوتيسستوس Theotistus المصري صار رئيساً لدواوين قصر الامبراطور باسيليسكوس حتى بإدروا بإرسال وفده من رجال الدين يضم الراهب ثيوبومبوس Theopompus شقيق ثيوتيسستوس . وإذا كان هذا الوفد الديني المصري قد ذهب لمقابلة الامبراطور للتهنئة وإعلان الولاء ، فإنه استغل الفرصة ، واغتم اللحظة بذكاء تلم وذلك بتسخير رئيس دواوين القصر لصالح قضيتهم الدينية ، واستطاع أعضاء الوفد تحقيق مآملهم بسرعة بعد أن ضمنوا اليهم رئيس دواوين القصر الذي تأثر بشقيقه ثيوبومبوس هذا من ناحية ، ولوجود علاقة قوية بين الامبراطور باسيليسكوس وبين ثيوتيسستوس الذي كان الطبيب الخاص للامبراطور قبل اعتلائه للعرش من ناحية ثانية . على أية حال نجح الوفد الديني المصري في الحصول على موافقة الامبراطور بشأن عودة البطريرك تيموثيوس Timotheus من منفاه بعد أن قضى خمسة عشر عاماً في مدينة خيرسبون Cherson (٣٤) . وتوقف تيموثيوس في القسطنطينية حيث احتفل به البحارة المصريون هناك احتفالاً رائعاً ، وطافوا به في شوارع العاصمة (٣٥) .

(٣٣) أسد رستم : الروم ، ج ١ من ١٢٤ ، السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ص ٥٨ . والمونوفيزيتية تعني الاعتقاد بطبيعة واحدة في المسيح عيسى ( عليه السلام ) ، وأن الطبيعة البشرية ذات في الطبيعة الالهية . وكان تزييلهم المقدس الذي وضعه بطرس القصار بطريرك أنطاكية ، قدوس الله ، قدوس القوى ، قدوس الحق ، الذي صلب من أجلنا . انظر : S. Salville, "L-Affaire de L'Hénétique", Echos d'Orient, T. XVIII, (Paris, 1918), pp. 256-257; Hefele, Histoire de conciles, traduction Leclercq, (Paris, 1908, T. II, pp. 857-858; Tixeront, Histoire des dogmes (Paris, 1912), t. III, pp. 104-107.

Zachariah, Op. cit., pp. 103-104; Evagrius, Op. cit., p. 340; (٣٤) Michel Le Syrien, Op. cit., II, p. 144; Lebon, Le Monophysisme Severien, (Louvain, 1909), pp. 25-26; Frend The Rise of the Monophysite Movement, second edition, (Cambridge, 1979), p. 170.

(٣٥) المصادر المونوفيزيتية تصف هذا الاحتفال دون أن تذكر كلمة النمس ، وهي الكنية المذكورة بعد اسم تيموثيوس ، وإنما تذكر كلمة قدس قبل

ذكرها لإسمه ، انظر : Zachariah, Op. cit., p. 104; Michel Le Syrien, Op. cit., II, p. 144.

أما المصادر الخلقيدونية ، فإنها تذكر كلمة النمس قبل اسم تيموثيوس ، وتصف اسم تيموثيوس ، وتصف الاحتفال ، وهي تكيل البارات الجارحة للبحارة المصريين ، وتصفهم بأنهم جماعة من المجرمين والنوغاء ، وتقول ان « النمس » سقط من فوق الحمار ، بعد الطواف به في أنحاء القسطنطينية وكسرت ساقه ، انظر :

Theodore Lector, Op. Cit., Col. 179-182; Theophanes, I, p. 187.

ولا شك أن مثل هذه الأساليب تعبر عن حدة الكراهية بين أتباع المذاهب في تلك العصور .

ويبدو أن شخصية تيموثيوس كانت قوية ، فقد تمكن في فترة وجيزة من أن يصبح صديقا حميما للإمبراطور باسيليسكوس وزوجته ، وكل الذين كانوا بالقصر الامبراطوري من الشخصيات الكبرى ، وساعده على اقناع الامبراطور باصدار رسالة عامة دينية ، أعلن فيها صراحة لعن كتاب ليو The Tome of Leo (٣٦) وقرارات مجمع خلقيدونية (٣٧) . وهذه الرسالة كتبها أحد أعضاء الوفد الديني المصري الذي زار القسطنطينية وصدرت في التاسع من أبريل سنة ٤٧٥ (٣٨) . وعلى أية حال ، فإن صدور هذه الرسالة مكن تيموثيوس من الظهور للمرة الثانية على كرسى بطريركية الاسكندرية وعودة كل المنفيين من أصحابه ، ومنهم بطرس الانطاكي Peter of Antioch ، وبولس الافسوسي Paul of Ephesus وأساقفة آسيا الصغرى ، وأنستاسيوس Anastasius of Jerusalem والعديد من الأساقفة (٣٩) . ولا شك أن الاستجابة لمنشور الامبراطور باسيليسكوس في مصر وفلسطين وأنطاكية وسوريا وآسيا الصغرى ، أظهر مدى الانتشار الواسع للأراء المعارضة لقرارات مجمع خلقيدونية (٤٠) .

كان لحضور تيموثيوس الى القسطنطينية ردود فعل عند أكاكوس Acacius بطريرك القسطنطينية . ففي بداية الأمر اتخذ موقفا متعاطفا مع تيموثيوس وأعد له قبل حضوره من منفاه ، محل إقامة في كنيسة ازين Irene ، وخصص له بعض رجال الاكليروس لتقديم الخدمات اليه . بيد أنه ساورته الشكوك في تنحيته عن وظيفته ، وتعيين الراهب المصري تيموثيوس ، شقيق رئيس دواوين القصر بدلا منه . لذلك وبدافع شخصي بحث ، حاول عرقلة حضور تيموثيوس الى العاصمة غير أن جهوده

(٣٦) البابا ليو الاول ( ٤٤٠ - ٤٦١ م ) أرسل في الثالث عشر من شهر يونية سنة ٤٤٩ رسالة الى فلافيان بطريرك القسطنطينية ، وهي المعروفة برسالة العقيدة (Tome) أشار فيها الى أن المسيح عيسى ليس الا شخصا واحدا ، وهو كلمة الله ، اتحدت فيها الطبيعتان الالهية والبشرية ، على الرغم من أن كلا منهما كاملة ، غير مختلطة بالأخرى . وتؤدى وظائفها الخاصة في نطاق وحدة الشخص ، انظر السيد الباز العريني الدولة البيزنطية ، ص ٥٢ ، حاشية ١ .

(٣٧) Zachariah, Op. cit., p. 104; Evagrius, Op. cit., p. 340;

Lebon, Op. cit., p. 26.

Frend, Op. cit., p. 170.

(٣٨)

Zachariah, Op. cit., p. 107; Michael Le Syrien, Op. cit., II, (٣٩)  
p. 146; Lebon, Op. cit., p. 26; Salaville, L'Affaire de L'Henotique,  
p. 257.

Jones, Op. cit., 1, p. 227.

(٤٠)

باءت بالفشل (٤١) . فاضطر أكايوس الى التظاهر بالترحيب بتيموثيوس الى أن صدر منشور باسيليسكوس . فرفض أكايوس التوقيع على المنشور أو الاعتراف به . وزاد على ذلك أن أعلن الحداد في أيا صوفيا ، وظهر بملابس الحداد بين حشد كبير من المصلين المتعاطفين معه (٤٢) .

وبهدف المحافظة على كرسيه الأسقفى قام أكايوس بانارة رؤساء الأديرة في القسطنطينية ، في خريف ٤٧٥ م ، وحثهم على طلب مساعدة البابوية السريعة . واذا كان أكايوس لم يستطع منع دخول تيموثيوس الى العاصمة ، فانه في هذه المرة نجح في تأليب الامبراطور باسيليسكوس ، بناء على رسالة البابا سيمبليكيوس Simplicius في يناير ٤٧٦ م ، والتي امتدح فيها ثبات وحزم أكايوس في الأزمة ، واتهم فيها تيموثيوس ، كما فعل البابا ليو الأول ( ٤٤٠ - ٤٦١ م ) من قبل ، هذا في الوقت الذي أرسل فيه البابا سيمبليكيوس Simplicius رسائل الى الامبراطور باسيليسكوس والى أكايوس ، والى رؤساء أديرة العاصمة طالبا منهم ازالة تيموثيوس (٤٣) .

ولما كان موقف الامبراطور باسيليسكوس غير قوى في العاصمة بصفة خاصة ، وفي الدولة بصفة عامة ، وأن رسالة البابا أتت في الوقت الذي كان يجاهد فيه زحف زينون على العاصمة و « كان خائفا على العرش » (٤٤) ، لذلك كله رضخ باسيليسكوس ، وأصدر على الفور منشورا مضادا يلغى المنشور السابق (٤٥) .

على أن عودة زينون للعرش في نهاية أغسطس سنة ٤٧٦ ، غيرت كل قرارات باسيليسكوس ، ففي السابع عشر من ديسمبر سنة ٤٧٦ ، صدر مرسوم بالغاء كل قرارات باسيليسكوس وعادت الأحوال الكنسية الى ما كانت عليه . والأمر المهم في هذا المجال هو استرداد أكايوس لحقوقه على الكنائس في آسيا الصغرى ، هذا فضلا عن امتيازات كرسي العاصمة (٤٦) . وأصدر زينون مرسوما بعزل كل من بطرس القصار

Zachariah, Op. Cit., p. 104. (٤١)

Theodore Lectuor, Op. cit., Col. 181; Lebon, Op. cit., p. 27 : (٤٢)

Salaville, Op. cit., p. 259; Bury, Op. cit., 1, p. 391.

Lebon, Op. cit., p. 29; Frend, Op. Cit., pp. 172-173. (٤٣)

Michel Le Syrien, Op. cit., II, P. 144, Leoon, Op. cit., p. 29. (٤٤)

Evagrius, Op. cit., p. 345; Fleury, Histoire Ecclesiastique, (٤٥)  
p. 602; Lebon, Op. cit., p. 29; Salaville, Op. cit., p. 260 : Frend, Op.  
cit., p. 173.

Salaville, Op. cit., p. 260, Frend, Op. cit., p. 174. (٤٦)



Peter the Fuller  
Paul of Ephesus  
أسقف أنطاكية ، وبولس الافسيوس  
ولم يرسل أمرا بالعدل الى تيموثيوس « النمس »  
فى الاسكندرية ، بيد أنه واقته المنية فى الحادى والثلاثين من يوليو  
سنة ٤٧٧ م (٤٧) .

ولما كان اكايوس على دراية ، بقوة المشاعر المضادة لمجمع خلفيدونية  
فى الشرق ، فقد زاودته نفسه بالحصول على لقب البطريرك العالمى عن  
طريق التقرب الى الاساقفة والرهبان والعلمانيين فى الاسكندرية والشرق  
عن طريق اصداره « كتاب الاتحاد » Henoticon فى الثامن والعشرين  
من يوليو ٤٨٢ م (٤٨) .

ويبدو أن الظروف السياسية الحرجة التى كان يمر بها زينون هي  
التي أجبرته على اصدار قانون الاتحاد فى هذا الوقت بالذات ، إذ كان  
فى حرب طاحنة مع لمنشقين بأنطاكية ، وبخاصة إذا ما عرفنا أن الذى  
قام بنقل قانون الاتحاد الى مصر هو بيرجاميوس Pergamius الذى عين  
مديرا ماليا فى مصر (٤٩) . وقانون الاتحاد هو محاولة لتخفيف حدة  
الخلافات المذهبية التى أثارها المونوفيزيتيون والخلقيديون ، إذ أن أهم  
ما ورد فى قانون الاتحاد هو عدم ذكر عبسارة طبيعتين أو طبيعة  
واحدة (٥٠) .

غير أن قانون الاتحاد فشل فى ارضاء المتطرفين وبخاصة الرهبان  
فى مصر وفلسطين وسوريا ، الذين طالبوا بادانة واضحة ومحددة لمجمع  
خلفيدونية ، وبالمثل لم يكن مقبولا من أتباع مجمع خلقيدونية المتعصبين ،  
وهم « الرهبان السامرون » بالقسطنطينية غير أن قادة كل من الفريقين  
وافقوا عليه (٥١) . وعلى أية حال ، فقد ظهرت حكومة زينون على أنها  
حققت حيادا صريحا ، إذ طلبت مصر ثابته على مذهب الطبيعة الواحدة وفى  
سورية وفلسطين فإن أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة حققوا نصرا . وفى  
أنطاكية ، فإن بطرس القصار تولى البطريركية سنة ٤٨٤ ، وكذلك خليفة

Evagrius, Op. cit., p. 346; Liberatus, Brevarium, PL 68, (٤٧)

Col. 1020 A : Fleury, Op. cit., pp. 604-605.

Zachariah, Op. cit., p. 106; Evagrius, Op. cit., p. 351, (٤٨)

Lebon, Op. cit., p. 31 ; Tixeront, History of Dogmas, 3, pp. 102-103;  
Frend, Op. Cit pp. 176-177.

Evagrius, Op. cit., p. 351. (٤٩)

(٥٠) أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ١٣٣ ، السيد الباز العرينى ، الامبراطورية

البيزنطية ، ص ٥٨ .

Frend, Op. cit., p. 182; Jones, Op. cit., 2 p. 228. (٥١)

بالاديوس Paladius اللذان ظلا متمسكين بقانون الاتحاد بقوة ، وكذلك فعل سالوستيوس Sallustius الذي صار بطريركا في اورشليم سنة ٤٨٦ هـ من ناحية ، ومن ناحية أخرى فبعد وفاة اكاكيوس سنة ٤٨٩ أصبحت للخلقيدونيين اليد العليا في القسطنطينية وتم انتخاب اوفيميوس Euphemius الذي كان نصيرا قويا لمجمع خلقيدونية (٥٢) .

غير أن البابوية في روما لم ترض عن قانون الاتحاد ، لأنه أكد حق الامبراطور في املاء ارادته على الكتيبة ، وهو اجراء أتى بعد رفض البابوية لرسالة باسيليسكوس لصالح المونوفيزيتيين ، حيث عملت البابوية جاهدة على الغاء هذه الرسالة ، واجبار باسيليسكوس على اصدار رسالة مضادة ألغت الرسالة السابقة . وخاصة اذا ما نظرنا الى رسالة باسيليسكوس الأولى ، وقانون الاتحاد الذي أصدره زينون بمثابة اجراءات لا تصدر سوى عن مجمع مسكوني ، وهو أمر ليست روما على استعداد للاعتراف به الا لنفسها فحسب (٥٣) . وعلى ذلك قامت البابوية ، بناء على اتصالات رؤساء الأديرة ، بالقسطنطينية والأساقفة ، ورجال الاكليروس في مصر (٥٤) ، وجمهورية الرهبان الساهرون ، الذين أقضوا مضجع اكاكيوس ، بمراسلة بطريرك روما ، بتوجيه اللوم الشديد الى اكاكيوس لأنه أكد على أنه ، « رئيس لكل الكنائس » ، (٥٥) .

بيد أن اكاكيوس لم يرد على رسالة البابا فيليكس الثالث Felix III (٤٨٣ - ٤٩١ م) فاضطر البابا الى ارسال ، وقد للامبراطور زينون يطلب منه تنفيذ قوانين مجمع خلقيدونية ، وضرورة طرد بطرس بطريرك الاسكندرية لأنه « منشق » وضرورة ارسال اكاكيوس للدفاع عن نفسه (٥٦) .

غير أن اكاكيوس لم يذهب الى روما ، ولم يحقق الوفد البابوي شيئا من مهمته ، وعلى ذلك عقد مجمع في الثامن والعشرين من يوليو سنة ٤٨٤ ضم سبعة وعشرين أسقفا في روما ، وأصدروا قرار حرمان كنسي ضد اكاكيوس على أساس أنه منافق ، لأنه عين ( الهرطقة ) ، وأهان وفد

Jones, Op. cit., I, p. 228. (٥٢)

Bury, Op. cit., I, p. 402. (٥٣)

Frend, Op. cit., p. 182. (٥٤)

Evagrius, Op. cit., pp. 359-360; Lebon, Op. cit., p. 33. (٥٥)

Evagrius, Op. cit., p. 360; Theophanes, Op. cit., I, p. 204; (٥٦)

Frend, Op. cit., p. 182; Victor Junensis, Chronicon, Col. 947.

البابا (٥٧) . وبالرغم من تبادل الرسائل بين البابا فيليكس والامبراطور زينون (٥٨) ، تجاهل الامبراطور معارضة البابا . ومن ثم بدأ ما عرف باسم الانشقاق الاكاكي Acacian Schism ، وهو الانشقاق الاول فى تاريخ الكنيسة بين روما وبيزنطة ، والذي استمر قائما حتى سنة ٥١٨ (٥٩) ومع ذلك ظل زينون محافظا على الحساد المذهبى ، اذ كان أوثيمىوس ( ٤٩٠ - ٤٩٦ م ) بطريرك العاصمة خلقيدونى المذهب .

وعلى أثر وفاة زينون طالبت الجماهير الامبراطورة أريادن بأن يكون الامبراطور الجديد أرثوذكسيا ( خلقيدونيا ) ( ٦٠ ) قبل ابلأغهم عن شخصية أنستاسىوس ، وبعد ظهوره أمامهم لأول مرة فى ميدان سباق الخيل ( ٦١ ) .

على أن الامبراطور أنستاسىوس كان شخصية معروفة جيدا للامبراطورة ( ٦٢ ) . وكذلك كان معروفا بالنسبة للبطريرك ( ٦٣ ) فى

---

(٥٧) Evagrius, Op. cit., p. 360; Liberatus, Breviarum, Col. 1028; Tixeront, Op. cit., p. 103; Lebon, Op. cit., p. 33; Salaville, L'Affaire de L'Henotique, p. 255, Frend, Op. cit., p. 182.

قام أحد « الرهبان السامرون » بتثبيت قرار الحرمان على طيلسان البطريرك اكاكيوس أثناء اقامته قداس القربان القدس ، انظر :

Liberatus, Op. cit., Col. 1028.

Evagrius, Op. cit., pp. 359-360. (٥٨)

Harnack, History of Dogma, 4, p. 228; Lebon, Op. Cit., p. 33; (٥٩)

Salaville, Op. cit., p. 255.

(٦٠) مات زينون فى العاشر من ديسمبر سنة ٤٩١ ، وقبل أن توارى جثته التراب ، دخلت الامبراطورة أريادن المقصورة الامبراطورية Kathisma فى ميدان سباق الخيل ، الذى احتشد به المواطنون والجنود الذين هتفوا : « قدمى للعالم امبراطورا أرثوذكسيا » . انظر :

Bury, Op. cit., pp. 429-430; Frend, Op. cit., p. 191.

(٦١) عند ظهور أنستاسىوس فى ميدان الخيل لأول بعد تتويجه مباشرة هتف الشعب قائلا : « احكم كما عشيت ، لقد عشيت طاهرا ، احكم طاهرا ، احكم بطهارة ، اعد بناء الجيش احكم كما حكم مارقيان ، واطرد الواشين » . انظر :

Bury, Op. cit., p. 432.

(٦٢) يرجع الفضل الى الامبراطورة أريادن فى اعتلاء أنستاسىوس للعرش ، اذ كانت على معرفة به ، قبل وفاة زوجها . وحرصت على اعتلائه العرش والزواج منه بعد أربعين يوما من وفاة زوجها ، وكان أنستاسىوس يعمل بالقصر الامبراطورى ، وتميز بالورع والتقوى ، ورجاحة العقل والمهابة ، والقوة والوسامة . وأنه كان غير متزوج ، وهى بلا شك مؤاملات مكنته من الفوز بقلب الامبراطورة ورياسة الدولة ، انظر :

Zachariah, Op. Cit., p. 148 ; McCabe, Op. cit., p. 19.

(٦٣) اعتاد أنستاسىوس قبل اعتلائه للعرش ، الذهاب الى كنيسة الحكمة والقائه الاحاديث الدينية ، وكانت ميوله الدينية تخالف مذهب خلقيدونية ، مما ادى الى قيام =

القسطنطينية قبيل اعتلائه للعرش . وإذا كان البطريرك أوفيموس قد حقق نجاحا عند إجباره أنستاسيوس بضرورة التعهد كتابة باتباع مذهب خلقيدونية ، فإنه قد ترك شيئا في نفس الامبراطور . وبخاصة أن هذا البطريرك كانت له حادثة مع أنستاسيوس قبيل اعتلائه للعرش ، عندما طرده من كنيسة الحكمة . وللباحث أن يتوقع حدوث صراع بين أنستاسيوس والبطريرك أوفيموس الذي أخرج الامبراطور وطلب منه التعهد الكتابي ، وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل تاريخ الامبراطورية منذ أن صارت المسيحية الديانة الرسمية للدولة .

على أية حال ، فإن البطريرك أوفيموس لم يتوقف عند هذا الحد وإنما امتدت جهوده على الفور الى مراسلة البابا فيلكس الثالث ، ومن بعده جلاسيوس Glasius ( ٤٩٢ - ٤٩٦ م ) - دون علم الامبراطور أنستاسيوس - وطالبهما بالعمل على طرد البطريرك بطرس بالاسكندرية ( ٤٨٢ - ٤٩١ م ) ، ومن بعده البطريرك أثناسيوس Athanasius ( ٤٩١ - ٤٩٨ م ) اللذين لعنا مجمع خلقيدونية وكتاب ليو ( ٦٤ ) . غير أن البابوية في روما لم تكلل جهودها بالنجاح ، وبخاصة أن أنستاسيوس رفض طلب البابوية بشأن لعن اكاكيوس ، بطريرك القسطنطينية ، وعلى ذلك ساءت الأمور بين الامبراطور أنستاسيوس والبابوية ، على أثر رسالة البابوية الشهيرة والتي تحدد فيها مفهوم البابوية - في ذلك الحين - بخصوص سلطتها التي اعتبرتها تفوق سلطة الامبراطور : « السيادة الأعلى في هاتين السلطتين هي ، سلطة الكاهن لأنه عليه أن يقدم يوم القيامة ، ما فعله الملك . وأنت تعرف أيها الابن البار ( مخاطبا الامبراطور ) ، أنه برغم تفوقك على كل الجنس البشرى في المهابة بيد أنه عليك أن تحنى رأسك بخشوع لرئيس كهنة الأسرار المقدسة ، عندما تتلقى القرايين المقدسة من أيديهم ، وبالنسبة لشئون الكنيسة عليك أن تطيع ، لا أن

---

= خلاف شديد بينه وبين البطريرك أوفيموس ، الذي اضطر الى منعه بالقوة من القاء أحاديثه الدينية بالكنيسة . بعد أن استعان البطريرك بالامبراطور زينون . لذلك امتنع أوفيموس عن حضور حفل تتويج أنستاسيوس ما لم يوقع أنستاسيوس على تعهد كتابي باتباعه المذهب الخلقيدوني ، وبخاصة أن هناك شبهات حامت حول أنستاسيوس باعتناقه مذهب ماني ، كما قيل أن والدته كانت تدين بمذهب ماني ، وأن خاله كان يدين بمذهب آريوس ، انظر :

Theodore Lector, Op. cit., Col. 186-187; Evagrius, Op. cit., p. 40;  
Frend, Op. Cit., p. 191; Duchesne, L'Eglise au vi Si(cle, (Paris, 1925), p. 6; Victor Jununensis Op. Cit., Col. 948.  
Zachariah, Op. cit., pp. 149-150; Bury, Op. Cit., I, p. 436; (٦٤)  
Jones, Op. Cit., I, p. 232.

تأمر . . لقد سحقت شقيهم أثناء الألعاب الرياضية . أفلا تستطيع أن تمارس سلطتك في أمر يتعلق بصالح أرواحهم ؟ . . . . . دعهم يقولون أن الكرسي الرسولي محب للفخر والظهور ، فهم مثل المريض الذي يلزم الطبيب عندما يستعمل الآلات الحادة من أجل شفائه . وليس فخرنا سوى لطاعتنا لتعاليم آباء الكنيسة ، وماذا نسمى هؤلاء الذين يعارضوننا ويحاربون الثالوث الأقدس نفسه ؟ ، على أنه لا يوجد رد للامبراطور على هذا الخطاب المفعم بالكبرياء (٦٥) .

على أن للباحث أن يتوقع أن تزيد العلاقات بين البابوية والامبراطور سوءا ، وهو الأمر الذي عمل على زيادة حدة الانشقاق الذي بدأ سنة ٤٨٤ م (٦٦) .

هذا في الوقت الذي كانت فيه الصراعات الدينية قوية بين بطارقة الاسكندرية وبينت المقدس ضد أوفيموس بطريرك القسطنطينية . كما زادت العلاقات سوءا بين الامبراطور وأوفيموس لرفض الأخير تسليم التعهد الكتابي الذي كان قد وقع عليه أنستاسيوس بناء على اصرار أوفيموس عند اعتلاء أنستاسيوس للعرش . وعلى أية حال ، انتهت حدة الخلاف بينهما بأن رمى أوفيموس الامبراطور أنستاسيوس بالهرطقة . وهنا نفذ صبر الامبراطور ، وعقد مجمعا دينيا تقرر فيه عزل أوفيموس ونفيه الى أوكاتيا Euchatia بإقليم بونتس Pontus سنة ٤٩٦ ، بعد أن أدانته المجمع ( بالهرطقة ) ، وتجديده الالتزام بقانون الاتحاد (٦٧) . وعلى أثر نفي أوفيموس عين الامبراطور أنستاسيوس مقدونيوس (٤٩٦ - ٥١١م) بطريركا بالقسطنطينية ، والزمه بالتوقيع على قانون الاتحاد والعمل به (٦٨) .

Hodgkin, Italy and her Invaders, 3, pp. 390-391; Duortle, (٦٥)  
«Pope Gelasius and Emplror Anastasius I», Byzantinische Zeitschrift, 44, Munchen 19٤1, pp. 112-113; Ullmann, The Growth of the Papal Government in the Middle Ages, pp. 18-20; Frend Op. cit., p. 195.

Bury, Op. cit., I, p. 437. (٦٦)

Lebon, Op. cit., p. 40; Bury, Op. Cit. I., p. 437; Duchesne, (٦٧)  
Op. Cit., p. 11; Jones, Op. Cit., I, p. 232.

Theodore Lector, Op. cit., Col. 190; Lebon, Op. cit., p. 40. (٦٨)

وكان مقدونيوس يعمل من قبل آمينا للكنوز المقدسة بكنيسة الحكمة ، والذي كانت لديه الوثيقة التي وقعها أنستاسيوس عند اعتقاله للعرش ، بناء على اصرار أوفيموس . وهذه الوثيقة كانت السبب الأول للخلافات التي نشأت بين أنستاسيوس ومقدونيوس ، حيث رفض الأخير تسليم الوثيقة للامبراطور . وهي التي اعتبر أنستاسيوس وجودها تحت حوزة مقدونيوس بمثابة إعالة للنبادة الامبراطورية ، انظر :  
Evagrius, Op. cit., p. 370.

والواقع أن الفترة التي شغل فيها مقدونيوس الكرسي البطريركي في القسطنطينية شهدت نشاطات دينية على المستوى العام في الامبراطورية كما تميزت هذه الفترة بالتزام أنستاسيوس بسياسة الحياد الديني بين المذاهب المتصارعة . ففي ذلك الحين حاول البابا أنستاسيوس الثاني (٤٩٦ - ٤٩٨ م) خليفة البابا جلاسيوس، إنهاء الانشقاق بين القسطنطينية وروما ، ورأسل الامبراطور أنستاسيوس بأسلوب يختلف عن أسلوب البابا جلاسيوس ، وعرض عليه الموافقة على قانون الاتحاد ، بعد حذف ما ورد به بشأن مجمع خلقيدونية مقابل حذف اسم آكاكيوس ، ولعنه ، بيد أن هذه المحاولة لم يكتب لها التوفيق (٦٩) . وتأييدا لسياسة أنستاسيوس الحيادية ، فانه استقبل أيضا الوفد الخلقيدوني الذي زار العاصمة برئاسة القديس سابا ، الذي أرسله أيليا ( ٤٩٤ - ٥١٦ م ) بطريرك أورشليم الخلقيدوني ، وأكرم وفادة هذا الوفد (٧٠) .

غير أن العناصر المونوفيزيتية بالشرق ، قامت بجهد كبير برئاسة ساويرس (٧١) ، الذي زار القسطنطينية واجتمع بالامبراطور ، وظل بها والوفد المرافق له ، والبالغ عدده مائتي راهب لمدة ثلاث سنوات ( ٥٠٨ - ٥١١ م ) ، أسفرت عن إقناع أنستاسيوس بالمذهب المونوفيزيتي ، وأقر النص المونوفيزيتي الجديد ، « الله الذي صلب من أجلنا » (٧٢) معلنا بذلك نهاية فترة الحياد المذهبي ، وانحيازه الشام للمونوفيزيتية وعزل مقدونيوس ، وعين بدلا منه تيموثاوس (٥١١ - ٥١٨ م) المونوفيزيتي بالقسطنطينية (٧٣) وكذلك فعل في الكراسي الأسقفية

Theodore Lector, Op. cit., Col. 191; Hodgkin, Op. cit., 3, (٦٩) p. 392.

(٧٠) سعيد بن بطريق ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ص ١٩٣ .

(٧١) ساويرس من مواليد سوزوبوليس Sozopolis التابعة لمدينة بسيدا Pisidia وكان قد درس القانون في بيروت ، بيد أنه ترك مهنة المحاماة ، وتنصر وانخرط في سلك الرهبنة . وعند ذلك ذهب إلى القسطنطينية حيث نال إعجاب الامبراطور أنستاسيوس ، انظر :

Evagrius, Op. cit., p. 372; Lebon, Op. cit., p. 43.

Evagrius, Op. cit., p. 386; Zachariah, Op. Cit., p. 169. (٧٢)

وأغابيوس ، كتاب العنوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن العبري ، تاريخ ابن العبري ،

ص ١٤٦ .

Zachariah, Op. cit., p. 177; Lebon, Op. cit., p. 44.

(٧٣)

بالاتقاليم الشرقية (٧٤) . ولم يعبأ أنستاسيوس بمراسلات سيماخوس Symmachus ( ٤٩٨ - ٥١٤ م ) بابا روما بشأن اتجاه الامبراطور نحو ( المونوفيزيتية ) ، مما اضطر البابا الى ارسال خطاب لعن فيه الامبراطور ، وساويرس ، وأتباع مذهب الطبيعة الواحدة (٧٥) .

غير أن المتغيرات داخل الامبراطورية ، أجبرت الامبراطور على ضرورة الاتصال بالبابوية في روما . ويرجع الفضل في ذلك لجهود فيتاليان القوطي الذي ارتدى ثوب الكاثوليكية ، في وقت كانت القسطنطينية غير راضية عن سياسة أنستاسيوس الموالية لأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، قبل الرغم من أن القوات المتحالفة في اقليم تراقيا Thrace كانت قد أعلنت ثورتها تحت قيادة زعيمها فيتاليان Vitalian نتيجة لنقص الاعانة المالية المقررة لهم ، فإن هذا القائد سرعان ما تبنى الفكرة الكاثوليكية ، والتي كان لها أنصار عديدون في داخل العاصمة ، وهم الذين شجعوه على التطلع للمعرش (٧٦) .

على أية حال ، سرعان ما قوى نفوذ فيتاليان ، بعد أن جمع جيشا قيل أنه زاد على الخمسين ألفا من الهون ، والبغار ، وربما من السلاف ، وألحق هزائم بجيوش الامبراطورية وتمكن من أسر هيباتيوس Hypatius ابن شقيقة الامبراطور . وهدد فيتاليان العاصمة أكثر من مرة ، بعد أن حاصرها برا وبحرا الى أن رضخ أنستاسيوس لمطالب فيتاليان سنة ٥١٤ ، والاتصال بالبابوية في روما (٧٧) .

---

(٧٤) عزل الامبراطور أنستاسيوس ، بطريق أنطاكية فلايانوس ( ٤٩٨ - ٥١٢ م ) ، الخلقيدوني المذهب لاعتراضه على سياسة الامبراطور الجديدة ، وعين مكانه ساويرس ( ٥١٢ - ٥١٨ م ) ولنفس السبب عزل ايليا Elias ( ٤٩٤ - ٥١٦ م ) بطريرك اورشليم ، وعين مكانه حنا ( ٥١٦ - ٥٢٤ م ) ، انظر : Evagrius, Op. cit., pp. 370-371; Zachariah, Op. Cit., p. 187 .

وسعيد بن البطريق ، نفس المصدر ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .  
أما بطارقة الاسكندرية فكانوا جميعا من أتباع المذهب المونوفيزيتي ، منذ بداية عهد أنستاسيوس حتى نهايته ، انظر ابن المقفع ، تاريخ بطارقة الكنيسة القبطية في الاسكندرية ( باريس ، ١٩٠٧ ) ص ٤٤٨ - ٤٥١ .

(٧٥) سعيد بن البطريق ، نفس المصدر ، ص ١٩٥ . والجدير بالذكر أن سعيد بن البطريق وهو خلقيدوني المذهب ، لمن ساويرس ، في نفس الصفحة ، إذ ورد بالنص « ساويرس الملعون » هذا بخلاف ابن المقفع المونوفيزيتي ، قال عن ساويرس « ساويرس الفاضل » انظر ابن المقفع ، نفس المصدر ، ص ٤٤٩ . وهذا يدل على حدة الخلاف المذهبي وروود فعله في نفوس المختلفين مذهبيا .

Holmes, Op. cit., I p. 180; Bury, Op. cit., I pp. 447-448. (٧٦)

Zachariah, Op. cit., p. 185 ; Holmes, op. cit., p. 180. (٧٧)

... وإذا كان أنستاسيوس هو الذى عرض على البابا هورميرزاس Hormisdas ( ٥١٤ - ٥٢٣ م ) ضرورة عقد مجمع دينى فى هرقله باقليم تراقيا Heraclea in Thrace ( وهى على شاطئ بحر مرمرة غرب القسطنطينية بحوالى ستين ميلا ) فى أول يوليو سنة ٥١٥ ( ٧٨ ) ، بناء على ضغط فيثاليان ، فان هذا المجمع لم ينعقد ، لهزيمة فيثاليان من ناحية ، ولتشدد البابوية فى الغرب من ناحية ثانية : حيث اشترطت العودة الى قرارات مجمع خلقيدونية ، وكتاب ليو ، ولعن أكايوس ، ( وكل المنشقين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ) ، وهو الأمر الذى رفضه أنستاسيوس . على أن الرسائل بين البابا والامبراطور أنستاسيوس لم تتوقف الى أن كانت آخر رسالة أرسلها أنستاسيوس للبابا هورميرزاس فى الحادى عشر من يوليو ٥١٧ م ، وهى الرسالة التى اتسمت بالعنف والحزم : « نستطيع أن نتحمل الاهانة ، بيد أننا لا نسمح لأحد أن يصدر إلينا الأوامر ٠٠٠ » ( ٧٩ ) ومن المعروف أن أنستاسيوس توفى بعد ذلك بعام تقريبا ( فى التاسع من يوليو سنة ٥١٨ م ) ، لتبدأ الامبراطورية عهدا جديدا من الناحية الدينية فى عصر جوستينيان ، حيث حقق هورميرزاس كل ما أراد .

هكذا كانت أحوال الامبراطورية الداخلية المضطربة من عوامل قيام الحركات الانفصالية فى الداخل ، والصراعات المذهبية ، والصراع على السلطة ، الأمر الذى شجع القبائل المقيمة على الحدود الشرقية على مهاجمة آسيا الصغرى ، وشبه جزيرة البلقان ، وهو الأمر الذى استنزف أموال الدولة ، وكان شغلها الشاغل فى تلك الفترة التاريخية .

الواقع أن حالة الفوضى السياسية ، والحروب الأهلية ، والصراعات على السلطة فى عهد زينون بصفة خاصة شجعت القبائل الجرمانية على مهاجمة اقليم تراقيا على وجه الخصوص سواء من الجهة الشمالية الشرقية على يد البلغار ، أم من الشرق على الشواطئ المطلة على البحر الاسود .

Frend, Op. cit., pp. 231-232.

( ٧٨ )

كان الامبراطور أنستاسيوس قد أرسل رسالتين الى البابا هورميرزاس بخصوص عقد هذا المجمع الدينى الرسالة الأولى فى الثامن والعشرين من ديسمبر ٥١٤ ، والثانية فى الثانى عشر من يناير ٥١٥ ، ويلاحظ أنه خاطب هورميرزاس على أنه « رئيس الاساقفة والبطريرك » . انظر :

Collectio Avellana, No. 107, 109, pp. 499-900, 501-502.

Collectio Avellana, No. 138; p. 565; Hodgkin, Italy and her ( ٧٩ )

Invaders, 3, pp. 418-427; Vasiliev, Justin the First, p. 160.

Frend, Op. cit., pp. 231-233.



إذ قامت جماعات من قبائل ماساجيتاي Masagetae - وهم ضمن الشعب السكيثي Scythian ، الذين عاشوا على الشواطئ الشرقية لبحر قزوين ، بمهاجمة إقليم تراقيا (٨٠) . بيد أن البلغار كانوا أشد القبائل خطورة . وهم الذين استقروا خلف نهر الدانوب ، وبرغم ذلك نجح المحالفون Foederates من القوط الشرقيين ، بزعامة ثيودريك فى كبح جماح البلغار ، والتصدى لهم فى عقر دارهم ، بعسد أن عبر نهر الدانوب ، ومصرع زعيمهم ليبرتيم Libertem ، والذي اضطر للفراخ أمام ثيودريك ورجاله (٨١) . على أن رحيل ثيودريك الى ايطاليا سنة ٤٨٨م جعل الأقاليم الشمالية الشرقية للإمبراطورية لقمة سائغة لهجمات البلغار لسنوات متتالية ، ذلك أنه كان يتولى - قبل رحيله - التصدى لغارات البلغار من جهة ، وأنه بخلو الأقاليم الشرقية من القوات العسكرية التى نقلها أنستاسيوس فى عهده للتصدى للايسوريين من جهة ثانية - كل ذلك أدى الى ضعف الأقاليم الشمالية الشرقية للإمبراطورية ، فبدأت هذه الغارات الشديدة سنة ٤٩٣ ، حيث عبر هؤلاء الجزمان نهر الدانوب ، وهاجموا إقليم تراقيا ، وقتلوا جوليان Julian قائد الإقليم عندما تصدى لهم (٨٢) . على أن أشد غارات البلغار ضراوة كانت سنة ٤٩٩ ، فبالرغم من حشد الامبراطورية لقوات بلغ عددها خمسة عشر ألف مقاتل ، فانها منيت بالهزيمة النكراء ، وتشتت الجيش الامبراطورى بعد مقتل قائده أريستوس Aristus . ومعه أربعة آلاف قتيل (٨٣) . وبدأت خطورة غارات البلغار فى اتباع أسلوب الاغارات الخاطفة السريعة ، التى تركزت على السلب والنهب ، ثم العودة سريعا ، وبصفة خاصة فى الفترة ما بين ٤٩٩ - ٥٠٢م ، بالرغم من محاولات أنستاسيوس تقديم الأموال لهم لاسترداد الأسرى ، وصرفهم عن هجماتهم . بيد أن جهوده باءت بالفشل لعدم وجود القوات الكافية للتصدى لهم (٨٤) .

وقد كان سكان العاصمة وضواحيها من الطبقات الغنية يمتلك أهلها الضياع والقصور التى تعج بالنفائس ومظاهر الرفاهية والترف ، وأمام

Evagrius, Op. cit., p. 339 .

(٨٠)

Lebeau, Op. cit., pp. 7, 141-144.

(٨١)

Lebeau, Op. cit., 7, p. 232 ; Bury, Op. cit., I, p. 435;

(٨٢)

Stein, Op. cit., p. 89; Jones, Op. cit., I, p. 231.

Lebeau, Op. cit., p. 224; Bury, Op. cit., I, p. 432. Stein,

(٨٣)

Op. cit., p. 90; Jones, Op. cit., I, p. 231.

Procopius, Buildings, pp. 291-293; Theophanes, p. 222;

(٨٤)

Cedrenus, Historiarum Compendium, ed. Bekker, I, p. 628,

Bury, Op. cit., I, p. 439.

هذا الخطر حاول أنستاسيوس حماية العاصمة وضواحيها ببناء سور ضخّم حول هذه المناطق وأحاط بالعاصمة (٨٥) ، وأطلق عليه « السور الطويل » إذ بلغ طوله أربعين ميلا ، وسمكه إحدى عشر قدما ، وله أبراج ارتفاعها واحد وثلاثون قدما وبدأ من البحر الأسود حتى بحر مرمرة (٨٦) . وعلى أية حال ، فإنه منذ بناء هذا السور ، توقفت اغارات البلغار ، ولم تتجدد الا سنة ٥١٧م بعد أن عبروا نهر الدانوب ، وهزموا القائد بومبيوس Pompius وتوغلوا في مقدونيا Macedonia . وبرغم ارسال أنستاسيوس الأموال اليهم مع حنا حاكم اقليم ايليريا ، مقابل عودتهم من حيث أتوا فانهم رفضوا هذا العرض ، واستمروا في التوغل حتى اجتاحت كل الاقاليم الغربية من العاصمة ، ثم انسحبوا بعد أن أخذوا معهم الغنائم وآلاف من الأسرى (٨٧) . وكانت لغارات البلغار آثار سيئة على المناطق البلقانية التي كادت ، تخلو من السكان ، لذلك كان من الطبيعي أن يتدهور الانتاج الزراعي بها ، وأن تصاب ميزانية الدولة بنقص شديد (٨٨) .

وتعرضت الأقاليم الشرقية بآسيا الصغرى لاغارات قبائل الهون السابري Sabiri بشكل لم يسبق له مثيل سنة ٥١٥م . حيث قامت هذه القبائل ، التي تغطي المناطق الشمالية المحيطة ببحر قزوين ، بعبور الممرات القسوقازية ، والاغارة على اقليم أرمينيا الرومانية ، وقبدوقية ، وجلاتيا ، وبنتنس ، وأحدثوا الخراب والدمار في المدن التي أغاروا عليها . في الوقت الذي لم يتمكن أحد من التصدي لهم ، ثم عادوا محملين بالغنائم - ولم يكن أمام الامبراطور أنستاسيوس سوى تقديم المساعدات العاجلة للمنكوبين ، واعفاء الأقاليم التي أصابتها الأضرار ، من الضرائب لمدة ثلاث سنوات . وقام بتشييد الأسوار والحضون للمدن الكبيرة في اقليم قبدوقية (٨٩) .

ويبدو أن الشعب التزاني Tzani ( واسمه القديم قبل عهد بروكوبيوس Sani ، استغل فرصة انشغال أنستاسيوس بالحرب

(٨٥) Procopius, Buildings, pp. 291-293; Holmes, Op. cit., I, p. 124.

(٨٦) Procopius, Op. cit., p. 293; Evagrius Op. cit., p. 376;

(٨٧) Holmes, Op. cit., I, p. 125; Bury, Op. cit., I, p. 435.

(٨٨) Lebeau, Op. cit., 7, p. 439; Stein, Op. cit., p. 106-107;

(٨٩) Bury, Op. cit., I, p. 436; Jones, Op. cit., I, p. 235.

(٩٠) Bury, Op. cit., I, p. 436.

(٩١) Procopius, Wars, 2, p. 533; Malalas Op., cit., p. 406;

(٩٢) Evagrius, Op. cit., p. 385; Theophanes, Op. cit., I, p. 249;

(٩٣) Cedrenus, Op. cit., I, p. 633; Lebeau Op. cit., 7, pp. 433-434.

مع الفرس ، وهاجم الأراضي الرومانية حتى وصلت اغاراتهم الى اقليم بونتس Pontus (٩٠) وبالرغم من وجود اتفاقات قديمة بين أباطرة الرومان ، وهذا الشعب على عدم الاعتداء على الأراضي الرومانية ، مقابل اعانة مالية كل عام ، فانهم اعتادوا القيام بغاراتهم الفجائية بغية السلب والنهب ، محدثين الأضرار البالغة بالأقاليم التي كانوا يمرون بها ، وهي أرمينيا الرومانية ، والأقاليم الرومانية الأخرى ، حتى شاطئ البحر الأسود ، ويبدو أن طبيعة بلادهم الجبلية ، وقسوة الحياة عندهم - حيث عاشوا في مناطق جبلية عالية بها منابع نهر فاسيز Phasis الذي يصب في البحر الأسود عند لازيقا - هي التي دفعتهم الى مواصلة اغاراتهم بغية الحصول على الطعام في منطقة تحيط بها ايبيريا شمالا ، وأرمينيا الفارسية جنوبا . غير أنه في بداية عصر جوستنيان نجحت الامبراطورية في احتوائهم ، بعد اعتناقهم المسيحية وانخراطهم في الجيش الروماني (٩١) .

على أن هجمات القبائل لم تكن من الشرق أو الشمال الشرقي فحسب ، بل امتدت وشملت أيضا الجنوب الشرقي للامبراطورية . فعلى الحدود الجنوبية لمصر تعرضت المدن هناك جنوب جزيرة فيلة Philae لغارات قبائل البليني Blemyes . وكلفت الدولة الكثير في التصدي لهم . ويبدو ذلك واضحا عندما ذكرهم أنستاسيوس ضمن القبائل التي اعتادت الاعتداء على حدود الدولة بصفة دائمة ، في تلك الرسالة التي أرسلها الى قباذ ملك الفرس ( ٤٨٨ - ٥٢١ م ) ، ابان مطالبة الفرس للمساعدات المالية ، ورفض أنستاسيوس تقديم تلك المساعدة متذعرا بحاجته الشديدة للمال للتصدي الى تلك القبائل المخربة (٩٢) . وبالرغم من تقديم الامبراطورية المساعدات المالية لتلك القبائل منذ عهد دقلديانوس ( ٢٨٤ - ٣٠٥ م ) ، واستمرارها في دفع المساعدات لها حتى بداية عصر جوستنيان ، فانها دأبت على القيام بغاراتها . وهكذا يمكن القول ان المحاولات التي بذلتها الامبراطورية تجاه تلك القبائل والخاصة بتقديم المال اليهم ، واقامة المعابد المشتركة للمسيحية والوثنية في جزيرة فيلة ، كل هذه الأمور لم تحقق الهدف المنشود منها في تحقيق الأمن الا بعد أن استعمل جوستنيان منطق القوة وهدم معابدهم الوثنية التي بالجزيرة ، وأخضعهم للسيادة الرومانية (٩٣) .

Theodor Lector, Op. cit., p. 194; Lebeau, Op. cit., p. 7. p. 384. (٩٠)

Procopius, Wars I, pp. 135-117, 2, p. 539; Ibid, Buildings, pp. 203-205. (٩١)

Joshua, Op. cit., p. 13. (٩٢)

Procopius, Wars, I, p. 185-189. (٩٣)

كانت هجمات القبائل في هذه الفترة ، وبصفة خاصة الهجمات من الشرق مصدر خطر على كل من الامبراطورية الفارسية والرومانية . بل ان الدولة الفارسية تعرضت لحروب طويلة مع أعدائهم على الحدود الشمالية الشرقية من الهياطلة أو الهون البيض ، ولذلك لم تقع اعتداءات على الحدود بين القوتين العظميتين . وعلى ذلك يمكن القول ان الربع الأخير من القرن الخامس شهد سلاما حقيقيا من الفرس والرومان (٩٤) بل ان زينون ظل يقدم المساعدات المالية للفرس ، حتى يتمكنوا من مواصلة الحرب ضد الهون ، الذين نظر اليهم كل من الفرس والرومان على أنهم عدو مشترك . وحتى لا يتكرر ما فعله الهون بالأراضي الرومانية في سوريا على عهد الامبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥ - ٤٠٨ م) ، عندما اخترقوا الأراضي الفارسية ، واجتاحوا أراضي الامبراطورية الرومانية ، وأحدثوا بها الخراب والدمار (٩٥) .

على أن المساعدات المادية التي قدمها زينون للفرس استمرت حتى وفاة فيروز ملك الفرس (٤٥٩ - ٤٨٤ م) (٩٦) غير أن الامبراطور زينون امتنع عن تقديم هذه المساعدات لخليفته بلاش (٤٨٤ - ٤٨٨ م) ، لأن بلاش أعلن تأييده ، للحركة الانفصالية في أنطاكية ، بعد أن تسلم من قادتها اعانة مالية . ولذلك أرسل اليه زينون يذكره بأحقية الرومان في مدينة نصيبين قائلا : « ان الضرائب التي تحصلون عليها من مدينة نصيبين تكفيكم ، والتي كانت منذ سنوات عديدة يحصل عليها « البيزنطيون » (٩٧) . بيد أن بلاش لم يبد أي ميول عدوانية ضد الرومان ، لظروفه الداخلية والخارجية الجرجة ، بل على العكس من ذلك ، فقد اتسم عهده بالتسامح الكامل مع المسيحيين في بلاده ، وفي أرمينيا الفارسية ، وبخاصة بعد أن نجح في عقد معاهدة سلام مع الهياطلة لمدة عامين (٩٨) . وهكذا يمكن القول ان الخلافات بين القوتين العظميين أمكن علاجها بالأسلوب الدبلوماسي دون اللجوء الى استخدام القوة ، وهو الطابع الذي ساد في عهد زينون .

(٩٤) Zachariah, Op. cit., p. 151; Diehl, Justinien et la civilisation Byzantin au VI Siècle, p. 208, Stein, Op. cit., II, p. 65.

(٩٥) Joshua, Op. cit., pp. 7-8.

(٩٦) Ibid, Op. cit., pp. 8-9; Zachariah, Op. cit., p. 153.

(٩٧) Joshua, Op. Cit., p. 12; Bury, Op. cit., II, p. 10.

(٩٨) Michel Le Syrien, Op. cit., II, p. 151; Bury, Later Roman Empire, 2, p. 7.

على أن السلام بين القوتين العظميين تعرض للخطر في بداية عهد أنستاسيوس ، الذي رفض تقديم أى مساعدات مالية للملك الفارسي قباد ، الذى كان قد اعتلى السلطة في بلاده ، بمساعدة الهون ، والذي أرسل رسالة إلى أنستاسيوس يطالبه بسرعة المساعدة المالية ، وفي نفس الوقت يهدده بالحرب في حالة عدم الدفع (٩٩) .

ولما كان الرومان على علم بطبيعة الصراع بين الفرس والهون ، فقد اغتنموا كل الفرص التي من شأنها العمل على بقاء الخلافات بين الفرس والهون ، وذلك عن طريق الاصرار على عدم مساعدة الفرس ماديا (١٠٠) . بيد أن قباد كان جادا في تهديده ، لحاجته الملحة للمال ، وبدأ عملياته العسكرية ضد الأراضي الرومانية بالاسيلا على مدينة مارتيروبوليس Martyropolis ( ميافارقين ) ، واستسلمت له دون قتال ، وتسلم قباد من سكانها ضرائب عامين (١٠١) . ثم سقطت بعدها مدينة ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis ( أرضروم ) ، في يدى قباد (١٠٢) .

غير أن أنستاسيوس لم يتمكن من التصدي لقباد الا بعد أن استولى الفرس على مدينة آمد Amida ، وتعرضت لأشد ألوان التخريب والدمار . وبالرغم من حشد أنستاسيوس قوات كبيرة لتحرير مدينة آمد ، فإن الجيش الروماني لم يتمكن من حسم المعركة ، كما أن الفرس اكتفوا بتشديد قبضتهم على ما تحت أيديهم ، وسحقوا للعرب المواليين لهم بالاغارات الخاطفة على الأقاليم الرومانية (١٠٣) .

وهكذا نجح الفرس في خططهم التي كانت تهدف الى فرض ارادتهم على الرومان ، واجبارهم على تقديم المساعدات المالية لهم . إذ ان قباد ظل متمسكا بمدينة آمد لمدة ثلاث سنوات ، والقوات الرومانية عاجزة عن تحريرها مما اضطر أنستاسيوس الى طلب الصلح طبقا للشروط الفارسية ، حيث عقدت معاهدة سلام سنة ٥٠٥ ، تعهد فيها الرومان بدفع اعانة مالية قدرها خمسة آلاف رطل من الذهب سنويا (١٠٤) .

Joshua, Op. Cit., p. 10.

(٩٩)

Theodore Lector, Op. cit., Col. 210; Procopius, Wars, 1, p. 49; Theophanes, Op. cit., I, p. 222; Lebeau, Op. cit., 7, p. 324; Bury, Op. cit., p. 11.

(١٠٠)

Procopius, Buildings, pp. 187-191.

(١٠١)

Joshua, Op. Cit., pp. 38-64; Zachariah, Op. cit., pp. 153-162;

(١٠٢)

Procopius, wars, 1, pp. 49-77; Marcellinus Comes, Op. cit., Col. 936.

(١٠٣)

Procopius, Wars, 1, p. 77; Zachariah, Op. cit., p. 163 ;

(١٠٤)

Lebeau, Op. cit., 7, p. 378.

وكشفت الحرب الفارسية عن نقاط ضعف في الجبهة الرومانية ،  
تبلورت في ضرورة اقامة قلعة عسكرية على الحدود مع الفرس ، تكون  
نقطة انطلاق للجيش الروماني ، ولحماية المناطق العربية التابعة  
للإمبراطورية من هجمات الفرس والعرب المواليين لهم (١٠٥) . ومن أجل  
تحقيق هذا الهدف سارع أنستاسيوس بتحويل مدينة دارا Daras  
الى قلعة عسكرية ، بها كل المتطلبات التي تسمح لها بالقيام بمهمتها  
على أكمل وجه ، وأطلق عليها أنستاسيوبوليس Anastasiopolis  
وبالرغم من أن هذا الاجراء يخالف المعاهدات بين القوتين العظميين بشأن  
عدم اقامة قواعد عسكرية على الحدود ، فان أنستاسيوس استغل فرصة  
انشغال قباذ في الحرب ضد الهون ، وسارع في انجاز هذا العمل الضخم  
الذي استغرق أكثر من عامين . كما سلك الأسلوب الدبلوماسي لمعالجة  
التهديدات الفارسية ، عن طريق تقديم الأموال والهدايا (١٠٦) كما  
استغل أنستاسيوس الفرصة لصالح الإمبراطورية ، وسارع أيضا بتقوية  
قلعة ثيودورسيوبوليس Theodosiopolis ( أرضوم ) ، في أرمينيا  
الرومانية ، وحولها الى قلعة حصينة وسماها أنستاسيوبوليس  
أيضا (١٠٧) .

ومنذ معاهدة السلام سنة ٥٠٥ ، فان العلاقات الفارسية الرومانية  
ظلت عادية ، ودون حروب ، حتى بداية عصر جوستينيان (١٠٨) .

ويتضح للباحث أن هذه الفترة التي اعتلى فيها عرش الإمبراطورية  
زينون ، وخلفه أنستاسيوس كانت فترة صعبة بالنسبة للفرس والرومان ،  
اذ ظلت القوتان العظميان تعملان بصفة مستمرة للتصدي لآغارات  
القبائل ، وهو الأمر الذي استنفد القدر الكبير من قواهما المادية  
والعسكرية . كما أن ما قام به قباذ ، من احتلاله لبعض المدن الرومانية  
انما كان هدفه في المقام الأول ، هو فرض الإرادة على الرومان ، وضمان  
التعهد باستمرار دفع الإعانة المالية للفرس ، ولم يكن هدفه التوسع  
وضم الأراضي بأية حال من الأحوال .

Joshua, Op. cit., p. 70; Zachariah, Op. cit., p. 104. (١٠٥)

Joshua, Op. cit., p. 70; Procopius Wars, I, p. 81; (١٠٦)

Zachariah, Op. cit., pp. 165-166; Procopius, Buildings,  
pp. 99-101; Malalas, Op. cit., p. 209; Theophanes, Op. Cit., p. 231;  
Cedrenus, Op. cit., I, p. 630.

Procopius, Buildings, pp. 201-203; Malalas, Op. cit., p. 399. (١٠٧)

Holmes, Op. cit., I, p. 178; Bury, Op. cit., II, p. 14. (١٠٨)

وإذا كان القسم الشرقي من الامبراطورية قد نجى من غارات القبائل ، فى هذه الفترة التاريخية ، فان القسم الغربى قدر له الوقوع فى أيدي هذا السيل العرم من القبائل ، وترتب على ذلك سقوط آخر أباطرة القسم الغربى ، الامبراطور الطفلس رومولوس أجوستولوس Rumulus Augustulus وتمكن أدواكر Odovacer من اعتلاء السلطة هناك ، ونفى الامبراطور سنة ٤٧٦ (١٠٩) • على أن أدواكر عمل على ارضاء الامبراطور زينون باعلانه التبعية له ، وذلك بازسالة الشعارات والرموز الامبراطورية الى القسطنطينية ، للتعبير عن تبعيته ، وأنه يحكم فى ايطاليا باسم زينون ، واستجاب زينون - مكرها - لهذا الطلب ، وأصبح أدواكر من الناحية القانونية حاكما على ايطاليا بالتعيين وذلك سنة ٤٨٠ (١١٠) •

ولا شك أن اتصالات أدواكر بالامبراطور زينون ، ومحاولاته فى الحصول على تأييد لوضعه الجديد ، كحاكم على ايطاليا ، وارساله شعارات ورموز الامبراطورية الى القسطنطينية ، انما كان هدفه فى المقام الاول ، اصفاء قناع من الشرعية على وضعه الجديد فى روما ذاتها ، أمام الشعب الرومانى • وذلك فى وقت كان فيه أدواكر على علم بطبيعة الصراع الداخلى على العرش فى القسطنطينية ذاتها من ناحية ومن ناحية أخرى معرفته أن القسطنطينية ذاتها لم يعد فى مقدرتها العمل على القضاء عليه بعد أن ضاع الاسطول الرومانى فى معركة باسيليسكوس الفاشلة ضد الوندال سنة ٤٦٨ • ولذلك كانت استجابة زينون لمطالب أدواكر ، من منطلق سياسة الاعتراف بالأمر الواقع ، على مضض ، حتى تحين الفرصة لتأديب أدواكر ، فى الوقت المناسب ، وحينما واثت زينون الفرصة ، فانه لم يضيعها على الإطلاق وكان ذلك على يد ثيودريك •

---

Marcellinus Comes, Op. cit., p. 932; Procopius, Wars, 3, (١٠٩)  
pp. 3-5; Jones, The Decline of the Ancient World, p. 92.  
Bradely, The Goths, p. 138; Holmes, Op. cit., p. 544; (١١٠)  
Vasiliev, Byzantine Empire, I, p. 107; Franzious, History  
of the Byzantine Empire, p. 55; Jones, Op. cit., p. 92.

وكانت طموحات ثيودوريك (١١١) بالبلفان قد وصلت الى حد تهديد عرش زينون ، ولذلك اقترح على ثيودوريك أن يذهب الى ايطاليا ، ومعه كل شعبه على أن يحكمها نيابة عن الامبراطور ، بعد القضاء على أدواكر ، واستجاب ثيودوريك لهذا العرض لأنه تلاقى مع طموحاته ، وتحرك ثيودوريك صوب ايطاليا سنة ٤٨٨ (١١٢) . على أن ثيودوريك لم يتمكن من السيطرة على ايطاليا بصفة نهائية الا سنة ٤٩٣ ، بعد مقتل أدواكر ، وهناك سارع ثيودوريك بإبلاغ الامبراطور أنستاسيوس ، ويذكره بعهد مع زينون ، ويطلبه بالاعتراف به حاكما على ايطاليا (١١٣) . غير أن اعتراف أنستاسيوس الرسمي بحكم ثيودوريك على ايطاليا كان سنة ٤٩٧ ، حيث أرسل اليه الرداء الأرجواني والتاج الخاص بأباطرة الغرب (١١٤) ولا ريب أن هذا يدل على أن الامبراطور أنستاسيوس ، أدرك الفرق بين حكومة ثيودوريك وحكومة أدواكر . واستمرت العلاقات على ما يرام ، بين ثيودوريك ، والامبراطور أنستاسيوس حتى أواخر أيامه ، ففي إحدى رسائل الامبراطور - الى مجلس الشيوخ الروماني في روما ، وصف الامبراطور أنستاسيوس ثيودوريك « بالملك الممجّد الذي عهدنا اليه بالسلطة في ادارة شئونكم » . وذلك في الثامن والعشرين من شهر يوليو سنة ٥١٦ (١١٥) .

(١١١) هو ثيودوريك بن ثيوديمير Theodoric, the son of Theodomer . ولد سنة ٤٥٤ ، في إقليم يقع جنوب شرق النمسا Austria حاليا ، وبالقرب من مدينة فيينا Vienna . وذهب الى القسطنطينية ، وهو في الثامنة من عمره كرهينة بناء على اتفاقية سنة ٤٦٢ بين الامبراطور ليو الأول ( ٤٥٧ - ٤٧٤ م ) ، وخالة والمير Walmer ملك القوط ، وتعهد الأول بدفع ثلاثة آلاف رطل من الذهب سنويا للقوط مقابل حمايتهم حدود الامبراطورية ، وظل ثيودريك في القسطنطينية عشر سنوات ، حيث نال قسما وافرا من العلوم العسكرية . وتربى على أعلى مستوى هناك . ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره عاد الى قومه ، حيث اعتلى عرش القوط ، وهو العشرين سنة ٤٧٤ م ، النظر :

Henry Bradely, The Goths, pp. 133-137.

وكانتور ( نورمان ف ) التاريخ الوسيط ترجمة وتعليق الدكتور قاسم عبده قاسم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص ١٩٨ .

(١١٢) Marcellinus Comes, Op. cit., p. 934; Procopius, Wars, 3, p. 7.

Evagrius, Op. cit., p. 395; Bradley, The Goths, p. 138; Franzious, Op. cit., p. 59; Levchenko, Byzance des Origines a 1353, p. 53.

Hodgkin, Op. Cit., 3, pp. 390-392; Martroye, L'Occident A (١١٣)

L'Epoque Byzantine, p. 33; Holmes, Op. cit., 11, p. 549.

Bradley, Op. cit., p. 156; Hodgkin, Op. cit., pp. 392-393; (١١٤)

Martroye, Op. cit., p. 34.

Hodgkin, Op. cit., 3, pp. 424-425. (١١٥)



وإذا كان هذا هو موقف كل من زينون وأنستاسيوس بالنسبة لإيطاليا ، فإن الموقف بالنسبة لشمال أفريقيا كانت له طبيعة مؤلة بالنسبة للإمبراطورية ، وكانت مهمة أباطرة الرومان العمل على إعادتها إلى حظيرة الدولة ، وتأديب الوندال الذين اتسموا بالوحشية ومارسوا القرصنة ، فمنذ عهد جزيريك ( ٤٣٩ - ٤٤٧ م ) مؤسس دولة الوندال بشمال أفريقيا ، ظهرت هذه الدولة على صفحة التاريخ ، كدولة مغتصبة ، وعدوانية ، حتى صارت خطرا شديدا لا يمكن السكوت عليه ، بعد أن شملت أملاكها ، والتي اغتصبها من الإمبراطورية ، شمال أفريقيا ، وكل الجزائر الواقعة غرب البحر المتوسط . هذا في الوقت الذي مارست فيه أسلوب القرصنة ، والسلب والنهب في إيطاليا ذاتها ، وامتد هذا الأسلوب ليشمل الأجزاء الغربية من بلاد اليونان ، وجزائر بحر إيجة ، وامتدت أعمال القرصنة شرقا حتى جزيرة رودس ( ١١٦ ) .

غير أن آمال الرومان لم تتوقف بشأن التصدي للوندال والعمل على استرداد أراضي الإمبراطورية السليبية . وكانت أولى تلك العمليات التي قام بها الإمبراطور الغربي مارجورينوس Marjorinus ( ٤٥٧ - ٤٦١ م ) . حينما جمع جيشا كبيرا لهذا الهدف . بيد أن الخطة لم يكتب لها التنفيذ لموته المفاجيء ، حيث قتل في الثامن من أغسطس سنة ٤١٦ ، بعد أن قطع شوطا كبيرا على هذا الطريق ( ١١٧ ) .

على أية حال ، قويت آمال الرومان ، بشأن ضرورة استرداد أراضي الإمبراطورية وكانت هذه الفكرة الشغل الشاغل للإمبراطور ليو الأول ( ٤٥٧ - ٤٧٤ م ) ، الذي أعد حملة بحرية سنة ٤٦٧ م ، أنفق عليها مائة وثلاثين ألف رطل من الذهب ، وجمع لها أسطولا بحريا كبيرا ، من كل موانئ شرق البحر المتوسط ، وأعد لها مائة ألف رجل لاسترداد شمال أفريقيا من الوندال . في الوقت الذي تمكن فيه من استرداد جزيرة سردينيا Sardinia دون صعوبة ، بقيادة ماركيليانوس Marcellianus . كما استطاعت القوات الرومانية بقيادة هرقلوس Heracleius من استرداد طرابلس في ليبيا ، بعد هزيمة الوندال هناك وكذلك الاستيلاء على بعض المدن بسهولة . وترك هرقلوس أسطوله في طرابلس وتقدم برا صوب قرطاجة . غير أن باسيليسكوس

Procopius, wars, 2, p. 53; Vasiliev, Justin the First, pp. 337- ( ١١٦ )

338.

Procopius, Wars, 3, pp 165-69 ; Jones, The Decline of the ( ١١٧ )

Ancient World, p. 90.

Basiliscus قائد الحملة البحرية ، الذى لم يكن على مستوى الكفاية  
منى بالفشل الذريع ، واحترق أسطوله ، على يدى جزيريك ، بعد أن  
رواغه فى مهلة لمدة خمسة أيام للتشاور مع عشيرته بشأن  
التسليم (١١٨) .

على أن هزيمة باسيليسكوس ، والقضاء على الأسطول البحرى ،  
جعلت الامبراطورية غير قادرة كلية على التصدى للوندال . فزاد  
جزيريك من غاراته الوحشية وجمع الاسلاب والغنائم والأسرى من  
سواحل الجزء الشرقى من الامبراطورية . لذلك لم يكن أمام الامبراطور  
زينون ( ٤٧٤ - ٤٩١ م ) ، سوى اللجوء الى الجبل الدبلوماسى ، وشراء  
السلام من جزيريك ، والاعتراف له بحق البقاء فى دولته ، فى الجزء  
الذى اغتصبه من أراضى الرومان بالقوة ، مع التعهد بعدم القيام بأعمال  
عدوانية ضد الوندال فى المستقبل ، ودفع فدية للأسرى الذين استولى  
عليهم جزيريك ، كل ذلك فى معاهدة ، بناء على جهود السفير البيزنطى  
سايروس Severus سنة ٤٧٥ ، وهى المعاهدة التى قدر لها البقاء حتى  
عصر جوستينيان (١١٩) .

ظلت العلاقات السلمية قائمة بين بيزنطة والوندال فى عهد  
الملك الوندالى هونريك Huneric ( ٤٧٧ - ٤٨٤ م ) ، خليفة جزيريك ،  
غير أن تعصب الوندال الشديد للمذهب الأريوسى ، واتباعهم اساليب  
وحشية فى اضطهاد المختلفين معهم فى المذهب من الأرثوذكس  
وغيرهم (١٢٠) . أجبر زينون على ارسال أكثر من سفير بغية حياية  
الأرثوذكس من الاضطهادات فى عهده . واذا كانت السفارة الأولى بقيادة  
الاسكندر Alexandre سنة ٤٨١ ، قد حققت شيئاً من النجاح ، تلام  
ذهاب وفد وندالى الى القسطنطينية حيث غمروهم زينون بالهدايا (١٢١) ،  
فان سفارة يورانيوس Uranius سنة ٤٨٤ منيت بالفشل الذريع ،  
حيث علق هونريك المشائق فى الشوارع أمام عيني السفير البيزنطى ،  
وعلى طول الطريق (١٢٢) .

Procopius, Wars, 3, pp. 55-63; Martroye, Op. cit., pp. 188-189; (١١٨)

Levchenko, Op. cit., p. 47.

Procopius, Wars, 3, p. 71; Lebeau, Op. cit., 8, pp. 70-71; (١١٩)

Bury, Op. Cit., p. 390; Brehier, Vie et Mart de Byzance p. 16.

Procopius, Wars, 3, pp. 73-75; Lebeau, Op. cit., 8, pp. 91-93. (١٢٠)

Lebeau, op. cit., 8, p. 120, Martoye, op. cit., pp. 191-192. (١٢١)

Lebeau, Op. cit., 8, p. 120; Martroye, Op. cit., p. 209. (١٢٢)

على أن العلاقات بين بيزنطة والوندال استمرت طيبة في عهدي الملك الوندالي جونثا موند (Gunthamund ٤٨٤ - ٤٩٦ م) وخليفته ترازا موند (Trasamund ٤٩٦ - ٥٢٣ م) بعد أن خفت حدة الاضطهاد تجاه الارثوذكس في شمال افريقيا . وتوثقت علاقات الصداقة بين الوندال والامبراطور أنستاسيوس (١٢٣) ، وهو الأمر الذي مهد السبيل لتعزيز تلك العلاقات منذ بداية عصر الامبراطور جوستينيان .

والواقع أن عهد أنستاسيوس بالنسبة لهذه الفترة التاريخية له أهمية كبرى ، إذ استطاع اصلاح الكثير من أمور الامبراطورية ، وبصفة خاصة ، تمكن من الانتقال بالدولة من حافة الافلاس الاقتصادي التي ظلت تعاني منها نتيجة للنقبات الباهظة لحملة باسيليسكوس الفاشلة ضد الوندال سنة ٤٦٨ ، وما تلاها من حروب أهلية وصراعات على السلطة في عهد زينون الى أن استطاع تصحيح المسار الاقتصادي للامبراطورية ، « وترك آلافا من أرطال الذهب التي يصعب حصرها أو عدها » . على حد قول المؤرخ المعاصر حنا ليدوس John Lydus (١٢٤) وهو المبلغ الذي قدره بزوكونيوس بحوالى ثلاثمائة وعشرين ألف رطل من الذهب (١٢٥) وبذلك مهد السبيل لخليفته جوستينيان الكبير للقيام بمشاييعه العديدة ، مما جعل عهد أنستاسيوس ، من الناحية الاقتصادية مقدمة رائعة لعصر جوستينيان .

على أن الفضل في انجازات أنستاسيوس الاقتصادية . يعود الى حسن اختياره للرجال الذين عاونوه ، وعلى رأسهم مارينوس السرياني Marinius the Syrian ، الذي لعب دورا مهما في الاصلاحات المالية في عهد أنستاسيوس . وكان مارينوس من أعظم المستشارين الذين وضع أنستاسيوس ثقته فيهم طوال فترة حكمه . وأثبت أنه رجل قدير ، ولاسيما أنه تدرج في سلك الوظائف الاقتصادية من بداية السلم الوظيفي الى نهايته (١٢٦) .

(١٢٢) Procopius, Wars, 3, pp. 75-77; Martroye, Op. cit., pp. 209-210; Vasiliev, Justin, pp. 338-339.

(١٢٤) John Lydus, De Magistratibus, p. 244; Tsirpanlis, «John Lydus on the Imperial Administration», Byzantion, 44, (Bruxelles, 1974), pp. 479-480.

(١٢٥) Procopius, The Secret History, p. 137.

(١٢٦) John Lydus, Op. cit., p. 242; Malalas, Op. cit., p. 400; Bury, Op. cit., p. 443; Stein, Op. cit. II, p. 194; Jones, Later Roman Empire, I, p. 235.

بدأ أنستاسيوس إصلاحاته الاقتصادية بإلغاء « ضريبة التجارة Chrysargyron وذلك سنة ٤٩٨ (١٢٧) بهدف تخفيف الأعباء الاقتصادية الثقيلة عن السواد الأعظم للشعب ، بالرغم من أن الدولة كانت في ذلك الحين في أمس الحاجة للأموال التي تدخل الخزانة من هذه الضريبة . بيد أنه تمكن بأساليب اقتصادية أخرى من تعويض العجز الناتج عن إلغاء هذه الضريبة (١٢٨) . وترجع هذه الضريبة الى القرن الرابع الميلادي حيث فرضها الامبراطور قنستنتين (١٢٩) . وكانت تجبى كل أربع أو خمس سنوات من كل أصحاب الحرف والمهن في الامبراطورية ، ومن الخدم والشحاذين ، والمتحرفين ، وعن المواشي ، والدواب والخيول ، والحمير والبغال ، والكلاب ، وعانت الطبقات الفقيرة بصفة خاصة من عبء هذه الضريبة (١٣٠) . ومن الناحية الرسمية كانت تجبى مرة واحدة كل خمس سنوات . بيد أنه من الناحية الواقعية نجد أن تحديد جمعها كان متروكا لتحكم الجهاز الإداري . ووصل الأمر أن شعر السكان باليأس نتيجة لتكرار جمعها . فمن أجل تدبير المال اضطر الكثيرون من الآباء الى بيع أولادهم في أسواق الرقيق ، وبناتهم للقائمين على الدعارة ، هذا في الوقت الذي أعفى منها كبار رجال الدين التابعين للمذهب الارثوذكسي ، والمحاربين المتقاعدين ، الذين يمارسون الأعمال التجارية الصغيرة. (١٣١) .

ولكى يزيل الامبراطور أنستاسيوس كل آثار هذه الضريبة البغيضة ، فإنه جمع كل سجلاتها من الأقاليم ، وفي وسط ميدان سباق الخيل أقام احتفالا باحراقها أمام الشعب ، معلنا بذلك نهاية ، لارجعة فيها ، لهذه الضريبة التعسفية (١٣٢) . ويحق لنا أن نتصور المبالغ

(١٢٧) Joshua, Op. cit., p. 22; Theodore Lector, Op. cit., Col. 210;

Malalas, Op. cit., p. 398; Evagrius, Op. cit., p. 384.

(١٢٨) تم تعويض النقص في دخل الدولة من جراء إلغاء هذه الضريبة من مساهمة مالية معادلة من دخل الممتلكات التابعة للامبراطور . وببدا أن الضياع التابعة للامبراطور زادت الى حد كبير في عهد أنستاسيوس . وفي الدرجة الأولى من مصادرات ممتلكات زينون والايسوريين ، وإلغاء الإعانة التي كان قد قروها زينون للايسوريين ، انظر :

Bury, Op. cit., p. 442.

(١٢٩) Lebeau, Op. cit., p. 247; Vasiliev, Byzantine Empire, 1, p. 112.

(١٣٠) Cedrenus, Op. cit., I. pp. 626-627; Hodgkin, Op. cit., 3, pp. 383-384; Vasiliev, Op. cit., p. 112.

(١٣١) Holmes, Op. cit., I, p. 155.

(١٣٢) Evagrius, Op. cit., p. 347; Holmes, Op. cit., I, p. 156,

Vasiliev, Op. cit., I, p. 112.

الضريبة التي كانت تدخل خزانة الدولة من هذه الضريبة ، اذا ما عرفنا أن مدينة الرها وحدها كانت تدفع كل أربع سنوات مبلغا قدره مائة وأربعين رطلا من الذهب (١٣٣) . ولا شك أن الشعب في أنحاء الامبراطورية ، ابتهج لالغناء هذه الضريبة ، كما عبر عن ذلك مؤرخ معاصر (١٣٤) . ولاريب أيضا أن الكنيسة شعرت بالرضا لأنها ألغت ما كان يحصل من المنحرفات اللاتي حصلن على الحق الضمني من الناحية القانونية في ممارسة الرذيلة دون عقاب ، لأن هذه الضريبة كانت تشملهم (١٣٥) .

وعمل أنستاسيوس على زيادة دخل الدولة عن طريق التوسع في تحويل ضريبة القمح *annona* الى ضريبة نقدية ، ولذلك سميت « ضريبة الذهب » أو الضريبة التي كانت تدفع ذهباً بدلا من ان تدفع عينية . ومن الواضح أنها ضريبة تتعلق بالأرض ، وكان الهدف الأساسي منها إعانة الجيش . بيد أن هذه الضريبة كانت عبثا ثقيلا على الطبقات الفقيرة ، حتى بدا أن كل الإصلاح المالي يأخذ نظرة عملية تنظيم الأعباء الضريبة أكثر من انقاصها بشكل واقعي (١٣٦) .

على أن أكثر الإصلاحات المالية أهمية ، بناء على نصيحة مارينوس السرياني ، والذي كان يشغل في ذلك الحين وظيفة « رئيس حكام الأقاليم » *Pratorian Prefect* ، هو إلغاء النظام الذي بمقتضاه كانت المجالس المحلية *Curiae* تقوم بجعب الضرائب ، وكلفه أنستاسيوس موظفين عرفوا باسم « المطالبون بحقوق الدولة » *Vindices* لتحصيل هذه المسؤولية وهم الذين كانوا مسئولين مباشرة أمام رئيس حكام الأقاليم . وقد أدى هذا الأسلوب الاقتصادي الى زيادة كبيرة في الدخل الحكومي (١٣٧) ويبدو أن مشكلة الأراضي المجردة ، على عهد أنستاسيوس ،

(١٣٣) *Joshua*, Op. cit., p. 22; *Vasiliev*, Op. cit., I, p. 112.

(١٣٤) ابتهج مدينة الرها لإلغاء هذه الضريبة ، وأقيمت الأفراح والأعياد ، وارتدى الجميع الثياب البيضاء ، وحملوا الشموع الطويلة ، والمباخر ، وطاقوا بأكبر الكنائس بالمدينة ، وظلت الاحتفالات لمدة أسبوع . وأصبح تاريخ إلغاء هذه الضريبة ذكرى سنوية تحتفل بها المدينة كل عام ، انظر :

*Joshua*, Op. cit., pp. 22.

*Evagrius*, Op. cit., pp. 377-378. (١٣٥)

*Evagrius*, Op. cit., p. 384; *Holmes* Op. cit., I, pp. 158-159; (١٣٦)

*Bury*, Op. cit., p. 444; *Vasiliev*, *Byzantine Empire*, I, p. 113.

(١٣٧)

*John Lydus*, Op. cit., p. 242 ; *Holmes*, Op. cit., p. 157; *Vasiliev*, *Byzantine Empire*, I, p. 113.

أصبحت أشد خطورة عن ذي قبل ، فوق عبء الضرائب الإضافية ، على أناس غير قادرين على السداد مثلما وقع على الأراضى غير المنتجة ، لذلك أصبح ملاك الأراضى المنتجة مسئولين عن الدفع الكامل للضريبة الحكومية . وهذه القيمة الضريبية الإضافية عرفت ، باللغة اليونانية باسم «Epibole» وهى تعنى « الزيادة » ضريبة إضافية (١٣٨) .

ومن أجل التخفيف عن الطبقات الفقيرة ، وعدم استغلال التجار لهم ، تابع أنستاسيوس بشدة عملية البيع الاجبارى للمواد الغذائية بسعر منخفض ، تحدده الدولة ، وهو ما عرف باسم Coemptio (١٣٩) . كما أصدر الامبراطور أنستاسيوس مرسوما ينص على أن المزارع الأجير الذى عاش فى نفس المكان لمدة ثلاثين عاما يصبح قنا Colonus ، ومرتبطا بالأرض ، بيد أنه لا يفقد حريته الشخصية وحق التملك (١٤٠)

ولقد رحبت الطبقات الفقيرة فى الامبراطورية ، لاصداره عملة برونزية ، أطلق عليها follis بفئانها الصغيرة ، لأن العملة النحاسية صارت نادرة التداول ، ورديته فى نوعها ، ومجهولة القيمة . بيد أن أنستاسيوس ربط العملة الجديدة بالنقد الذهبى (١٤١) .

هكذا كانت أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستينيان ، والذى استطاع بثاقب بصره وبصيرته ، أن يدعم أركان الامبراطورية الرومانية ، عن طريق اعادة بناء الكيان العام للدولة فى الداخل ، بما أصدره من تشريعات تناولت شتى نواحي الحياة ، والذى تمكن من اعادة أمجاد الرومان باسترداد الأراضى السليبية فى الغرب ، والذى أعاد الاتحاد مع الكنيسة فى روما بعد الانشقاق والذى وحد قوانين الامبراطورية ، بعد أن تضاربت الآراء لتعدد التشريعات . والذى تصدى لأعداء الامبراطورية بالشرق دفاعا عن حدودها ، حتى يتفرغ لاستعادة ما فقدته الامبراطورية بالغرب . والذى كان جوهر سياسته « اقامة امبراطورية واحدة ، بقانون واحد ، وبكنيسة واحدة ، تحت رياسته » .

---

Bury, Op. cit., p. 444; Stein, Op. cit., II, p 209; (١٣٨)

Vasiliev, Op. cit., I, p. 113.

Stein, Op. cit., pp. 200-201. (١٣٩)

و د . السيد الباز العرينى ، الامبراطورية البيزنطية ص ٦٠ .

Vasiliev, Byzantine Empire, 1, p. 113; Stein, Op. cit., p. 208. (١٤٠)

و د . السيد الباز العرينى ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦١ .

Bury, Op. cit., p. 446-7; Vasiliev, Op. cit., I, p. 113. (١٤١)

و د . السيد الباز العرينى ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٠ .



## جوستنيان والامبراطورية العالمية

أسرة جوستنيان ونشأته الأولى - حضور جوستين الى القسطنطينية  
حضور جوستنيان الى العاصمة - اعتقال جوستين للعرش - جوستنيان  
في عهد خاله - جوستنيان الامبراطور - جوستنيان وثيودورا - الخلفية  
الايدولوجية لسلطة جوستنيان - جوستنيان ونظرية المشيئة الالهية -  
ايمان جوستنيان الشديد بفكرة الامبراطورية العالمية .

دفع الفقر المدقع والحرمان الشديد المزارع جوستين ، وهو في  
العشرين من عمره ، الى ترك بلدته بيديريا Bederiana باقليم اليريا  
Illyricum في صحبة اثنين من أصدقائه ، والذهاب سيرا على الاقدام  
الى القسطنطينية لتحقيق حياة أفضل . وتحقق أمل جوستين بالعمل ضمن  
قوات الحرس الامبراطوري سنة ٤٧٠ . (١) وذلك في وقت انشاء  
الامبراطور لقوة جديدة لحراسة القصر تحت اسم Excubitors لتكون  
عاملا لقيام توازن بعد أن ازداد نفوذ الجرمان . وتكونت هذه القوة  
الجديدة من سكان أقاليم مختلفة في الامبراطورية شريطة أن يكون الجندي

Procopius, The secret History, p. 68; Bury, Later Roman (١)  
Empire, 2, pp. 18-19; Diehl, Justinien, p. S.; Holmes Op. cit., I p. 300;  
Stein, Op. cit., p. 221; Vasilev, Justin the First, (Cambridge, 1950).  
p. 63.

وذكر زوناراس أن جوستين كان يعمل مزارعا أو راعيا للبقر والمنازير ، انظر :  
Zonaras, Epitome Historiarum, 3, p. 144.



المنضبط اليها يتمتع بقوة بدنية فائقة . (٢) ويبدو أن هجرة الشباب من أمثال جوستين وتركهم موطنهم الأصلي ، إنما يرجع للخراب الشديد الذي أحاق بأقليمهم على أيدي جيش أتيل Attila سنة ٤٤٧ ، بعد عبوره نهر الدانوب ، الأمر الذي أجبر حاكم الاقليم في ذلك الحين على نقل محل إقامته الى مدينة ثيسالونيك Thessalonique كما ذكر جوستينيان في إحدى ( نوافلاته ) (٣) . ولم تكتب السلامة بعد ذلك لهذا الاقليم ، إذ لم يكذب يفتق من هجوم أتيل الوحشي ، حتى أكمل القوط الشرقيون على البقية الباقية من مظاهر الحياة به ، وذلك إبان اختلافهم مع ليو الأول ، الى أن اضطر الى عقد سلام معهم سنة ٤٦١ ، بعد أن تركوا اقليم الليريا ، وهو في حالة يرثى لها ، لذلك كان طبيعيا أن يفادر - من بقي على قيد الحياة - السكان اقليمهم للحصول على حياة أفضل في العاصمة (٤) .

على أية حال ، ظل جوستين يعمل في الحرس الامبراطوري ضمن قوات Excubitors حتى اعتلائه للعرش . وبالرغم من عدم توافر مادة علمية تاريخية عن جوستين في عهد زينون ، فإنه ظهر على مسرح الأحداث التاريخية في عهد أنستاسيوس في أكثر من موقف : فاشترك جوستين ، تحت قيادة حنا الأحدب ، في القضاء على الأيسوريين ، في آسيا الصغرى (٥) . وبعد انتهاء الحرب الأيسورية اشترك جوستين في الحرب الفارسية ، في عهد أنستاسيوس إبان محاولة استرداد مدينة آمد ، وفي مهاجمة الأراضي الفارسية متعاوناً مع القائد كيلير Celer ، ولعب دوراً مهماً في إنهاء هذه الحرب ، وفي التوصيل الى سلام مع الفرس (٦) .

Vasiliev, Justin, p 64.

(٢)

وكانت قوات حرس القصر في ذلك الحين تتكون من الجماعات التالية : Sholanians وهم مسلحون بالدروع الذهبية والرماح والخوذات الذهبية التي تعلموها حلية من الريش الأحمر ، ثم جماعة Excubitors ، وهم الذين تميزوا بالقوة البدنية والمقدرة القتالية العالية ويحملون فتوساً ذات حدين ، وجماعة Candidates وهي قوات كانت ترتدى الملابس البيضاء المحلاة بالذهب ويحملون سيوفاً طويلة ، انظر :

MacCabe, Op. cit., p. 5.

Les Nouvelles de L'Empereur Justinien, tradites en francais (٣)  
par B. Berengev fils de Valesced (Drôme), Tome Premier, (Paris, 1811), Nouvelle, XI, p. 108.

Vasiliev, Op. cit., p. 64.

(٤)

Procopius, The Secret History, p. 68; Holmes, Op. cit., p. 300;

(٥)

Stein, Op. cit., p. 221; Vasiliev, Op. cit., p. 66.

Joshua, Op. cit., p. 65; Procopius, Wars, I, p. 61, II, p. 387;

(٦)

Holmes, Op. cit., 1., p. 301; Stein, Op. cit., II, p. 221;

Vasiliev, Justin, p. 67.

على أن مقدرة جوستين الحربية ظهرت فى التصدى لهجوم فيتاليان *vitalian* الذى أعلن الثورة على الامبراطور أنستاسيوس (٧) ونتيجة لما حققه جوستين من نجاح وإخلاص للامبراطور أنستاسيوس فقد تدرج سلم الترقية حتى وصل الى منصب قائد الحرس الامبراطورى لفريق *Excubitors* وبمعنى آخر أنه أصبح فى عهد أنستاسيوس قائدا للقوات التى بدأ حياته بها مجرد جندي عادى ، ويضاف الى ذلك أنه تمتع بعضوية مجلس الشيوخ ، كما حصل على لقب بطريق « (٨) » .

وعلى ضوء تحسن آحوال جوستين الاقتصادية ، وما حققه من نجاح فى القسطنطينية ، فإنه لم ينس شقيقته الوحيدة ، التى كانت فى بلدة توريزيوم *Tauresium* القريبة من بلدته ، لذلك طلب منها الحضور الى القسطنطينية ، ومعها صغيرها بطرس ساباتيوس *Petrus Sabbatius* وابنتها فيجيلانتيا *Vigilantia* وتبنى جوستين ابن شقيقته ، وحمل الصبي اسم التبنى « جوستينيان » ، واعتنى جوستين به عناية فائقة ، وعلمه أحسن تعليم (٩) .

ويبدو أن عدم انجاب جوستين كان أحد العوامل الرئيسية فى تبنيه لابن شقيقته ، اذ ان جوستين كان متزوجا من جاريتة لوبيكينا *Lupicina* والتى تغير اسمها الى أيو فيماى *Euphemia* على أثر اعتلائه للعرش (١٠) .

استطاع جوستين السيطرة على كرسى العرش فى الامبراطورية فور وفاة الامبراطور أنستاسيوس فى التاسع من يوليو سنة ٥١٨ ، دون عقب (١١) . فبالرغم من عدم وجود امبراطورة تساعد على تحديد شخص

*Procopius, The secret History, p. 68; Holmes, op. cit., I, p. 301;* (٧)

*Bury, Later Roman Empire, 2, p. 19; Stein, Op. cit., p. 221.*

*Theodore Lector, Op. cit., Col. 203; Chronicon Paschale, p. 611;* (٨)

*Cederenus, Op. cit., II, p. 19; Vasiliev, Op. cit., p. 67.*

*Procopius, Buildings, p. 224, Lebeau Historie du Bas-Empire,* (٩)

*8, p. 87; Diehl, Justinien, pp. 5-6; Holmes, Op. cit., I, p. 87;*

*Diehl, Justinien, pp. 5-6; Holmes, Op. cit., I, p. 303; Walton, Historical In trodution to the Roman Law, pp. 297-298.*

*Theodore Lector, Op. cit., Col. 203; Procopius, The secret* (١٠)

*History, p. 70; Victor Jonnenensis, Chronicon, Col. 952; Theophanes, Op. cit., I, p. 254; Zonaras, Op. cit., 3, p. 146, Lebeau, Op. cit., 8, pp. 10-11; Holmes, Op. cit., I, p. 301; Bury, Op. cit., II, p. 19; Vasiliev, Justin, pp. 60-61.*

(١١) كان هناك العديد من الشخصيات المشهورة من اقارب أنستاسيوس والذين كان

لهم نفوذ كبير ، انظر .

*Procopius, Wars, I, p. 83; Evagrius, Op. cit., p. 387.*

الامبراطور الجديد ، كما فعلت إريادن ، التي توفيت قبل زوجها .  
أنستاسيوس بثلاث سنوات ، أو وجود قيصر ليتولى العرش بطريقة تلقائية ،  
فإن الموقف انتهى لصالح جوستين .

ففى ميدان سباق الخيل - وهو المكان الذى اعتاد شعب القسطنطينية  
على التجمع فيه للتعبير عن آرائهم بحرية تامة - اجتمع الشعب لمراقبة  
الامبراطور الجديد . هذا فى الوقت الذى رشحت فيه قوات الحرس التى  
يرأسها جوستين الضابط حنا John الذى كان يعمل ضمن قوات  
الحرس بالقصر ، وأحد أصدقاء جوستين ، بيد أن فريق الزرق اعترض  
عليه ، ورشقوه بالحجارة . وأدت هذه الحادثة الى مقتل البعض . وفى  
الوقت نفسه رشحت الجماهير جوستينيان لتولى الامبراطورية ، بيد أنه رفض  
ذلك العرض (١٢) . ومن المحتمل أن رفض جوستينيان لهذا العرض مرجعه  
أنه كان على علم بما يدور فى مخيلة خالة ووالده بالتبني من مخططات (١٣) .  
وبخاصة أن وجود جوستينيان فى هذا الوقت بالذات فى ميدان سباق  
الخيل ، وترشيح الشعب له لدليل على قوته وشعبيته ، وأن وجوده فى  
ميدان سباق الخيل كان جزءا متما لحطة خاله ، وكأجراء حيوى وتمهيدى  
لنجاح الخطة .

على أن الجماهير التى كانت خالية الذهن عمما يدور فى مخيلة  
جوستين - وربما جوستينيان - طالبت جوستينيان باعتلاء العرش . هذا  
فى الوقت الذى رفض فيه ذلك العرض مبرهنا على حكمته ، ورويته  
وتبصره بالأمور ، وشعوره بالوفاء لخاله وولى نعمته .

على أية حال ، فقد امتلك جوستين كل عناصر النجاح : فالذهب  
الذى تحت يديه ، وزعه على كبار رجال القصر ، وأعضاء مجلس الشيوخ ،  
الذين أعلنوا ترشيح جوستين ، وأيدهم فى ذلك كبار رجال الدولة ،

(١٢)

Manojlovic, «Le Peuple de Constantinople», Byzantion XI (Bruxelles, 1936), pp. 691-692; Cameron, Circus Factions (Oxford, 1976), pp. 263-264.

(١٣) فور وفاة أنستاسيوس سلم الحصى أمانيوس Amantius الحاجب بالقصر ،  
الى جوستين مبلغا كبيرا من المال لتوزيعه على كبار القادة والشخصيات التى لها القدرة  
على مساعدة ثيوكريتوس Theocritus لاعتلاء العرش ، وهو أحد أتباع أمانيوس .  
وصنائه ، وحتى يكون تحت سيطرته فى حالة نجاح الخطة ، لاستحالة اعتلاء أمانيوس  
للعرش لأنه لا يجوز أن يتولى الامبراطورية أحد الحصيان ، بيد أن جوستين استغل الموقف  
لصالحه شخصيا ، انظر :

Zachariah Op. cit., p. 190, Evagrius, Op. cit., pp. 387-8;  
Chronicon Puschale, Op. cit., pp. 611-612; Malalas, Op. cit., pp. 410-411;  
Zonaras, Op. cit., pp. 144-145; Lebeau, Op. cit., pp. 6-7.

والبطيريك حنا John ، ثم ذهبوا الى ميدان سباق الخيل حيث عبر الشعب عن موافقته بهتافات التأييد ، وجرت مراسيم التعيين ، بعد أن قدم اليه موظفو القصر الزى الامبراطورى ، وألبسه البطيريك حنا التاج الامبراطورى وظهر جوستين لأول مرة بالزى الرسمى فى المقصورة Kathisma بميدان سباق الخيل (١٤) .

وعبر جوستين عن مساعدة رجال القصر ، ومجلس الشيوخ له ، فى الوصول الى العرش فى الرسالة الأولى الى البابا هورميرداس Hormisdas بعد ثلاثة أسابيع فقط ( أول أغسطس سنة ٥١٨ ) . من اعتلائه للعرش حيث قال : « بنعمة الثالوث الأقدس » ، توليت الامبراطورية ، باختيار كبار رجال قصرنا المقدس ، ومجلس الشيوخ ، ثم بموافقة وتأييد الجيش » (١٥) .

كان على جوستين أن يوطد دعائم حكمه ، لذلك وجد من صالحه تنحية كل أقارب أنستاسيوس عن وظائفهم ، برغم كثرة عددهم (١٦) . وعاقب الضابط حنا الذى راودته الرغبة فى اعتلاء العرش قبل انتهاء مجلس الشيوخ من اعلان جوستين ، وذلك باجباره على الانخراط فى السلك الكهنوتى (١٧) . وهى عقوبة مخففة درج عليها أباطرة بيزنطة ضد الشخصيات المهمة فى الدولة ، كما يادر جوستين بالتخلص من أمانيوس وجماعته بالقتل (١٨) .

غير أن جوستين كان قد ناهز السادسة والستين عند اعتلائه للعرش ، كما كان أميا ، ولا يتقن سوى المسائل العسكرية فجسب (١٩) لذلك كان طبيعيا أن يتولى ابنه ( بالتبني ) جوستينيان - الذى كان فى

Bury, Op. cit., II, p. 17; Vasiliev, Justin, pp. 71-72. (١٤)

Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum Vol. (١٥)

XXXV, Coll. Avell., No. 141, p. 586; Bury, Op. cit., p. 18; Vasiliev, Justin the First p. 80.

Procopius, wars, I, p. 83. (١٦)

Victor Tonnensis, Op. cit., Col. 952. (١٧)

Procopius, The secret History, p. 71, Marcellinus Comes. (١٨)

Op. cit., col. 940; Zachariah, Op. cit., 189; Victor Ionnensis; Op. cit., Col. 942; Evagrius, Op. cit., p. 388.

والجدير بالذكر أن بروكوبيوس حمل جوستينيان مسئولية حكم الامبراطورية فى عهد خاله وأنه يعتبر جوستينيان الحاكم الحقيقى للامبراطورية ، منذ اللحظة الأولى التى اعتلى فيها خاله جوستين العرش وهى الفكرة التى أكد عليها بروكوبيوس مرارا فى كل أعماله .

Procopius, The secret History, p. 69; Malalas, Op. cit., p. 412; (١٩)

Chronicon Paschale, p. 617; Lebeau, Op. cit., 8, p. 8.

الخامسة والثلاثين من عمره - أمور الدولة منذ البداية ، نيساية عن جوستين (٢٠) . وبخاصة أنه كان مؤعلا لهذا العمل الشاق ، ولعل خير تعبير عن قدراته في إدارة شئون الدولة ، ما كتبه عنه مؤرخ عصره ، « أنه كان بكل صدق امبراطورا بالطبيعة والوراثة » (٢١) .

والواقع أن جوستينيان من الناحية العملية كان المسئول الأول عن أمور الدولة سنوء في الداخل أو في الخارج ، منذ اعتلاء خاله للعرش وهو ما سيظهر في موضوع البحث ، حتى أنه يمكن القول أن عصر جوستينيان من الناحية الواقعية يبدأ منذ سنة ٥١٨ ، برغم أن جوستينيان ظل وفيا لخاله ، وقبل مبدأ صعود السلم الوظيفي في الدولة تدريجيا ، وربما كان ذلك عن رغبة ورضا حتى يزداد حنكة ودراية بمجريات كل الأمور .

فقبل اعتلاء خاله للعرش ، كان جوستينيان ، يعمل ضمن الحرس الشخصي للامبراطور أنستاسيوس ، وهي القوات المعروفة باسم Candidati (٢٢) . وما أن اعتلى خاله العرش حتى تولى جوستينيان وظيفة قائد قوات الحرس الامبراطوري وهي وظيفة Count of Domestics ثم صار قائدا عاما للجيش سنة ٥١٩ (٢٤) . وتمكن جوستينيان من التصدي لرغبة فيتاليان في اعتلاء العرش ، بعد أن صار خطرا شديدا على الدولة ، اذ كان قنصلا عاما سنة ٥٢٠ ، وقائدا كبيرا لاخدى فرق الجيش (٢٥) . وفيتاليان هذا هو الذى أثارت طموحاته الكبيرة العديد من المتاعب لفترة طويلة من عهد الامبراطور أنستاسيوس .

على أن جوستينيان استطاع أن يكسب الى صفه فريق الزرق

Procopius, The Secret History, p. 70; (٢٠)

Ibid, Buildings, p. 39.

Procopius, Buildings, p. 9. (٢١)

Victor Tonenesis, Op. cit., Col. 952. (٢٢)

Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latniorum, Vol. XXXV, (٢٣)  
p. 614; Bury, Op. cit., p. 21, Vasiliev, Justin, p. 93.

Victor Tonenesis, Op. cit., Col. 952; Bury, Op. cit., II, p. 21; (٢٤)

Vasiliev, Justin, p. 93.

Procopius, The Secret History, p. 71; Zachariah Op. cit., 8 (٢٥)  
pp. 20-21.

بالسيرك عندما تولى القنصلية (٢٦) فى العام التالى على مقتل فيتاليان (٥٢١ م) ، حيث وزع مائتين وثمانية وثمانين ألف عبـوليدى Solidi واشترى للعروض المسلية عشرين أسدا وثلاثين نمرا ، وبعض الحيوانات الأخرى هذا بالإضافة الى الكثير من الخيول المزينة للمتسابقين (٢٧) .

ظل جوستينيان يدير شئون الدولة ، وحاول رجال مجلس السناتو سواء من تلقاء أنفسهم ، أو بناء على إيجاء من جوستينيان - الحصول على موافقة جوستين بمشاركة جوستينيان الرسمية له فى عرش الامبراطورية بيد أن جوستين بدافع الحرص على السلطة ورغم أنه كان شيخا هراما - أمسك بزية الارجوانى قائلا « حذار من أن يحاول أى شاب ارتداء هذا الثوب » (٢٨) . ولاشك أن فى هذا القول إشارة الى ما فى نفس جوستين من حسد وغيرة تجاه ابن شقيقته وابنه بالتبني ، لما لمسه من سيطرة جوستينيان الفعلية على الدولة .

على أن فشل مجلس الشيوخ فى هذه المرة تلاه نجاح فى محاولته الثانية مع جوستين ، حيث أنعم جوستين على جوستينيان بلقب قيصر سنة ٥٢٥ م (٢٩) وهذا يعنى أن جوستينيان أصبح بطريقة تلقائية وليا للعرش ، وخليفة لخاله فى حالة وفاته من الناحية المتعارف عليها فى الامبراطورية .

ولما مرض جوستين مرضا أقعده عن المشى ، اذ كان هذا المرض فى مقدمه نتيجة لجرح قديم ، وكان قد بلغ السابعة والسبعين ، لذلك وافق فى هذه المرة على التماس رجال مجلس الشيوخ ، بأن تتم مراسيم تتويج جوستينيان كشريك له فى الحكم ، وجرت مراسيم التتويج فى غيبة

---

(٢٦) مرتبة القنصل كانت موجودة فى روما الوثنية . وكان بروتوس Brutus هو أول قنصل . ومنذ عصر الامبراطور قنسططين ظلت القنصلية أعلى مرتبة فى الدولة . غير أنها تحولت الى وظيفة شرفية . والواقع أن هناك استحالة فى وجود القنصلية مع الملكية المطلقة . بيد أن جوستينيان تمكن فى عصره من تحويلها الى عملية صورية ، فى ضوء حكومته المقدسة الرامية الى الصالح العام ، ومجبة الانسانية والعمل على استعادة أمجاد الامبراطورية ، انظر :

C.N. Tsipranlis, «John Lydors on the Imperial Administration», Byzantion, Tome XLIV, (Bruxelles, 1974), pp. 499-500.

Marcellinus Comes, Op. cit., Col. 940; Bury, Op. cit., II, p. 21; (٢٧)

Lebeau, Op. cit., 8, p. 24.

Zonaras, Op. cit., p. 150; Holmes, Op. cit., II, p. 304. (٢٨)

Marcellinus Comes, Op. cit., Col. 941 ; Victor Tonenensis, (٢٩)

Op. cit., Col. 953; Michel Le Syrien, Op. cit., II, p. 189.

جوستين ، وفي احدى قاعات القصر الامبراطورى ، وبحضور أعضاء مجلس الشيوخ ، والموظفين الكبار بالدولة ، والخرس الامبراطورى ، وممثلين عن الجيش ، ووضع البطريك ابيفانيوس Epiphanius التاج على رأس جوستينيان . وجرت باقى الاجراءات المتبعة فى هذا المقام ، فيما عدا أنه تم بقاعات القصر ، وليس فى ميدان سباق الخيل ، كما جرت العادة ، وذلك فى الرابع من أبريل سنة ٥٢٧ (٣٠) وكان جوستين فى ذلك الحين ، قد بلغ حد الخرف ، حتى أصبح موضع سخريه شعبه ، وكان الجميع ينظرون اليه بازدياد لجهله بما يدور حوله ، ولذلك أسقط من كل الحسابات ، هذا فى الوقت الذى كان فيه جوستينيان محاطا بالتودد والتعلق والرهبة (٣١) .

ويبدو أن جوستين لم يشف من مرضه ، وظل ملازما للفراش ، لانه توفي بعد ذلك التاريخ بأربعة أشهر تاركا العرش بشكل طبيعى للامبراطور جوستينيان (٣٢) .

أدرك بروكوبيوس ، مؤرخ العصر والقصر ، عبقرية جوستينيان ، وروعة الانجازات التى تمت فى عهده وسجلها فى مقدمة كتابه « عن

Evagrius, Op. cit., p. 393; Holmes, Op. Cit., II, p. 320. (٣٠)

Bury, Op. Cit., II, p. 22 ; Vasiliev, Justin, p. 96.

Procopius. The Secret History pp. 88-89. (٣١)

Zonaras, Op. Cit., p. 151; Walton, Op. Cit., pp. 297-298; (٣٢)

Stein, Op. Cit., p. 275.

قدم بروكوبيوس بعض الملامح عن شخصية جوستينيان ، فذكر أنه كان متوسط الطول ، مستدير الوجه ، بشوشا ، ولا تفارقه الابتسامة ، كثير الصيام ، وأحيانا يصوم لمدة يومين متتاليين ، وخلال الأيام التى تسبق صيام عيد الفصح ، يعد نفسه بطريقة محددة وتجرى على وتيرة واحدة ، وقاسية ولا تتناسب مع شخصية امبراطور ، اذ اعتاد أن يستيقظ فى الصباح الباكر بصفة منتظمة ، ليرعى شئون الدولة ، ويظل يعمل حتى منتصف الليل . وإذا ما ذهب الى الفراش فى وقت متأخر ، فإنه كان يستيقظ على الفور كأنه لم يحتمل البقاء فى الفراش . وكانت عقليته من النوع الذى يهتم بالتفاصيل الدقيقة ، فى الوقت الذى كان فيه قادرا على معالجة الأمور الكبرى . ولم يسمح لنفسه بالانغماس فى الملذات أو تعاطي الخمر ، وعاش حياة التقشف والزهد . ولم يحدث على الإطلاق أن تناول وجبة طعام كاملة ، وإنما يقتفى بتذوق الاطعمة التى يحبها . واعتاد تناول الأعشاب البرية المنقوعة فى الملح والخل . وهو شرا به الوحيد . كما كان من عادته التجول ليلا فى أنحاء القصر حتى الساعات المتأخرة من الليل . ولذلك أطلق عليه رجال القصر « الامبراطور الذى لا ينام » . انظر :

Procopius, The secret History, P. 78, 104, 109; Ibid, Buildings pp. 67-68; Diehl, Justinien, pp. 14-17; Holmes, Op. cit., II, pp. 365-367; Bury, Op. Cit., II, p. 25.

الانشاءات « ملخصا جهوده ، فى تحويل الدولة من حالة الفوضى والاضطراب ، الى الأمن والسلام ، وأنه تمكن رد كيد القبائل الجرمانية ، وأضاف ممالك جديدة للسيادة الرومانية ، وشيد العديد من المدن الجديدة ، وبذل جهودا كبيرة فى تدعيم أركان الايمان الحقيقى ، وعالج الغموض والصعاب التى اكتنفت القوانين ، وسد الثغرات التى كانت تحدث للتحايل على القوانين ، وأقام التحصينات القوية التى شكلت سورا قويا حول كل حدود الامبراطورية زادت اكثر من الضعف فى عهده (٣٣) .

والواقع أن جوستينيان كان عظيما ، كما أحسن الاختيار عندما تزوج من ثيودورا (٣٤) التى شاركته ، عن مقدرة ، هذه العظمة والتى لم تكن مجرد زوجة بل شريكا وتلمس منها جوستينيان الكثير من الذكاء والارتفاع الى مستوى المسؤولية فى البت فى الامور ، انها الامبراطورة ثيودورا زوجة جوستينيان .

على ضوء قدرته الفائقة فى تسخير من يرغب التعامل معهم ، جالف التوفيق جوستينيان سنة ٥٢٢ ، عندما شاهد ثيودورا Theodora لأول مرة بالقسطنطينية حيث كانت تعيش على ثمرة جهدها من الغزل والنسيج فى منزل متواضع (٣٥) . والواقع أن جوستينيان أحبها لقوة شخصيتها وجمالها ، فكانت جميلة الوجه ، وجذابة المظهر ، قصيرة القامة ، قوية النظرات ، وكانت فى عيني جوستينيان « أجمل امرأة فى العالم » (٣٦) . وتمكن جوستينيان من اجبار خاله على اصدار قانون سنة ٥٢٤ يسمح لعضو مجلس الشيوخ بالزواج من المحظية ، حتى يتمكن بدوره من الزواج من ثيودورا ، اذ كان ذلك أمرا ممنوعا بالقانون . وبذلك أتاح جوستينيان الفرصة لكل شخص أن يتزوج من خليلته (٣٧) .

Procopius, Buildings, pp. 5-9.

(٣٣)

(٣٤) عانت ثيودورا الكثير منذ طفولتها لوفاة والدها ، وهى فى الخامسة ، وقاست والدتها شظف العيش فى تربية ثيودورا وأختها الكبرى كوميتو Comito وأختها الصغرى Anastasia ، وعملت ثيودورا بالمرح . واذا سلمنا بما قاله عنها بروكريبوس فى تاريخه السرى ، فإنها ، بدافع الحاجة سلكت ، الى حين ، الطريق المنحرف ، وزارت الاسكندرية ، وبعض مدن الشرق ، الى أن استقر بها المقام بالقسطنطينية ، انظر :

Procopius, The Secret History, pp. 82-86.

Vasiliev, Justin the First, p. 98.

(٣٥)

Procopius, The Secret History, p. 86.

(٣٦)

Procopius, The Secret History, p. 88; Vasiliev,

(٣٧)

Justin, p. 395.



ويبدو أن ذكاء ثيودورا ، ومقدرتها على تقدير عواقب الأمور كانت من بين الأسباب التي جعلت جوستينيان ، وبصفة رسمية أكثر من مرة يعلن أنه يستشيرها في الأمر ، فوصفها بأنها الزوجة الثقية ، والمبجلة ، وتكرر ذلك في قوانينه الجديدة (٣٨) . ولعل ذلك ما دفع المؤرخ زوناراس الى القول بأنه ، « في عصر جوستينيان لم تكن هناك حكومة ملكية ، وإنما حكم ثنائي ، لأن زوجته وشريكة حياته ، لم تكن تقل عنه نفوذا وسلطة ، بل ربما فاقته في ذلك » (٣٩) .

كان جوستينيان امبراطورا فاقت انجازاته في روعتها ، من سبقه من اباطرة بيزنطة ، كما خلدت بعض هذه الانجازات اسمه حتى يومنا هذا . وللباحث أن يطرح سؤالاً ، هو : هل كان جوستينيان يعمل من فراخ ؟ أم أنه كان مبتكراً في كل المحصلة التي خرج بها طوال فترة حكمه ؟ الواقع لا هذا ولا ذاك ، وإنما كان جوستينيان ، بما ورثه من مفاهيم كامبراطور مسيحي ، هذه المفاهيم هي التي شكلت له الخلفية الايديولوجية لسلطته الامبراطورية ، والتي تمكن بوعيه لها واستيعابه لكل جوانبها ، وحرصه الشديد ، وعمله المتواصل واصراراه على تجديد الامبراطورية الرومانية في كل المجالات ، واعادة أمجادها ، وغيرته الشديدة على اتحاد الكنيسة على المذهب الخلقيدوني ، وتوحيد قوانين الامبراطورية ، من نجاحه الى حد كبير في مشروعاته تلك . كل ذلك ثمرة ايمانه الشديد بضخامة العبء الملقى على أكتافه ، وأنه إنما كان يقوم بواجب مقدس ، بحكم موقعه في القصر « المقدس » وفي السلطة « بمشيئة الله » ، وأنه « ممثل المسيح على الأرض » . وهي كلها مفاهيم ورثها عن أسلافه من الأباطرة منذ عهد الامبراطور قنسطنطين الذي آمن بالمسيحية واعترف بها ، كديانة شرعية مثل الديانات الأخرى بالامبراطورية .

فالمسيحية تفرض على معتنقيها طاعة الحكام ، لأنهم يحكمون بمشيئة الله . ومبدأ الطاعة فرضه المسيح عليه السلام عندما قال : « اعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (٤٠) . وبذلك صارت الطاعة من الواجب المسيحي للحكام بالرغم من أن الحكام كانوا وثنيين في ذلك الحين . وأن المسيح عليه السلام قال ذلك عندما حاول خصومة استدراجه الى الثورط

Nov. viii, Chapitre, 1, p. 79; Nov. xxviii, C. V, p. 250; (٣٨)

Nov. xxix, C., IV, p. 256; Nov. xxx C., vi, p. 264, C., xi, p. 270.

Zonaras, Op, Cit., p. 151.

(٣٩)

(٤٠) متى ٢٢ : ٢١ ، مرقس ١٢ : ١٧ ، لوقا ٢٠ : ٢٥ .

فى معارضة سلطان روما (٤١) . وتأكيدها للمبدأ القائل بأن الحاكم يحكم « بمشيئة الله » فى قول بوسل وتأكيده على ضرورة طاعة الحاكم لا لمجرد الطاعة فحسب ، بل لأن الله سبحانه وتعالى ، هو الذى عينهم سلاطين ، وأن مقاومة هؤلاء السلاطين هى فى الوقت ذاته مقاومة لمشيئة الله ، وسيعاقب المسيحى لأنه قاوم مشيئة الله (٤٢) . ولا شك أن كلمات بولس كان لها أثرا عميقا من الناحية السياسية اذ تحولت هذه الكلمات الى نظرية سياسية مسلم بها . وأكد عليها كل رجال الدين المسيحى فيما بعد . وتكررت هذه النظرية السياسية عند بطرس ، والذى نصت أقواله على أن سلطة الحاكم مقدسة ، وأن طاعة هذا الحاكم من طاعة الله لأنها هى المشيئة الالهية ، وأن عقابه للأشرار ، ورضاه عن الأخيار إنما هو لهدف تحقيق العدل (٤٣) .

على أن اطاعة الحاكم التى نادى بها بولس وغيره ، إنما كانت تنصب على وظيفة الملك ، لاعلى شخص شاغل هذه الوظيفة . فلم يكن لفضائل

(٤١) Dunning, A History of Political Theories, Ancient and Medieval, (London, 1930), 153, A.J. Carlyle A History of Political Thought in the West, Vol. I, (London, 1903), p. 92.

Carlyle, Op. Cit., pp. 99-90; Dunning, Op. cit., p. 153; (٤٢)

Ullmann, A History of Political thought : The Middle Ages, Third Edition (London, 1970), p. 56.

وحسن خليفة ، تاريخ النظريات السياسية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص ٦٥ وحسن شحاته صفغان ، أساطين الفكر السياسى والمدارس السياسية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١١٠ ، جورج سباين ، تطور الفكر السياسى ، الكتاب الثانى ، ترجمة جلال العروسى ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٢٦٥ ، ونص ما قاله بولس « لتخضع كل نفس للسلطين الفاتحة ، لأنه ليس سلطان الا من الله والسلطين الكائنة فى مرتبة من الله حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينوية . فان الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان . افعل الصلاح فيكون لك مدح منه . لأنه خادم الله للصلاح . ولكن ان فعلت الشر تخف . لأنه لا يحمل السيف عبثا اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر . لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير . فانكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا . اذ هم خدام الله مواطنون على ذلك بعينه فأعطوا الجميع حقوقهم . الجزية لمن له الجزية الجبائية لمن له الجبائية ، الخوف لمن له الخوف والاكرام لمن له الاكرام .

انظر رسالة بولس الرسول الى أهل رومية الاصحاح الثالث عشر ١ - ٧ .

(٤٣) قال بطرس الرسول فى رسالته الأولى « فائضوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . ان كان للملك فكم من فوق الكل . أو للولاة فكم من أجل الله لانتهام من فاعلى الشر وللنصح لنا على الخير لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكنوا جهالة الناس الأغبياء كالأحرار وليس كالذين عندهم سترة للشر بل كعبيد الله . » « أكرموا الجميع . أحبوا الاخوة . خافوا الله . أكرموا الملك » . رسالة بطرس الرسول الأولى الاصحاح الثانى ١٣ - ١٧ .

الحاكم أو نقائصه صلة بهذا الاحترام المفروض لمنصبه . فالحاكم الفاسد  
- عند أصحاب هذا الراى - ليس الا عقوبة على اثم اقترفه رعاياه وطاعته  
- بالرغم من فساده - واجبة على هؤلاء الرعايا (٤٤) .

والواقع أنه فى قول بولس ، «لأنه ليس سلطان الا من الله» يستطيع  
المرء أن يتحدث عن السلطان بالتفويض . وأن الله عين نائبها عنه فى  
الأرض ، وأن هذا النائب ، هو تجسيد لهذه السلطة الالهية . وعلى ذلك  
فان السلطة تأتى للشعب « من أعلى » ، وأن السلطان مسئول أمام الله  
وحده ، وهذه النظرية يمكن أن يطلق عليها أيضا النظرية الشيوقراطية،  
على أساس أن كل السلطات مردها الى الله (٤٥) .

على أن ايمان المسيحية باله واحد ، ساعد على تأكيد الفكرة القائلة  
بأنه طالما أن هناك الها واحدا فى السماء ، فعلى ذلك لا يصح أن يكون  
هناك سوى ملك واحد على الأرض (٤٦) . كما أن الأبحاث الحديثة قد  
كشفت عن أن المسيح عليه السلام كان ملكا وكاهنا ، وهذا بدوره أكد  
المركز الملكي للامبراطور ، وبخاصة أن يوسيبوس Eusebius  
فى القرن الرابع الميلادى ، هو المسئول بصفة أساسية عن هذه  
الأيدولوجية ، عندما ربط بين الايمان باله واحد ، بمفهوم سلطة  
الامبراطور الرومانى : فقد أعلن أنه قبل الامبراطور أغسطس Augustus  
كان هناك اعتقاد بتعدد الآلهة وعبادتها ، كما كان هناك العديد من  
الحكام . بيد أنه بعد مجيء المسيح عليه السلام ، الذى كان معاصرا لعهد  
الامبراطور أغسطس ، فكان هناك اله واحد ، ولذلك يجب أن يكون على  
الأرض امبراطور واحد ، فى وضع يسمح له بتحقيق السلام ، والطهارة ،  
والدين القويم . وأصبح الشعار المميز لهذه الأيدولوجية « اله واحد ،  
وامبراطور واحد ، وكنيسة واحدة (٤٧) » . فالامبراطور طبقا لهذه

---

Carlyle, Op. Cit, p. 90.

(٤٤)

وحسن شعاعه سعبان ، أساطين الفكر السياسى والمدارس السياسية ، ص ١١٢ ، جورج  
سيباين ، تطور الفكر السياسى ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، نومان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ،  
ص ٨٦ .

Ullmann, A History of Political Thought, p. 13.

(٤٥)

Otto Gierke, Political Theories of the Middle Ages, Translated with an introduction by J.W. Maitland, (Cambridge, 1927), p. 10.

(٤٦)

Ullmann, A History of Political Thought, pp. 32-33.

(٤٧)

الأيديولوجية الفريدة التي ابتكرها يوسيبوس هو في الحقيقة « خليفة الله على الأرض » ، ولذلك فعليه ان يتولى كل شئون الحياة على الأرض .  
ومن الناحية النظرية ، فالامبراطورية المسيحية هي امبراطورية عالمية تضم كل العالم Oikoumene . (٤٨)

وأوضح يوسيبوس أن مهمة الحاكم من زاوية التقديس ، فقال :  
طالما أن الله وحده هو الكريم الحق ، والحكيم القوى ، ومصدر العدل والحكمة ، والنور والحياة ، والحق والفضيلة ، وخالق الملوك وكل الحكام وأصحاب السلطة ، فإنه من الواضح أن الامبراطور ، وهو الذي يقوم بدور الوسيط بين الله والبشر ، يمتلك أيضا هذه الفضائل الملكية ، على مثال مملكة الله بالسماء ، ومن ثم ظهر نعت جديد أضيف للامبراطور ، وهو أنه « محب للإنسانية » . Philanthros

وانطبق هذا النعت نفسه على المسيح عليه السلام ، عند ممارسة الطقوس الدينية والصلوات في الكنيسة وهذه النظرية تعبر عن معتقدات قنسطنطين الدينية ، وعن تجاربه ، وناسبت أفكار زمنها ، وحاجات الدولة والمجتمع لدرجة أنها بقيت دون تغيير لعدة قرون ، وساهمت في تشكيل النظريات السياسية في كل من الشرق والغرب فيما بعد (٤٩) .

على أنه لا يخفى على المرء أن الاعتراف بالمسيحية في عهد قنسطنطين جاء في الوقت الذي تأثر فيه أباطرة الرومان بالعادات السياسية الشرقية التي كانت سائدة في مصر وفارس بشأن اعتبار الامبراطور ممثلا للاله على الأرض ، ووجوب تقديس هذا الامبراطور بل ووصل الأمر على تأليه دقلديانوس . ولاشك أن هذه السمات تركت بعض بصماتها على فكر يوسيبوس وغيره من رجال الفكر المسيحي .

أيّد القديس أمبروز Ambrose (٥٠) النظرية الداعية بأن الحاكم

---

(٤٨) Maragoulas, Byzantine Christianity : Emperor, Church, and the West (Chicago, 1970), p. 7, Downey, Constantinople in the Age of Justinian (Norman, 1960), pp. 47-48.

(٤٩) Wilhelms Ensslin, The Emperor and the Imperial Administration, Byzantium, edited by N.H. Baynes, third edition, (London, 1953), p. 278; Downey, Constantinople in the Age of Justinian, p. 48.

(٥٠) حسن شحاته سفيان ، أساطين الفكر السياسي ، ص ١٠٨ ، نورمان بيتز ،

الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٧ - ٨٩ .

هو ممثل الله ، حيث قال بوضوح ان الملك مقدس لأنه خليفة الله ، بل ان أمبروز هو أول من استخدم تعبير Vicar of God غير أنه استخدم تعبيراً آخر قال فيه ، « أن الملك رمز لله والأسقف يمثل رمزا للمسيح (٥٢) » . كما أن هذه النظرية أيدها أيضا القديس أوغسطين (٥٣) . وأكد على ذلك بقوله حتى على أسوأ الحكام من أمثال نيرون Nero فهو استمد سلطته من الله (٥٤) .

وهكذا يتحدد مفهوم المثبثة الالهية عن الملك المسيحي ، الذي يحكم العالم المسيحي . وكحاكم مطلق Autokrator فانه وريث لفكرة الإمبراطور العالمى . وأن حكمه لكل العالم Oikumene بكل حدوده السياسية والجغرافية هو هدفه وغايته طوال حياته - وأنه وحده له كل الحق والأحقية في أن يكون السيد الأعلى للعالم . وأما الحكام الآخرون من المسيحيين فانهم مجرد ممثلين للإمبراطور المحب للمسيح . وأن الأراضي التي كانت تابعة للإمبراطور من قبل ، وصارت في حوزة غير المؤمنين ، فلا بد أن تعود في يوم ما الى سيادة الإمبراطور ، فهو الملك الشرعى والمدافع

---

(٥١) القديس أمبروز أسقف ميلانو Milan، عاصر الإمبراطور الغربى فالنتينيان الأول ( ٣٦٤ - ٣٧٥ ) . وكذلك الإمبراطور ثيوديسيوس الكبير ( ٣٧٩ - ٣٩٥ م ) الذى رفض القيام بمراسيم القربان أمامه لارتكابه مذبة ثيسالونيكا Thessalonica وهو من رواد تكوين الفكر المسيحي وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الدولة والكنيسة . ويتبلور فكره في أنه ينبغى النظر الى الإمبراطور على أنه ، « فى نطاق الكنيسة ، لا فوق الكنيسة » . انظر :

Caryllye, Op. Cit., I, pp. 179-184; Dunning, Op. Cit., pp. 133-134.

Caryllye, Op. Cit., I, p. 149, 179.

(٥٢)

(٥٣) القديس أوغسطين ولد سنة ٣٥٤ ، فى مدينة بشمال أفريقية ، وفى كتابه « الاعترافات » سرد تاريخ حياته ، وكيف مر بتجربة صوفية أدت الى اعتناقه المسيحية سنة ٣٨٧ ، بعد أن كان واقفا تحت تأثير الفلسفة الأفلاطونية ، ثم مذهب ماني . وفى سنة ٣٩١ ، رسم أسقفا لمدينة هيبو Hippo فى أفريقيا . ومن أشهر مؤلفاته بجانب الاعترافات ، مدينة الله Civitas Dei والذى بدأ كتابته من سنة ٤١٣ حتى سنة ٤٢٦ ، وهو المؤلف الذى بسط فيه معظم آرائه السياسية ، حيث يصور المدينة السياسية المثالية كما يتخيلها مبنية على حب الله وعبادته ، حيث تتألف القلوب ، وتتجمع الأفئدة ، فهم يتمتعون بالمعيشة مع الله ، وفى الله حيث تمتاز دولة الله بتحقيق العدل والسلام ، انظر :

Hearnshaw, Some Great Political Idealists of the Christian Era., (London, 1937), pp. 9-21.

Caryllye, Op. Cit., I, p. 151.

(٥٤)

عن الايمان المسيحي ، والمستول عن التبشير به (٥٥) لأن الله اختاره . ومنحه السلطة التي ليست الا صورة أرضية لسلطة الله المقدسة ، وهو ما عبر عنه يوسيبوس منذ ظهور الامبراطورية المسيحية . وأن المسيح مسح بزيت البركة ، فهو خليفة الله على الأرض ، ونائب المسيح في قيادة الجيش ، وفي منزلة الحوارين (٥٦) .

وهذه الأيديولوجية الامبراطورية كانت مزيجا من المثل المسيحية والمفاهيم الهلنستية ، وقبل كل شيء الأفكار الشرقية ، وكلها تجمعت على التأكيد على المركز الفريد للامبراطور ، وليس من قبيل المصادفة أن هذه الأيديولوجية لم تصل الى مداها الا بعد أن نقل الامبراطور قسطنطين العاصمة الى القسطنطينية (٥٧) .

كما أن الجمع بين السلطة الملكية والسلطة الكهنوتية كانت السمة المميزة للمركز الفريد للامبراطور ، فهي التي عبرت عن عمله كنائب للمسيح ، Christ Vicegerent على الأرض ، وبذلك أصبحت قوانين ، ومراسيم ، وأوامر الامبراطور هي قوانين ، ومراسيم ، وأوامر السماء ، عرضها الله على الشعب عن طريق الامبراطور ، وهذه القوانين مقدسة . ولذلك كما لا بد من الصمت عند ممارسة الطقوس المقدسة ، فانه يتحتم الاصغاء عند قراءة أو اعلان قرارات الامبراطور أو قوانينه ، بل ان القديس حنا ذهبي الفم St. John Chrysostom ذهب بعيدا عندما نصح الشعب بالانصات الى الكتاب المقدس بنفس الورع والمهابة التي تبدو عليهم عندما يستمعون في « صمت مقدس » الى تلاوة القوانين الامبراطورية ، وذلك في الفترة ما بين نهاية القرن الرابع وبداية الخامس للميلاد (٥٨) .

وبناء على وظيفة الامبراطور كنائب لله God's Vicar وممثل للمسيح على الأرض ، فإن شخصه ومركزه ، وكل ما يتعلق به أحاطتهم هالة من التقديس والورع لتأكيد منزلته الفريدة بين البشر (٥٩) فقام الامبراطور بتأدية الطقوس الدينية التي تتناسب مع مهمته كنائب للمسيح : فعلى سبيل المثال ، قام الامبراطور بتمثيل المسيح نفسه عندما دخل مدينة

---

Ensslin, The Emperor and the Imperial Administration, (٥٥)  
pp. 272-273.

ونورمان بيتز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٦ .  
Gierke, Political Theories of the Middle Ages, pp. 30-32. (٥٦)

(٥٧) نورمان بيتز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٨ .  
Ullmann, A History of Political Thought, p. 33. (٥٨)

Gierke, Political Theories of the Middle Ages, pp. 33-34. (٥٩)

بيت المقدس ، وذلك عند الاحتفال بأحد السعف ( يوم الأحد الذى يسبق عيد الفصح ) وفيه يتم احياء ذكرى دخول المسيح ظافرا الى بيت المقدس حيث نثر على طريقة سعف النخيل ، وقلد المسيح أيضا بغسله أقدام اثني عشر فقيرا فى الاحتفال بيوم خميس العهد ، وفى الاحتفال بعيد الميلاد كان الامبراطور يتناول الطعام لمدة اثني عشر يوما متتالية مع اثني عشر شخصا من الطبقة الارستقراطية البيزنطية (٦٠) .

والواقع أن الامبراطور كان « القانون الحى » والذى يعنى أن مشيئته وحده ، دون أى شىء آخر ، لها قوة القانون . لذلك كانت « مشيئة الامبراطور » ( دون أخذ رأى الرعية ) هى مصدر القانون (٦١) . وطالما أن الامبراطور كان مسئولاً أمام الله عن الامبراطورية ، فانه كان عليه أيضا مراعاة اتباع شعبه للايمان الصحيح ، وذلك عن طريق اصدار التشريعات التى تكفل سلامة ذلك . هذا بالإضافة الى حقه فى تحديد الضرائب ، وتنظيم الدولة ، وقيادة الجيش ، واصدار قرارات السلم والحرب ، كما قام بتعيين الموظفين الذين كانوا مسئولين أمامه وحده ، كما هو مسئول أمام السماء . وكان موقعه فوق الرعية ، ومن الناحية القانونية ، وليس ضمنهم ، كما أن كل السلطات العامة تتم باسم الامبراطور (٦٢) .

وهذا المركز المحاط بهالة التقديس للامبراطور تم التأكيد عليه عن طريق الرمزية فى الاحتفالات ، والتى كانت عاملا فى غاية الأهمية فى تمكين الأجيال التالية من تجديد أيديولوجيتها المفهومة ضمنا ، فكل تصرفات الامبراطور تحمل طابع الأعمال المقدسة (٦٣) . فالاحتفالات بالأعياد الامبراطورية تظهر فى ثوب الطقوس المقدسة وكل المباني التى تضم القصر المقدس ، هى أماكن مقدسة ، لأنه فى وسطها تقع قاعة العرش ، التى كانت أكثر الأماكن قدسية عن أى مكان آخر فى القسطنطينية . وفى هذه القاعة يوجد عرش الامبراطور ، وهو الرمز الذى يظهر المكانة العالية للعرش الامبراطورى ، ففيها - بعد أن يحصل الامبراطور على تأييد الشعب - يتوجه للسماء يصلى من أجل هذا الشعب ، وهى إشارة ترمز لدور الامبراطور فى الوساطة بين المسيح

---

Ullmann, A History of Political Thought, The Middle Ages, (٦٠) pp. 33-34.

Diehl, Byzantium : Greatness and Decline, tr. Nomi woflord, (٦١) (New Jersey, 1934) p. 27; Ullmann, Op. Cit., p. 34.

Ullmann, Op. Cit., pp. 57-58. (٦٢)

(٦٣) نورمان بيتز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٢ .

والشعب المسيحي . وهذه الرمزية توضح لنا أن الامبراطور هو نائب الله (٦٤) . Vicar of Pantokrator وأنه نفسه حاكم الأرض Autokrator وأخيرا فان مجلس الشيوخ كان يحمل اسم مجلس الشيوخ المقدس .

وجرت العادة قبل عصر جوستينيان أن تظل صورة الامبراطور متمثلة أمام الشعب بصفة مستمرة ، على العملة ، والتماثيل ، والغسيفساء والصور الزيتية ، والمنسوجات ، وفي قاعة المحكمة في كل أنحاء الامبراطورية ، وكذلك في مكاتب كل كبار موظفي الدولة توجد صورة للامبراطور ، وتشير الى أن القاضي أو الموظف الذي يجلس تحت الصورة انما يعمل باعتباره ممثلا مباشرا للامبراطور . وكان القسم يتم أمام صورة الامبراطور . واذا ما حاول شخص ما اتلاف صورة الامبراطور أو خدش تماثله عوقب بتهمة العيب في الذات الامبراطورية . كما اعتاد الشعب الاحتفاظ بصور وتماثيل الامبراطور سواء أكانوا في الهواء انطلق أو في المباني العامة ، بها فيها الكنائس وكانت ترسم الصور التي تصور الامبراطور كمنتصر على الأعداء ، أو يتقبل ولاء واجلال الشعب له ، وتصوره منتصرا على الأعداء الجرمانيين ويقدم القربان للمسيح ، ويرأس الألعاب في ميدان سباق الخيل (٦٥) .

تلك كانت كل مظاهر ، ومفاهيم السلطة الامبراطورية التي ورثها جوستينيان ، بكل مقوماتها ، ومصادرها . ولاشك أنها شكلت خلفية أيديولوجية للامبراطور جوستينيان في كل تصرفاته كإمبرطور مسيحي روماني .

بيد أنه قبل ان نتطرق بالبحث عن ملامح سياسة جوستينيان العامة على ضوء الميراث الأيديولوجي ، فقد حفظ لنا التاريخ وثيقة في غاية الأهمية ، حيث تقدم بها الشماس أجاييتوس Agapetus بكنيسة الحكمة المقدسة ( أيا صوفيا ) تضمنت معلومات في غاية الأهمية عن سلطة الامبراطور ، وواجباته والمفاهيم السائدة في ذلك الحين . وهي في شكل مجموعة من النصائح وتقديم المشورة . وقدمها اليه عندما انفرد جوستينيان بالحكم ، وهي على شكل فقرات : بدأها بالتأكيد على نظرية المشيئة الإلهية ، وذكره بضرورة الالتزام بالقوانين التي يصدرها ، وتحقيق العدل بين الرعية والوثيقة تركز على تقوى الله ، وأنه لا فضل لغنى على

Ullmann, A History of Political Thought .  
The Middle Ages, pp. 34-35.

(٦٤)

Downey, Constantinople in the Age of Justinian, pp. 52-53.

(٦٥)



معدم الا بالتقوى • وأن الله يطلب منا أن نشكره على نعمه بالأعمال الصالحة. وليس بمجرد الكلمات ، وأن واجب الامبراطور هو محبة البشرية Philantropa ، وفي الوثيقة صريحة اشتراكية ، اذ نادى أجاييتوس بضرورة اعادة توزيع الثروة للقضاء على حالات التخمة المفرطة عند الأثرياء ، وحالات الفقر المدقع عند المعدومين ، ولاشك أنها صريحة جريئة ومبكرة ، وتقدم لنا الوثيقة الدليل على أن جوستينيان نال قسطا عاليا من التعليم وأنه كان محبا لدراسة الفلسفة (٦٦) •

ويبدو للباحث من واقع الوثائق الرسمية أن جوستينيان قد برهن على تفهمه الكامل للمفاهيم السائدة ، وأنه حريص على التراث الذي ورثه عن أسلافه بشأن أيديولوجية السلطة الامبراطورية ، اذ أعلن في الخامس عشر من ديسمبر سنة ٥٣٠ ، في مقدمة أمر التكليف الموجه الى تريبونيان بشأن اعداد مجلد واحد فقط يطلق عليه دييجست Digest يضم كل القوانين السارية المفعول ، وحذف ما لم يعد يناسب العصر ، « اننا نحكم امبراطوريتنا بتفويض من الله ، الذي أنعم بها علينا من فضله في علاه ، ونبذل أقصى جهدنا لاعادة بناء الدولة ، ونتوجه بقلوبنا الى السماء متوقعين مساعدة الاله الموجود في كل الوجود • ولذلك لا نضع ثقتنا في جيشنا ، ولا في جنودنا ، ولا في قادتنا في الحرب ، ولا في براعتنا ، بيد أننا نعلق كل آمالنا على العناية الالهية للثالوث الأقدس فحسب ، خالق عناصر الحياة في كل أنحاء العالم والتي منها تكونت على الأرض » (٦٧) •

ومن أجل التأكيد على عالمية الامبراطورية ، حمل جوستينيان الألقاب التي حملها كل من الامبراطور أوغسطس وتراجان (٦٨) • الامبراطور ، القيصر ، قاهر الألمان ، والقوط ، والفرنجة ، والجرمان ، والوندال ، والأفارقة ، التقى ، المبتهج ، الشهير ، المظفر ، الأقدس على الدوام (٦٩) • ثم يعيد التأكيد على هذا المفهوم في احدى ( نوفلاته ) : « أن الله ، في الحقيقة ، أناب السلطة الامبراطورية لرعاية شئون العالم » (٧٠) • لذلك كانت حياته كلها جهادا من أجل تحقيق مملكة الأرض المسيحية

Barker, Social and Political Thought in Byzantium, pp. 54-61. (٦٦)

C.H. Monro (translator), The Digest of Justinian, Vol. I, (Cambridge, 1904), p. xii. (٦٧)

Diehl, Byzantium, p. 30. (٦٨)

R.W. Lee, The Elements of Roman Law with a translation of the Institutes of Justinian, (London, 1956), p. 42. (٦٩)

Novelle, xxx, Chaptire, xi, p. 271. (٧٠)

العالمية . واستهدفت كل انجازاته اقامة هذه المملكة على دعائمي العدل والسلام .

عبر جوستنيان عن ايمانه الشديد - كثنائب لله على الأرض - بضرورة العمل لكي يعيش رعاياه في سلام ويجنبهم المتاعب : « انفسا نعمل ليلا ونهارا من أجل كل ما يعود بالخير على رعيتنا ، وبما يرضى الله » (٧١) . على أن رعايته للمصالح الدنيوية يجب الا تجعله يغفل عن رعاية الأمور الدينية التي لا بد أن تسير وفقا لتعاليم السماء ، مصدر السلطة المثلثة في شخصه على الأرض :

« منحت السماء برحمتها نعمتين عظيمتين للبشر : احدهما تتعلق بالأمور المقدسة ، والأخرى ترعى الشؤون الانسانية ، وكلاهما من مصدر واحد . وليس هناك هدف عند الامبراطور يسبو على الكهنة على منزلتهم المقدسة ، لاقامة تألف واقعى فى ادارة الدولة ، طالما ظل الكاهن طاهرا الذيل على الدوام ، وينعم بالقدره على التعليم وفقا لما أراد الله ، وطالما حكم الامبراطور الدولة التى كلفه الله برعايتها على النهج السليم » (٧٢) .

وتأسف جوستنيان بشدة على انكماش حدود الامبراطورية الرومانية لتراخى من سبقه من الأباطرة ، وظل يلفت الانتباه الى نشاطه وشجاعته من أجل العمل على اصلاح أخطائهم (٧٣) . ومن ذلك قوله بشأن ايمانه بضرورة استرداد الأراضي السليبية : « لدينا أمل كبير فى الله فى استرداد الأراضي التى كان يمتلكها الرومان القسداءم والتى امتدت بين المحيطين » (٧٤) .

ولكى يضمن تحقيق العدل بين الرعية ، سن التشريعات التى تؤكد على ذلك لحكام الأقاليم ، وفيها أمرهم بضرورة معاملة المواطنين الشرفاء بروح الأبوة ، وأن يعملوا على حماية الشعب من المظالم ، وأن يرفضوا كل أنواع الرشوة ، وأن يتوخوا العدالة فى أحكامهم وقراراتهم الادارية ،

---

Nov. 8, Préface, pp. 77-78; J. Bussell, The Roman Empire, (٧١)  
Vol. II, (London 1910), p. 50.

Nov. 6, Préface, p. 45, Bussell, Op. cit., p. 51. (٧٢)

Nov. 25, Chapitre, 2, p. 229, Nov. 30, Chapitre, xi, p 2,71; (٧٣)  
Holmes, Op. cit., II, pp. 430-481.

Nov. 30, C. II, p. 271, Diehl, Justinien, p. 23; Ibid, Le Monde (٧٤)  
Oriental, (Paris, 1936), p. 54.

وأن يقضوا على الجريمة ، ويعملوا على حماية الأبرياء ومعاقبة المذنبين طبقاً للقانون ، وأن يعاملوا الشعب كما يعامل الوالد أولاده (٧٥) .

وإذا كانت تشريعات جوستينيان تعطى انطباعاً لا يخامره أدنى شك في اهتمامه بتحقيق العدالة بين المواطنين ، بروح الأبوة ، وإقامة الامبراطورية العالمية المسيحية . فهناك مصدر آخر غير هذه التشريعات أقر كل ما جاء بها من أهداف نبيلة - برغم أن هذا المصدر شبارك بروكوبيوس في مهاجمة حنا القبدوقى بعنف شديد - أنه المؤرخ حنا ليدوز John Lydos الذى امتدح جوستينيان وأثنى عليه ، لكرمه ، وحبهِ للبشر ، وعمله على تعزيز السعادة الإنسانية ، واعتدائه وعبقريته الأدبية ، وجهوده المتواصلة من أجل تحقيق السلام ، والرفاهية ، واسترداد الأراضي السليبية ، وتحقيق العدالة بتشريعاته الامبراطورية (٧٦) .

على أن جوستينيان ظل يؤكد أيضاً على انتمائه للباطرة الرومان ، وأنه وريث لهم ، ومن الزم واجباته المحافظة على التراث الرومانى (٧٧) . والذى لم يحاول أحد من الأباطرة السابقين القيام به . غير أن جوستينيان أقدم على هذا العمل بالرغم من صعوبته البالغة « لقد بدا ذلك الأمر على أنه غاية في الصعوبة ، بل وفي الحقيقة ، كما لو كان مستحيلاً . غير أننا نرفع أيدينا للسماء ، ونصلى من أجل المساعدة الإلهية ، لذلك أخذنا على عاتقنا مهمة تنفيذ هذا المشروع وإثقين في أن الله سيمدنا بعونه ، ورعايته لاتمام هذه الانجازات التى تبدو أمامنا وكأنها من الأمور المستحيل تنفيذها » (٧٨) . ويبدو أنه اعتاد على التأكيد أنه معين بالمشيئة الإلهية ، وأن الله خير عون له فى كل خطواته الإصلاحية ، ففي إحدى ( نوفلاته ) إلى حنا القبدوقى بشأن الإصلاحات الإدارية « لدينا أمل فى فضل الله ، لدوره هذه المساوىء ، فهو الله الذى وضع التاج على رأسنا ، وهو الله الذى أنعم علينا بكل خير ، وهو الله الذى ألبسنا الزى الأرجوانى ، وهو الله الذى أنعم علينا بكرمه ، بما لم يحظ به أحد من أسلافنا » (٧٩) .

Nov. 30 C. 8, p. 84; Vasiliev, Byzantine Empire, 1, p. 159. (٧٥)

Isirpanlis, «John Lydos on the Imperial Administration», Byzantion, 44, (Bruxelles, 1974), p. 482. (٧٦)

Monro, The Digest of Justinian, 1, p. 15; Diehl, Justinien, p. 22. (٧٧)

Monro, Op. Cit., pp. 13-14. (٧٨)

Nov., 30, C. 11, p. 271. (٧٩)

غير أن شدة إيمانه بالله ، وبالمذهب الارثوذكسى ( الخلقيدونى ) ، جعله يعمل جاهدا على استئصال شأنه ( الهرطقة ) بكل صورها ، وهو الأمر الذى أكد عليه فى تشريعاته وعمل على تنقيده ( ٨٠ ) . ويبدو أن أقوى هذه الطوائف : أتباع أريوس ، الذين عاشوا فى سلام فى عهد من سبقه من الأباطرة : بعد أن ملكوا الضياع ، وانتشرت كنائسهم فى كل مكان ، واحتوت على الكنوز من الذهب والفضة ، بيد أن جوستينيان اتبع معهم أساليب المصادرة وكل ألوان التعذيب ( ٨١ ) .

وعلى ضوء ما تقدم ، يبدو للباحث أن مفاهيم جوستينيان ، كان إطارها العام ، أيديولوجية : « دولة واحدة ، بكنيسة واحدة ، وقانون واحد ، تحت رياسته » .

ويبدو أن خير شعاهد على ذلك النصب التذكارى الذى أقامه جوستينيان سنة ٥٤٣ م حيث شيد تمثالا فى ميدان أغسطس Augusteum بالقسطنطينية ، أمام كنيسة الحكمة ( أيا صوفيا ) ومجلس الشيوخ . على أن الجديد فى فكرة هذا التمثال أن جوستينيان حمل فى يده اليسرى كرة معدنية ترمز الى أنه ملك الدنيا ، وعليها صليب ، وهو الرمز الذى تحققت بفضل كل الانتصارات أما اليد اليمنى ، فانها كانت مرفوعة بشكل يرمز الى تحذير المعتدين بالشرق . وقد أقيم هذا التمثال المعدنى للامبراطور جوستينيان ، وهو يرتدى بدلته الحربية ويمتطى جوادا معدنيا ، والتمثال كان مرفوعا على عمود ضخيم وطويل بشكل غير عادى ( ٨٢ ) .

Nov. 8, C. 4, p. 249.

( ٨٠ )

Procopius, The Secret History, pp. 96-97, 106.

( ٨١ )

Procopius, Buildings, pp. 33-35; Malalas, Op. Cit., p. 482; Zonaras, op. cit., p. 157; Diehl, Justinien, p. 29; Holmes, Op. Cit., I., P. 528; Downey, Constantinople in the Age of Justinian, p. 43; Mango, The Art of Byzantine Empire, pp. 111-113.

( ٨٢ )

وظل هذا التمثال كاحدى عجائب القسطنطينية ، وقد شاهده الرحالة طافور . وقال ان العمود المقام عليه التمثال كان أعلى من قبة كنيسة الحكمة ( أيا صوفيا ) ، ( أى أعلى فى عمارة مكونة من عشرين طابقا ) ، وأن الكرة المعدنية التى بيد جوستينيان كانت تبدو كالبرقالة بالرغم من أنها تسع خمسة عشرة جالونا . انظر : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر ، ترجمة د. حسن حبشى ، ص ١٤٤ ، ٢٧١ ، وظل هذا التمثال قائما الى أن هدمه الأتراك وانظر :

Mango, Op. Cit., p. 27.



## انجازات جوستنبيان الداخلية فى الادارة والتشريع والعمارة والشئون المالية

الادارة : زيادة سلطة حكام الأقاليم - المحافظة على القيم الأخلاقية والقضاء على الفساد - اعادة تنظيم الأقاليم - تنشيط عملية جمع الضرائب - حنا القبدوقى .

التشريع : ايمان جوستنبيان بأهمية القوانين - تزييونيان - دوافع جوستنبيان الأساسية لانجازاته التشريعية - اصدار مجموعة جوستنبيان القانونية - خطة عمل اصدار الديجست وأسباب ذلك - التطبيق العملى لتشريعات جوستنبيان - الامبراطور هو المفسر الوحيد للقانون - اعادة تنظيم برامج الدراسات القانونية .

العمارة : روعة انجازات جوستنبيان المعمارية - أنثيموس - كنيسة الحكمة قمة الفن المعمارى - الانشاءات الأخرى بالعاصمة - بناء الجسور والسدود والقناطر والطرق - بناء العديد من المدن - اعادة بناء أنطاكية - الانشاءات الدينية والاجتماعية - سميناء « سانت كاترين » .

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

الشئون المالية : الضرائب الجديدة وتنمية الموارد المالية - تنظيم بعض الضرائب القديمة - السياسة التقشفية - اجراءات تخفيف المعاناة عن الشعب - تنظيم أسعار الحبوب .

اهتم جوستينيان بالنواحي الادارية والتشريعية والمعمارية والنظم المالية لكي يضع طموحاته الاستردادية موضع التنفيذ وينهض بالامبراطورية في شتى المجالات . والواقع أنه ما كان له أن يحقق انجازاته الرائعة ما لم يكن هناك جهاز ادارى قوى ونشط استهدف فى المقام الأول العمل على ملء خزانة الدولة بالأموال اللازمة وبصورة منتظمة ، وبالقدر الذى يسمح للامبراطور بتحقيق مشاريعه العديدة فى استعادة ايجاد الامبراطورية الرومانية . لذلك كانت تشريعات جوستينيان الجديدة ( نوفلاته ) ، متضمنة العديد من القوانين التى استهدفت اصلاح الجهاز الادارى عن طريق العمل على زيادة سلطة حكام الأقاليم باعتبارهم ممثلين للامبراطور ، والمحافظة على القيم الأخلاقية والقضاء على الفساد بكل صوره ، وإعادة تنظيم الأقاليم بهدف تشديد قبضة الدولة فى الادارة ، وأخيرا تنشيط عملية جمع الضرائب التى كانت فى واقع الأمر محور ارتكاز سياسة جوستينيان فى كل اصلاحاته الادارية .

ويبدو أن حرص جوستينيان على نجاح سياسته الادارية الجديدة ، دفعه الى تحديد المبادئ الأساسية التى تفرض على حاكم أى اقليم الالتزام بها ، قبل شغله لمنصبه الجديد ، مع القسم بكل قيم الايمان المسيحية على التنفيذ ، وهى المبادئ التى تبلورت فى الالتزام بالايمان الكاثوليكي ، وطهارة الذيل ، والاهتمام بتحصيل الضرائب ، وتحقيق العدل بين الرعية ، والضرب بيد من حديد على أيدي المذنبين (١) .

ولكى يقضى على حالات الفوضى والاضطراب من جراء وجود سلطة عسكرية ، وأخرى مدنية بالأقليم الواحد ، أصدر جوستينيان القوانين التى استهدفت الاستغناء عن نظام الادارة الثنائية ، وعمل على توحيد الادارتين تحت سلطة حاكم واحد ، مع تقاضيه مرتب الوظائف السابقتين (٢) . والزم حكام الأقاليم بضرورة الجلوس فى عربة من الفضة ، وان يتقدمهم فى تحركاتهم الرسمية ضابط يحمل شعار

(١) انظر الملحق ( نص القسم ) .

Nov. xxiv, Chapitre I, pp. 220-221; Nov. xxxi Chapitre, I. (٢)  
p. 272; Holmes Op. cit., II, p. 482.

السلطة ( فأس محزوم عليها مجموعة من القضايا ) (٣) كما ألزم حاكم الاقليم بالقيام بزيارات ميدانية فى حدود اقليميه ، والا يجوز له تفويض أى شخص للقيام بهذه المهمة ، ولحاكم الاقليم الحق فى تحديد محل اقامته الدائم ، فى أى مدينة داخل اقليمه شريطة ان تتناسب هذه المدينة مع عظمة منصبه ، هذا فى الوقت الذى حذر فيه جوستينيان حكام الاقليم من اللجوء الى محاولات تحقيق المكاسب بالطرق الملتوية ، أو محاولة ارهاق المواطنين . وأخيرا فانه ، « على حاكم الاقليم ، وحاشيته ، والحرس الذين يرافقونه عدم قبول أى شىء من الرعية ولا يطالبون بشىء دون مقابل ، والا يسمح حاكم الاقليم للجنود التابعين له بظلم الرعية ، لأن حمايتهم هى جزء من تعاليمنا » (٤) . ومنع حكام الاقليم سلطة الاشراف على الذين يجبون الضرائب للخزانة العامة (٥) .

اتسم جوستينيان بالعفة والطهارة والمحافظة على القيم الاخلاقية لذلك حرص بشدة على أن يتحلى الحكام بدورهم بهذه الصفات بصفة أساسية كقدوة للرعية ، بل أنه فى الواقع سن التشريعات التى تلزم الجميع بذلك مع الضرب بشدة للقضاء على كل ألوان الانحراف والفساد بكل صوره المتعددة .

لذلك أصدر قانونا ينص على ألا يقوم الشخص المرشح لوظيفة حاكم اقليم بشراء هذه الوظيفة من أى من كبار موظفى الدولة أو التابعين لهم (٦) . وأن يتعهد حاكم الاقليم بمعاملة الرعية بحنان أبوى ، وأن يتخذ الاجراءات العادلة تماما ، ويمارس سلطات وظيفته ، « بأيدى نظيفة » (٧) . وأن يتجنب الحاكم الحصول على المكاسب بالطرق الدنيئة ، وأن يظل قائما بالمرتب الذى حددته له الدولة (٨) . وعلى حاكم الاقليم الا تأخذ شفقة بالقتلة ، والزناة ، ومختطفى الفتيات ، وعليه أن يقمع اللصوصية بكل قسوة ، والا يجبن أمام أى قوى أو غنى

Nov. xxiv, Chapitre 3, pp. 223-224; Nov. C II, Chapitre, I, (٣)  
(Tome Second), pp. 79-80; Holmes, Op. cit., II, p. 474.

Nov. xxviii, C. 4, p. 248; Holmes, Op. cit., II, p. 474. (٤)

Nov. 24, C. 3, pp. 223-224; Nov. 25, C., pp. 232-233; Holmes, (٥)  
Op. Cit., II, p. 474.

Nov., 8, pref., p. 77; Diehl, Justinian, p. 276; Ure, Justinian, (٦)  
p. 147.

Nov. 24, C. 1, pp. 220-221; Nov., 25, C. 2, pp. 229-230; (٧)  
Holmes, Op. cit., 2, p. 475.

Nov., 8, C. 8, pp. 84-85; Nov., 17, C. 1, pp. 136-137; Nov., 25 (٨)  
C. 2, pp. 229-230.

Diehl, Justinian, p. 277; Holmes, Op. Cit., 2, p. 475.



ممنتهك للقانون في حدود اقليمه (٩) . وعند وصول حاكم الاقليم الى منطقة عمله ، عليه أن يدعو رجال الاكليروس والعلمانيين للاجتماع به ، وأن يقرأ عليهم أوامر الامبراطور والتي بناء عليها قبله في وظيفته ، على أن يعلق نسخة من هذه الأوامر في كل منطقة في نطاق سلطته (١٠) .

غير أن جوستينيان لم يقتصر على تقديم النصيحة والخصول على الالتزامات الشفهية من حكام الأقاليم بالسير طبقا لأوامره ، وإنما لجأ الى الاحتياط والمراقبة المحلية لتصرفات الحاكم بطرق ثلاثة ، أولها أنه منح الأساقفة سلطة تلقي الشكاوى ضد حاكم الاقليم ، بل وحتى اختبار صلاحيتهم وذلك بالجلوس مع حاكم الاقليم على منصة القضاء لسماع الدعاوى القضائية التي يفصل فيها (١١) . وثانيها أنه أصدر أمرا الى الذين يتولون الدفاع عن المتهمين بالمدن عمل على تقوية أعمالهم ، لذلك عاد نشاطهم الى الوجود من جديد ، بعد أن كانت وظائفهم قد فقدت سمعتها (١٢) . وصار حاكم الاقليم محروما من حق طردهم من وظائفهم ، بل أن جوستينيان ذهب بعيدا عندما منحهم صلاحية تقديم تقارير ضد حاكم الاقليم في حالة محاولته التدخل في أعمالهم (١٣) . وثالثا وأخيرا ، فإن جوستينيان أعلن موافقته على قانون الامبراطور زينون الذي نص على ضرورة بقاء حاكم الاقليم لمدة خمسين يوما في اقليمه عند انتهاء مدة خدمته ، حتى يكون مستعدا للرد على اتهامات كل الذين يعتقدون أنهم أصابهم أضرار بسبب عدم استقامته أو أمانته (١٤) .

على أن جوستينيان لم يستغن عن نظام الثواب والعقاب ، وذلك لكي يشجع المستقيمين من حكام الأقاليم ، ويعاقب المنحرف منهم ، فإذا ما قدم كبار الموظفين تقارير ممتازة عن أي حاكم للاقليم سمح له جوستينيان

Nov., 17, C. 5, pp. 139-140; Nov., 24, C. I, pp. 220-221; (٩)

Nov., 17; C. 16, p. 146; Holmes, Op. cit., 2, p. 476. (١٠)

Nov., 25, C. 2, pp. 229-230; Diehl, Justinien, p. 277; Ure Op. Cit., p. 147.

Nov., 8, pref., pp. 92-93; Edict 12, C. 2, p. 703 in Corpus Juris Civilis, ed. Fratres kriegelii, Paris III, Novellae, (Lipsiae, 1887); Diehl, Justinien, p. 279. (١١)

Nov., 15, pp. 126-133; Holmes, Op. Cit., II; p. 477; Jones Later Roman Empire, 1, p. 280. (١٢)

Nov. 15, C. 1, 5, pp. 127-128, pp. 130-131; Holmes, Op. Cit., II, p. 477. (١٣)

Nov. 8, C. 9, pp. 85-86; Stein, Op. Cit., II, p. 464; Ure, Op. Cit., p. 147 (١٤)

بالبقاء فى اقليمه (١٥) . ومن ناحية أخرى كانت مصادرة الممتلكات ، والنفى ، والجلد ، والتعذيب من بين العقوبات التى أنزلها بالحاكم الذى خان الأمانة (١٦) .

تلك كانت قوانين جوستينيان التى حددت ضرورة التزام حكام الأقاليم بكل القيم الأخلاقية فى أعمالهم تحقيقا للعدل بين الرعية ، إذ أن العدل كان من أهداف جوستينيان الأساسية فى الحكم .

ومن أجل العمل على راحة الرعية أصدر جوستينيان عدة تشريعات ، منها زيادة عدد محاكم الاستئناف ، وذلك بمنح طبقة المحترمين Spectabiles سلطة قضائية متوسطة بين حكام الأقاليم الصغرى وكذلك طبقة الأصفياء Clarissimi وأيضا طبقة المتنازين Illustres بالعاصمة (١٧) . ونتج عن ذلك أن التدفق الفاسد لسكان الأقاليم صوب العاصمة قل يشكل واضح ، وبالمثل فإن عمل القضاة المساعدين بالعاصمة زاد الى حد كبير ، وطلب منهم جوستينيان البقاء فى المحكمة الملكية « صباحا ، وظهرا ، ومساء » . للفصل فى القضايا (١٨) .

وزيادة فى حرص جوستينيان على راحة الرعية ، وتخفيفا على العاصمة التى احتشدت بها الجماهير من عدة أقاليم ، استحدث جوستينيان وظيفة كويسيزيتور Quaesitor المحقق بالعاصمة مهمته التعامل مع هذه الحشود والتحقق من جدية قضاياهم ثم توجيههم الى المحاكم المناسبة ، وإذا ما ظهر أنهم حضروا فى زيارة لاطاقل تحتها ، فإن من سلطته الأمر باخراجهم من العاصمة ، واعادتهم الى أقاليمهم ومعهم خطابات توصية الى حاكم الاقليم (١٩) .

على أن أروع انجازات جوستينيان فى المحافظة على القيم الأخلاقية ، مخاربهته للبغاء بأسلوب عملى لم يسبقه امبراطور مسيحي فى ذلك ، إذ لاحظ جوستينيان أن تجارة البغاء نشطت بشكل خطير ، وسيطرت على

---

Nov., 28, C., 7, pp. 251-252; Nov., 30, C., 10, pp. 269-270; (١٥)

Holmes, Op. Cit., II, p. 477.

Nov., 8, C. 7, p. 83; Nov., 30, C. 10, pp. 269-270; Holmes, (١٦)

Op. Cit., II, p. 477; Stein, Op. Cit., II, p. 464.

Nov., 23, pp. 215-219 ; Holmes, Op. Cit., II, p. 478. (١٧)

Nov., 82, C., I, p. 453; Holmes, Op. Cit., II, p. 478. (١٨)

Nov., 80, C., I, p. 441-443; Bury, Op. Cit., II, p. 337; (١٩)

Ure, Op. Cti., p. 148; Jones, Op. Cit., I, p. 280.

البلاد جماعات تجارة الرقيق الأبيض الذين كانوا يشترون الفتيات الصغيرات من ذويهم الفقراء بمبالغ زهيدة لعرضهن في سوق البغاء .  
 ووصل الأمر الى عرضهن في الشوارع كوسيلة للاغراء على ممارسة الرذيلة غير أن جوستينيان أعطى تفويضا لمديرى الأمن بالقضاء على بيوت الدعارة، وطرد تجار الفاحشة من العاصمة (٢٠) . وشاركت الامبراطورة ثيودورا زوجها فى ذلك ، حيث شغلت نفسها ، لفترة من الوقت ، فى عملية اعادة المنحرفات الى طريق الصواب . وقامت بعقوبتهن من أصحابهن بعد أن دفعت لهم ثمنا متفقا عليه عن كل واحدة (٢١) . وتم تحويل قصر مهجور على ساحل البسفور Bosphorus الى اصلاحية للمنحرفات وأطلقت عليه ثيودورا قصر التوبة Repentance (٢٢) .

ويبدو أن عادة اللواط كانت منتشرة فى ذلك الحين الأمر الذى دفع جوستينيان الى اصدار القوانين الصارمة للغاية بهدف محاربة هذه الرذيلة، فكان من بين هذه العقوبات التشهير الذى لم يسلم منه بعض الأساقفة (٢٣) .

على أن إنسانية جوستينيان كمصلح اجتماعى ظهرت فى نفوره من تحويل الأطفال من الرقيق الى طواشية ، اذ أصدر قانونا يحرم ذلك مع تحديده عقوبة قاسية فى حالة مخالفة القانون وذلك بمصادرة كل ممتلكات المخالفين ونفيهم بعد اجراء عملية خصى لكل من خالف القانون هذا فى الوقت الذى نص فيه القانون على تحويل هؤلاء الرقيق الى أحرار اذا ما تمت لهم هذه العملية بعد صدور القانون (٢٤) .

تلك كانت تشريعات جوستينيان التى استهدفت المحافظة على القيم الأخلاقية ، والقضاء على الفساد بكل صوره .

على أن أبرز اصلاحات جوستينيان الادارية تمثلت فى مراجعة النظام الادارى الذى ظل ساريا منذ عهد دقلديانوس . واستهدف جوستينيان من اصلاحاته الادارية تفضي الصراعات بين السلطة الادارية والسلطة

Nov., 14, pp. 122-124; Holmes, Op. Cit., II, p. 479. (٢٠)

Malalas, Op. Cit., pp. 440-441. (٢١)

Procopius, Buildings pp. 75-77; Ibid, The secret History, p. 124. (٢٢)

Nov., 77, pp. 431-433; Procopius, The secret History, p. 122, 138; Holmes, Op. Cit., II, p. 480. (٢٣)

Holmes, Op. Cit., II, p. 480. (٢٤)

العسكرية داخل الاقليم ، ولتحقيق سزيد من الأمن باعطاء صلاحيات أكثر لحاكم الاقليم ، اذ أصبحت تحت يديه القوات العسكرية بالاضافة الى صلاحياته المدنية . ولاشك ان هذه المراجعة للنظام الادارى ، كانت تحمل فى طياتها أحكام السيطرة السياسية ، وزيادة الفاعلية الدفاعية وتحديد المسئولية .

ففى اقليم بونتوس Pontus منح جوستينيان حاكم هذا الاقليم صلاحيات عديدة ، بعد أن تعرضت هذه المنطقة لهجمات اللصوص والقتلة الذين كونوا عصابات مسلحة ، وهربوا من العدالة وذلك بانتقالهم من اقليم الى آخر ، هذا فى الوقت الذى لم يتجرأ حاكم الاقليم على تجاوز اقليمه لتعقبهم . ولذلك بدا الأمر على ضرورة تعيين حاكم أعلى له صلاحيات قضائية وعسكرية ومدنية ومالية (٢٥) . وتمتع حاكم اقليم تراقيا بنفس الصلاحيات التى تمتع بها حاكم اقليم بونتوس لتشابه الظروف حيث اشتدت حالة القلق والاضطراب فى تراقيا من جراء استمرار اغارات الشعوب الجرمانية (٢٦) .

وأما فى أرمينيا الرومانية (٢٧) فلم تكن سياسة جوستينيان قائمة على مجرد زيادة سلطة الحكومة فحسب ، وإنما إعادة التنظيم الادارى لها ، اذ أقام جوستينيان أربعة أقاليم بدلا من اجراء تعديلات فى اقليمى أرمينيا الرومانية ، وذلك بضمه مدنا مجاورة مع عدم تعيين أى حاكم من أهالى أرمينيا على هذه الأقاليم الأربعة الجديدة كما كان متبعاً من قبل .

ففى اقليم أرمينيا الأولى الجديدة عين جوستينيان حاكماً برتبة برو قنصل Proconsul . واشتملت على مدن أربع من أرمينيا القديمة

---

Edict 8 p., 691 in Corpus Juris Civilis, Paris III; (٢٥)

Bury, Op. Cit., II, p. 340.

Stein, Op. Cit., II, p. 466, Jones, Op. Cit., I, p. 280. (٢٦)

(٢٧) يرجع تقسيم أرمينيا بين النفوذ الفارسى والرومانى الى سنة ٣٨٧ حيث قسم أرساك Arsaces ملك أرمينيا ، والذي كان فارسى الأصل مملكته بين ولديه تيجران Tigranes الذى حظى بأربعة أضعاف المساحة التى كانت من نصيب أخيه الأصغر Arsaces المسمى . على اسم والده - وأدى هذا التقسيم الى ارتقاء أرساك الصغير فى أحضان الرومان وحدث صراع بين الأخوين . وانتهى الأمر باتفاق الفرس والرومان على اقرار هذا التقسيم مع ضم نصيب تيجران للنفوذ الفارسى ونصيب أرساك للنفوذ الرومانى . وظل هذا الوضع قائماً حتى عصر جوستينيان ، انظر :

Procopius, Buildings, pp. 179-181; E. Chrysos, «The Title Basilius in the early Byzantine International Relations», Dumbarton Oaks Papers, 32 (New York, 1978), p. 36.

وهي ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis وساتالا Satala  
ونيكوبوليس Nicopolis وكولونيا Colonea ، هذا بالإضافة الى  
مدينتين من اقليم بونتوس بوليمونياكوس Pontus Polemoniacus ،  
وكذلك طرابيزون Trapez وكيراساس Cerasas ومدينة بازانيز  
Bazanis أوليونتوبوليس Leontopolis ، والتي حملت اسم  
جوستنيان بعد تجديدها ، وصارت عاصمة أرمينيا الأولى . وأرمينيا  
الثانية شابت أيضا اقليم أرمينيا الأولى القديمة ، واشتملت على مدينتيها  
القديمتين وهما سيباستي Sebastea ، وسبباستوبوليس  
Sebasloptis ، وكذلك مدن كومانا Comana ، وزيلا  
Zela ، ومدينة بريزا Brisa من اقليم هيلينبونتوس  
Helenopontus . وأرمينيا الثالثة اشتملت على مدن ميليتين  
Melitene ، وأري Area وأرابيسوس Arabissus  
وكوكوسوس Cucusus ، وأرائي Arraethea وكومانا القبدوقية  
Cappadocian Comana . وأخيرا أرمينيا الرابعة التي كانت  
اقليما جديدا في الاسم وفي المدن، التابعة لها . فهذا الاقليم يتكون من  
المناطق الرومانية فيما وراء نهر الفرات . (٢٨) (شرق أرمينيا الثالثة) ،  
والذي كان يحكمه حكام من أهالي أرمينيا الرومانية ، وفي عصر جوستنيان  
حكمه قنصل اتخذ مدينة مارتيروبوليس Martyropolis عاصمة له (٢٩) .  
والواقع ان جوستنيان لم يكتف باجراء هذه التعديلات الادارية  
فحسب في اقاليم أرمينيا ، وانما عمل على صبغها بالصبغة الرومانية ،  
اذ انه حتى عصر جوستنيان ظل أهالي أرمينيا الرومانية يعيشون طبقا  
لقوانينهم وعاداتهم الخاصة ، ولم يطلب منهم أحد من قبل تنظيم معاملاتهم  
الخاصة وفقا للقانون الروماني . وأبرز هذه الاصلاحات القانونية ما تعلق  
بالملكية والارث والزواج ، حيث ألزمهم جوستنيان بالانصياع لقانون  
الملكية الذي يسمح للمرأة بحق الارث بعد أن كانت محرومة كلية من  
الارث الذي كان قاصرا على الأبناء من الذكور أو على الأقارب من الذكور  
في حالة عدم وجود عقب من الذكور للمتوفى . كما نص القانون على  
ضرورة دفع مهر ( صداق ) للزوجة بعد أن كان الزوج يشتري  
زوجته (٣٠) .

Nov., 21, C., I, pp. 272-273; Procopius, Buildings., pp. 179-185; (٢٨)  
Dichl; Justinien p., 280; Jones, The Cities of the Eastern Roman  
Empire, (Oxford, 1937), p. 226; Stein, Op. Cit., II, p. 471.  
Bury, Op. Cit., II, p. 344; Jones, Later Roman Empire, I, (٢٩)  
p. 281.  
Nov., II, pp. 167-168; Edict 3, pp. 682-683 in Corpus Juris (٣٠)  
Civilis, Pars III; Bury, Op. Cit., II, p. 345; Stein, Op. Cit., II, p. 471.

كانت عملية جمع الضرائب محور ارتكاز سياسة جوستينيان الادارية . ولم يخف ذلك على الاطلاق بل ان حاجته الملحة الى خزانة عامرة جعلته يذكر حكام الأقاليم بصفة مستمرة بذلك ، « قبل كل شيء اجعلوا شغلكم الشاغل عملية جباية الضرائب » . هذا في الوقت الذي ظل فيه يحث الرعية بالتذكيرة الدائمة « ادفعوا الضرائب على الفور . ان مشاريعنا العظيمة لا يمكن أن يتم انجازها دون المال » (٣١) . وظل جوستينيان يؤكد على حقه وحق زوجته في المحافظة على دخل الدولة ، وماله من عظيم الأهمية (٣٢) . وحذر دافعي الضرائب من أنه ليس لهم حق الشكوى ضد حاكم الاقليم في حالة اذا ما اتبع معهم القسوة عند تحصيل الضرائب (٣٣) . بل على العكس فانه الزم دافعي الضرائب بمساعدة حاكم الاقليم على جمعها في نهاية مدة عمله . واذا ما حاولوا التجرش به خلال الخمسين يوما المؤجلة لرحيلة عن الاقليم فانهم سيعرضون أنفسهم لأشد ألوان العقوبات (٣٤) .

وأكد جوستينيان على أنه يترفع عن محاكاة أسلافه من الأباطرة الذين باعوا وظائف الدولة ، ومن ثم حرموا أنفسهم من حق الاعتراض على أولئك الموظفين الاداريين الذين اختلسوا الموارد المالية للدولة . بيد أنه بدأ عهدا جديدا بحزم فيما يتعلق بالضرائب المطلوبة ولذلك ، « على الجميع أن يرتل ترانيم التمجيد لله وللمخلص لصدور هذه القوانين الجديدة » (٣٥) واعتقد جوستينيان أن المفساد الادارية المتراكمة إنما كلها نتائج تساهل من سبقه من الأباطرة . وأن هذا التساهل أدى الى انخفاض حق الدولة في الضرائب الى الثلث ، بل وربما انخفض ما يكون حقا لخزانة الدولة الى الربع فحسب (٣٦) .

ويرجع الفضل في وضع سياسة جوستينيان الادارية موضع التنفيذ لرجله المخلص حنا القبدوتى John the Cappadocian ، الذي ظل مسؤولا عن الجهاز الاداري لحكم الأقاليم لمدة عشر سنوات (٥٣١-٥٤١م) ،

(٣١) Nov., 8, C. 8, 10, pp. 84-85; pp. 86-87; Nov., 18, C., 1, pp. 148-149, Nov., 30, C. 2, pp. 270-271; Diehl, Justinien, p. 277; Stein,

Op. Cit., II, p. 464; Holmes, Op. Cit., II, p. 440.

Nov., 28, C. 4, pp. 248-249 ; Nov., 29, C. 5, p. 257; Nov.... (٣٢)

30, C. 6, 11, pp. 263-264, pp. 270-271; Holmes, Op. Cit., p. 480.

Nov., 8, C. 8, 10, pp. 84-85; pp. 86-87; Nov., 28, C. 5, pp. 350- (٣٣)

251; Holmes, Op. Cit., II, p. 480, Stein, Op. Cit., II, p. 464.

Nov., 8, C. 8, 10, pp. 84-85, pp. 86-87; Holmes Op. Cit., II, (٣٤)

p. 480.

Nov., 8, C. 11, pp. 88-89; Stein, Op. Cit., II, p. 464. (٣٥)

Nov., 8; Préface, pp. 76-79; Holmes, Op. Cit., II, p. 481. (٣٦)

وهي الفترة التي صدرت فيها أهم تشريعات جوستنيان الادارية ، وكان جوستنيان قد اكتشف شخصيته في بداية عصره عندما كان حنا كاتباً صغيراً في مركز القيادة العسكرية (٣٧) . على أن جوستنيان لمس فيه المقدرة على تحمل مسؤولية تنفيذ الانجازات الادارية ، لذلك عينه في وظيفة حاكم عام الأقاليم الشرقية Praetorian Prefect .  
سنة ٥٣١ م (٣٨) . والواقع أن حنا القبدوقي عمل باخلاص ، « حتى صار أعظم الرجال قوة » ، على حد قول بروكوبيوس (٣٩) .

على أن أروع انجازات جوستنيان كانت في مجال التشريع والمحافظة على التراث الروماني في النواحي القانونية . بل أن انجازاته في مجال التشريع فاقت في روعتها انجازاته الاستردادية والمعمارية ، إذ مازالت حتى يومنا هذا ذخيرة لاغنى عنها لدارس القانون . ويرجع اهتمام جوستنيان بالتشريع الى ايمانه بأن القانون هو أحد ركني الحكم الصالح في الدولة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه كان على دراية بالقانون، بل ولديه المقدرة على فحص القوانين « بكل دقة وامعان » على حد قوله نفسه (٤٠) .

ومن البديهي وجود شخصية قانونية بجوار جوستنيان ساعدته بصدق على اصدار انجازاته القانونية الرائعة ، وتمثلت هذه الشخصية في تريبونيان Tribonian الذي ظل يحمل عبء كل الانجازات القانونية الواحدة بعد الآخر حتى سنة ٥٤١ . والواقع أن تريبونيان جذب اليه الامبراطور نظراً لعبقريته الفذة اذ جمع خصائص متعددة في وقت واحد وبدرجة متساوية ، فقد كان رجل القانون ورجل دولة وفيلسوفاً ،

G. R. Baker, Justinian, (London, 1932, pp. 19-20; Bury, (٣٧)  
Op. Cit., II, p. 36.

(٣٨) كان حاكم عام الأقاليم Praetorian Prefect منذ عهد الامبراطور أغسطس يتولى قيادة وتنظيم الإدارة المدنية والجيش ، وبذلك صار أعظم الموظفين قوة ، وبلى الامبراطور نفسه . وظل مركزه بلى الامبراطور مباشرة حتى عصر جوستنيان فعند دخوله قاعة مجلس الشيوخ كان على كل أعضاء المجلس الوقوف ثم الركوع أمامه لتحيته . غير أن سلطته منذ عهد الامبراطور قنستنتين اقتضت على الإدارة فحسب ، وان ظلت له الرئاسة على حكام الأقاليم باستثناء روما والقسطنطينية ، انظر :

C.N. Tsiapanlis «John Lydos on the Imperial Administration  
Byzantion, xliv, (Bruxelles, 1974), pp. 489-490.

Procopius, Wars, I, p. 223.

(٣٩)

T. C. Sandars (Translator), The Institutes of Justinian, Ninth Edition, (New York, 1989), Justinian's Proem, p. 2.

(٤٠)

وخطيبا ، ومحاميا ، وعالما فى الفلك (٤١) . هذا فى الوقت الذى تحلى فيه بدمائة الخلق والبراعة فى الاطراء (٤٢) لذلك شغل عدة وظائف منها وظيفة الكويستور Quoeator (٤٣) . وشغل القنصلية (٤٤) ، ورياسة الدواوين ، (٤٥) وشغل وظيفة محافظ القسطنطينية (٤٦) .

على أن الدافع الاساسى لانجازات جوستينيان التشريعية يرجع الى اعتقاده بأن المشيئة الالهية أعانتته على حكم الامبراطورية على النحو الصالح . باعتياده على ركنين : الأسلحة والقانون ، وهما التراث المزودج لماضى روما ، التى اشتهرت بالانتصار العسكرى وبقوانينها العادلة . وجاء توحيد الشريعة على يد جوستينيان كاجراء حتمى ، بعد أن أصبحت المراسيم الامبراطورية والآراء الفقهية متنافضة ومثيرة للارتباك والتشويش وشدة

Colquhoun A Summary of the Roman Civil Law, Vol. I, (٤١); (London, 1849), p. 57.

Procopius, Wars, I, p. 239; Ibid, The Secret History, p. 107. (٤٢);

Nov., 17, p. 135; Holmes, Op. Cit., II, p. 471. (٤٣)

الكويستور يرأس المجلس القضائى وهو المجلس الامبراطورى الأعلى ، ويمثل وزير العدل ، ويرأس محكمة الاستئناف وهى محكمة تنظر فى قضايا القتل ، والوصايا ، والأوصياء ، وكان بمثابة مستشار قانونى للقصر المقدس . انظر :

C.N. Tsirponis, «John Lydos on the Imperial Administration,» Byzantion, XLIV, (Bruxelles, 1974). pp. 395-496; Holland, The Institutes of Justinian, p. XXII.

Code de Justinien, Tome Premier, Troisième Préface. Traduction par P.A. Tissot p. 15. (٤٤)

Ibid, p. 15; Holmes, Op. Cit., II, p. 471; Jones, Later Roman Empire, I, p. 279. (٤٥)

كان رئيس الدواوين Magister Officiorum مسئولاً عن سجلات المكاتب الامبراطورية ويرأس الحرس المعروف باسم Scholae palatinae ، وباعتباره الرئيس الأعلى للتشريعات فإنه كان يستقبل السفراء من الخارج وبهذا فإنه يمارس أعمال وزير الخارجية . انظر :

Tsirponis, Op. Cit., p. 494.

Edict IX, p. 695 in Corpus Juris Civilis, Pars III; ; (٤٦)  
Holmes, Op. Cit., III p. 471.

كان محافظ العاصمة هو القاضى الأعلى الذى يفصل فى أمور رجال مجلس الشيوخ المدنية ، وكذلك الجرائم التى تقع فى نطاق العاصمة ، وكان الموظف الوحيد الذى لا يرتدى الزى العسكرى « وانما يرتدى التوجا Taga ( هو رداء أبيض من القطن ومزين باللون الأورجوانى ) » وتقع مسئوليته متابعة اعداد العاصمة بالمواد التموينية ، وكذلك بتنظيم التجارة والصناعة بها . انظر :

Tsirpanis, Op. Cit., p. 493.



الاختلاط . وأصبحت الأحكام القانونية تحت رحمة أهواء القضاة (٤٧) .

ويبدو أن اقتناع جوستينيان بفكرة تنسيق القوانين ترجع الى ما قبل اعتلائه عرش الامبراطورية ، لأنه ما أن انفرد بالحكم حتى أصدر مرسوما الى مجلس الشيوخ أعلن فيه عن خطته التشريعية التي تهدف الى اصدار قوانين جديدة ، وحذف القوانين المتناقضة والمهجورة ، والمقدمات الزائدة . وعلى ذلك أصدر مرسوما في الثالث عشر من نوفمبر سنة ٥٢٨ بتعيين لجنة من عشرة خبراء تحت رئاسة تريبونيان Tribonian وبرز أيضا في هذه اللجنة ثيوفيلوس Theophilus أستاذ القانون في القسطنطينية . وتحدثت مهمة هذه اللجنة في جمع القوانين التي أصدرها أباطرة الرومان منذ عهد الامبراطور هادريان حتى عصر جوستينيان والعمل على تنسيقها ، وحذف المتشابه منها ، وأن يضعوا بعض الإضافات ، واجراء بعض التغييرات اذا اقتضت الضرورة . وأنهت اللجنة أعمالها في أقل من عام ، وأصدرت مجموعة جوستينيان القانونية codex Justinianus في السابع من أبريل ٥٢٩ في عشرة أجزاء (٤٨) / بيد أنها كانت في مجلد واحد فحسب (٤٩) .

ولا يخفى أن هذه الخطوة استهدفت تجديد الامبراطورية بشكل عام ، كما أن صدور مجموعة جوستينيان نسخ المجموعات القانونية الثلاث السابقة والتي عرفت باسم Codex Gregarianus وكذلك Codex Hermogenianus ثم Codex Theodosianus .

وعلى أثر هذا النجاح الرائع الذي حققه تريبونيان في اصدار مجموعة جوستينيان القانونية ، وجه همه نحو انجاز تشريعي آخر أكثر

---

(٤٧) Colquhoun, Op. Cit., I, p, 57; Diehl, Justinien, p. 25.

وعمر ممدوح مصطفى ، القانون الروماني ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ١٩٥٤ م ، ص ١٠٩ .

(٤٨) B. Nicholas, An Introduction to Roman Law, (Oxford, 1962), pp. 32-39; J. Schulz, History of Roman Legal Science, Second edition, (Oxford, 1953), p. 317; Diehl, Justinien, p. 250; Stein, Op. Cit., II, pp. 403-4.

وعبد النعم البدراوي ، تاريخ القانون الروماني ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٤٩ م ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، عمر ممدوح مصطفى ، القانون الروماني ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية الاسكندرية ، ١٩٥٤ م ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، شفيق شحاته ، نظرية الالتزامات في القانون الروماني ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٤١ - ٤٢ ، محمد معروف الدواليبي ، الوجيز في الحقوق الرومانية وتاريخها ، الطبعة الثالثة ، دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٤٩) C. H. Monro, The Digest of Justinian, Vlo. I, (Cambridge, 1904), p. XIII.

طموحا بكثير وهو عملية تنسيق الأحكام القضائية لأشهر رجال القانون الروماني . وهو انجاز لم يسبق لأحد الاقدام عليه أو مجرد الرغبة في تنفيذه ، لأنه كان فيما يبدو أمرا غاية في الصعوبة . واعتبر جوستينيان نفسه وريثا للمؤلفات التشريعية لرجال القانون القدامى منذ تأسيس روما . وهذه المؤلفات كانت مبعثرة وغير محددة . ولذلك طلب جوستينيان من تريبونيان جمعها في مجلد واحد على غرار « مجموعة جوستينيان القانونية » . وأعطاه صلاحية اختيار اللجنة التي ستعمل معه . وأن هذه القوانين سيكون لها قوة القوانين التي تصدر من « فم جوستينيان المقدس » . على أن مرسوم العمل لاصدار هذا المجلد تضمن عدة تعليمات حددت خطة العمل منها ، اعطاء اللجنة صلاحيات بحذف الزائد ، والتخلص من كل تكرار أو تناقض ، واجراء بعض الإضافات للتشريعات مع حذف التشريعات القديمة التي تتعارض مع « مجموعة جوستينيان القانونية » . على أن يتم توزيع هذه التشريعات على خمسين كتاب لها عناوين مميزة على غرار « مجموعة جوستينيان القانونية » وأن يطلق على هذا المجلد اسم الديجست Digest (٥٠) أو البندكت Pandects على حد تعبير جوستينيان . وأن تستخدم الحروف الأبجدية المألوفة عند كتابته مع تجنب استعمال الطرق الأخرى للكتابة مثل طريقة الأرقام العددية ، أو الاختصار أو الرموز حتى لا تكون هناك مدعاة للغموض ، وحتى يظل هذا المجلد « محرابا مقدسا للعدالة » على حد قول جوستينيان . وتضمن المرسوم أيضا تكليف تريبونيان باصدار كتيب للدراسات القانونية Institutiones (٥١) لتزويد طلاب الدراسات

(٥٠) يرى الباحث الإبقاء على التسمية المستعملة منذ عصر جوستينيان حتى الآن في كل اللغات الأوروبية المشتقة من اللاتينية بعد أن لاحظ أن بعض المراجع العربية قدمت تسميات تثير الارتباك ، إذ أطلقت هذه المراجع على الديجست لفظ : الجامع ، مجموعة الفقه ، الموسوعة ، الموجز ، المختار ...

انظر على التوالي شتيق شحاته ، القانون الروماني ، ص ٤٧ ، منهج معروف الدواليبي ، الوجيز في الحقوق الرومانية وتاريخها ، ص ٣٢٩ ، عمر مهدوح مصطفي ، القانون الروماني ، ص ١٠٩ ، حسين مؤنس ( مترجم ) الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٦ ، السيد الباز العريضي ، الدولة البيزنطية ، ص ٩٢ .

(٥١) يرى الباحث أيضا الإبقاء على التسمية اللاتينية Institutiones كما هي إذ أن بعض المراجع العربية أطلقت عليها : المتن ، الأحكام القانونية ، مجموعة النظم ، الشرائع ، مدونة جوستينيان ... انظر على التوالي شتيق شحاته ، القانون الروماني ، ص ٤٦ ، محمد معروف الدواليبي : الوجيز في الحقوق الرومانية ، ص ٣٢٩ ، عمر مهدوح مصطفي ، القانون الروماني ص ١٠٩ ، السيد الباز العريضي ، الدولة البيزنطية ، ص ٩٣ ، عبد العزيز فهمي ( مترجم ) مدونة جوستينيان في الفقه الروماني .

القانونية بالقواعد التي تمهد للتعلم في الدراسات الأعلى . وصدر  
مرسوم التكليف هذا في الثامن عشر من ديسمبر سنة ٥٣٠ (٥٢) .

على أن انجاز هذا العمل فاق بكثير الانجاز الأول في الجهد والمشقة .  
اذ استغرق ثلاث سنوات ، غير أنها في الواقع كانت مدة قياسية اذ كان  
متوقعا لانتهاء من تصنيف الديجست عشر سنوات . وبفضل جهود  
تريبونيان ورفاقه ، ولوجود مكتبة قانونية نادرة في حوزة تريبونيان ،  
تمكنت اللجنة من الاطلاع على حوالى ألفى كتاب لرجال القانون احتوت  
على ما يزيد على ثلاثة ملايين سطر . وتمكنت اللجنة من انجاز مهمتها على  
ضوء تعليمات الامبراطور جوستنيان . وأخرجت مجلدا واحدا ضم خمسين  
كتابا ، اشتملت على حوالى مائة وخمسين ألف سطر . وذلك في السابع  
عشر من ديسمبر ٥٣٣ (٥٣) .

كان على جوستنيان وضع مجموعته التشريعية موضع التنفيذ ، وهو  
الأمر الذى تطلب تحديدا لأسلوب العمل تفصيليا سواء فى ساحة  
القضاء . أو فى قاعات الدراسات القانونية . لذلك أصدر مرسوما من  
أربع وعشرين فقرة يتعلق بساحات القضاء ، ووجهه الى كل رجال  
السناو وكل شعوب الامبراطورية وعرف هذا المرسوم باسم  
*Constitutio Tanta* ، وآخر الى أساتذة القانون موضعا به تفصيليا  
خطة الدراسة القانونية وفقا لتشريعاته الجديدة تضمن هذا المرسوم احدى  
عشرة فقرة وعرف هذا القانون باسم *Constitutio Omnem* وأصدر هذين  
المرسومين بتاريخ واحد ( السابع عشر من ديسمبر ٥٣٣ ) .

ففى مجال التطبيق العملى لتشريعات جوستنيان القانونية حدد  
المرسوم السابع والعشرين من ديسمبر ٥٣٣ كبداية للعمل بها ، أى أنه  
جعل التنفيذ بعد عشرة أيام من تاريخ اعلان المرسوم . والزم المرسوم  
كل القضاة بالالتزام بهذه القوانين فى كل أمورهم القضائية . وكذلك  
الزم الحكام العامين الثلاثة لأقسام الامبراطورية . *Pretorian Prefects*  
( الأقاليم الثلاثة الشرقى ، الايليرى ، واليبى ) بمتابعة التنفيذ (٥٤) .

*Constitutio Deo Auctore* in The Digest of Justinian, Vol. I. (٥٢)

Tr. C. H. Monro, pp. XII-XVII.

*Constitutio Tanta*, in The Digest of Justinian, Vol. I. (٥٣)

pp. xxv-xxxvi; Colquhoun, Roman Civil Law, Vol. I, p. 78; Nicholas,  
An Introduction to Roman Law, pp. 39-40; Schulz, History of Roman  
Legal Science, p. 319, W. Ullmann, Law and Politics in the Middle  
Ages, p. 55.

*Constitutio Tanta*, 24, p. xxxvi in the Digest of Justinian, (٥٤)  
Vol. I.

ونص المرسوم صراحة على نسخ كل التشريعات السابقة ، بل وعلى عدم السماح بإجراء مقارنة بينها وبين التشريعات السابقة ، بل وعلى عدم السماح بإجراء مقارنة بينها وبين التشريعات الجديدة ، وحذر القضاة من عدم التنفيذ لها بتوقيع أقصى أنواع العقوبات مع الادانة بالتزيف (٥٥) . وحذر المرسوم رجال القانون من وضع تفسيرات للقانون ، باستثناء ترجمته الى اللغة اليونانية شريطة ان تكون الترجمة وفقا للنظام والتسلسل . الموجود في النصوص اللاتينية . واعتبر كتابة التفسيرات القانونية جريمة يعاقب عليها بتهمة التزيف . والزم القضاة بطلب التفسيرات ، في حالة ظهور ما يثير الشك ، من الامبراطور شخصيا ، « لأن الامبراطور هو الذي يسن القوانين ويفسرها » . على حد قول جوستينيان (٥٦) . والواقع أن جوستينيان كان يؤمن بسنة التطور ، وأن طبيعة القانون البشرية ، تحمل سمة التطور لأن الطبيعة البشرية تقدم بصفة مستمرة أنماطا ، جديدة

للحياة . لذلك نص المرسوم ، « اننا نتوقع ظهور أمور ضرورية وملحة ليست ضمن الاطار العام لتشريعاتنا القانونية ، فعندما تظهر أى قضية من هذا القبيل ، يجب ترك هذا الأمر للامبراطور للبت فيه ، حيث أن الله أقام الامبراطور لرعاية الشئون البشرية ، وجعله فى وضع يسمح له بالتعديل والتنظيم ، واصدار الصيغ الصحيحة » (٥٧) . وحذر جوستينيان الكتبة الذين يمارسون حرفة النسخ من اللجوء الى طريقة الرموز Ciphers عند نسخ أى كتاب من المجموعة القانونية واعتبر ذلك جريمة عقوبتها نفس عقوبة التزيف بالاضافة الى دفع ضعف ثمن الكتاب كغرامة . والزمهم باستخدام الحروف الأبجدية بوضوح (٥٨) .

عبر جوستينيان عن سعادته لصدور مجموعته القانونية سنة ٥٢٩ ، بل أنه اعتبر هذا العام من أسعد سنين حكمه ، اذ طالب الشعب كله بتقديم اسمى آيات الشكر لله ، وبالمحافظة على مجموعته القانونية التي صدرت بمشيئة الله فى الوقت الذى وضعت فيه الحروب الفارسية أوزارها ، وانتهت بسلام دائم ، وعادت كل أقاليم ليبيا الى أحضان الامبراطورية « وبذلك أفاض الله علينا بكل النعم » على حد قول جوستينيان (٥٩) .

Ibid, 19, p. xxxiv. (٥٥)

Idem, 21, p. xxxiv. (٥٦)

Idem, 18, p. xxxiii. (٥٧)

Constitutio Tanta, 22, p. xxxv. (٥٨)

Ibid, 1, p. xxvi; 23, p. xxv. (٥٩)

وفي المجال التعليمي خاطب جوستينيان كلاً من أساتذة القانون والطلبة ، إذ أصدر مرسوماً خصيصاً للأساتذة الثمانية (٦٠) . الذين يدرسون القانون في كل من القسطنطينية وبيروت من إحدى عشرة فقرة تحدث فيها بالتفصيل عن أهمية تدريس مجموعته القانونية بل ووضع لهم برنامج التدريس على مدار مرحلة الدراسات القانونية التي كانت خمس سنوات ففي السنة الأولى حدد تدريس كتاب مبادئ الدراسات القانونية Institutes والكتب الأربع الأولى من مجلد ( الخلاصة ٩ ) أو ( المختصرات ٩ ) .

وفي السنوات التالية حتى السنة الرابعة يدرسون اثنين وثلاثين كتاباً فقط من مجلد الخلاصة أو المختصرات (٦١) . وأما في السنة الخامسة فيدرسون مجموعة جوستينيان Codex Justinianus . على أن جوستينيان قصر تدريس هذه القوانين على مدينتي القسطنطينية وبيروت « مهمل الدراسات القانونية » فحسب نظراً لأن الأساتذة في قيصرية بفلسطين ، وكذلك الاسكندرية لم يكونوا على مستوى المسؤولية . وحذر جوستينيان المخالفين لقراره هذا من التعرض للغرامة التي كانت عشرة أرتال من الذهب مع الطرد من المدينة ، وهذا التحذير موجه للأساتذة في غير القسطنطينية وبيروت (٦٢) .

كانت كلمة جوستينيان لطلبة الدراسات القانونية هي المقدمة Proemium التي تصدرت كتاب مبادئ الدراسات القانونية ، والذي صدر في الحادي العشرين من نوفمبر ٥٢٩ أي قبل إصداره المرسوم لأساتذة القانون بشهر تقريباً . وفي هذه الكلمة وضع جوستينيان للطلبة أهمية الدراسات القانونية ، وأنها الركن الأول لتحقيق العدالة في المجتمع وكعادته أوضح لهم الهدف من حركته التشريعية التجديدية . وحثهم على التفاني في الدرس والتحصيل حيث ينتظرهم مستقبل باسم « في المشاركة في حكم جزء من الامبراطورية بعد انتهاء دراستهم بنجاح » (٦٣) .

#### (٦٠) الأساتذة الثمانية هم :

Isidorus	أيسيدوروس	Theophilus	ثيوفيلوس	Dorotheus	دوروثيوس
Anatolius	أناتوليوس	Thaleloeus	ثاليوليوس	Theodorus	ثيودوروس
		Cratinus	كراتينوس	Solaminus	سولامينيوس

انظر :

Constitutio Omnem, P. XV III in the Digest of Justinian, Vol. I.

Constitutio Omnem, pp. XX-XIII; P. Collinet, Histoire de (٦١)

L'Ecole de Droit de Beyrouth, (Paris, 1925), p. 16; T.E. Holland, The Institutes of Justinian, Second Edition, (Oxford, 1881), pp. xxx-xxx.

Constitutio Omnem, pp. xx-xxiv. (٦٢)

Proemium of the Institutes of Justinian, pp. 1-3, translated (٦٣)

by T.C. Sanders,

تلك كانت المحصلة التي تم انجازها في مجال التشريع حتي نهاية سنة ٥٣٣ م . وللمرء أن يسأل عن دور جوستينيان بعد ذلك وحتى سنة ٥٦٥ . الواقع أن جوستينيان حمل صفة « المشرع » من بين الصفات التي حملها للاستمراره في اصصدار القوانين الجديدة حتي آخر سنة له على العرش .

على أن هذه القوانين الجديدة Novellae Constitutiones لم تجمع بصفة رسمية على الاطلاق . ومعظمها صدر في الفترة ما بين ٥٣٥ - ٥٥٦ م . وعدد كثير منها غير محدد التاريخ . والاسم الحديث لها هو Novels وهي موجهة الى بعض كبار موظفي الدولة بخصوص المسائل العامة ، وعدد كبير منها يتعلق بالأمور الكنسية . ولما كانت اللغة اليونانية هي لغة غالبية سكان الامبراطورية ، لذلك كان طبيعيا أن تصدر معظم هذه القوانين الجديدة ( النوفلات ) باللغة اليونانية . وفي كثير من الحالات لم يكن القصد منها صدور قانون لتطبيقه في كل أنحاء الامبراطورية ، لكنها تحتوي على تعليمات لما يجب اتباعه في بعض الاقاليم الخاصة . والقليل من هذه القوانين صدر باللغتين اليونانية واللاتينية والقانون الموجه الى الاقاليم التي يتحدث سكانها باللغة اللاتينية مثل ايليريا ، وافريقيا ، وإيطاليا ، فانها صدرت باللغة اللاتينية فحسب . ومعظم هذه ( النوفلات ) موجه في المقام الأول الى الحاكم العام للأقاليم الشرقية Praefectus praetorio Orientis ، ومن واجبه ابلاغها الى حكام الاقاليم Rectores provinciarum الذين كان من واجبهم اذاعتها على الشعب . ومعظم ( النوفلات ) المهمة التي تتعلق بالكنيسة كانت موجهة الى بطريرك القسطنطينية (٦٤) .

والواقع أن ( نوفلات ) جوستينيان أحد المصادر المهمة لعصره ، حتي يتمكن الباحث من الوقوف على أحوال الامبراطورية الداخلية المتعلقة بسياسته في ادارة الاقاليم ، وفي سياسته الكنسية ، والقضائية ، وتنظيمه للأسرة المسيحية فيما يتعلق بالارث والزواج .

على أية حال تميز جوستينيان عن غيره من أباطرة الرومان بأنه الامبراطور المشرع . بنفس القدر الذي تميز به بالولع في اقامة الانشاءات المعمارية .

T.R. Walton, Historical Introduction to the Roman Law, Fourth Edition, (London, 1920), pp. 306-307; Colquhoun, Op. Cit., I, pp. 73-74; B. Nicholas, An Introduction to Roman Law, (Oxford, 1962), p. 42.

كانت إحدى المفاهيم عن الامبراطور الروماني ، اقامته للانجازات المعمارية وفاق بعض الأباطرة غيرهم في هذا المجال مثل أوغسطس وتراجان ، ودقلديانوس وقسطنطين (٦٥) . غير أن الامبراطور جوستينيان فاق كل أباطرة الرومان جميعا في انجازاته المعمارية الرائعة . وبالرغم من تقديم بروكوبيوس بحثا من ستة كتب تضمنت الانشاءات الضخمة التي تمت في عصر جوستينيان في عدة مجالات . كنسية ومنشآت عامة ، ودفاعية وغيرها ، فإن المؤرخ نفسه يؤكد على أن هناك الكثير من الانجازات المعمارية التي تمت في عصر جوستينيان ، والتي لم يذكرها لأنه لم يشاهدها أو لأنها ظلت غير معروفة لديه ، « واني لعلّ يقين كامل بأن هناك الكثير من الانجازات المعمارية التي لم أذكرها دون عيب نظرا لأنني لم أشاهدها لكثرتها أو لأنها ظلت غير معروفة لي ، ولهذا إذا ما قدر لأي إنسان أن يأخذ على عاتقه عملية البحث عنها ، و اضافتها الى بحثي هذا ، فسيكون له فضل تادية عمل ضروري ، وله شرف المحب للانجازات العظيمة » (٦٦) . ثم يؤكد استحالة حصر الانشاءات التي أقامها جوستينيان قائلا : اذا ما حاولنا حصر كل الانشاءات الضخمة التي شيدها جوستينيان في طول وعرض الامبراطورية الرومانية ، فإن ذلك عمل شاق بل مستحيل كلية » (٦٧) . ومع ذلك فإن ضخامة هذه الانجازات المعمارية جعلته يقدم بحثه بعد ملاحظته بأن انشاءات الأباطرة السابقين والتي لم يكتب عنها أصبحت موضع شك هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن انجازات جوستينيان المعمارية الضخمة والعديدة من المحتمل ان يفرض أي إنسان أنها تمت على يد امبراطور واحد (٦٨) .

والواقع أن بحث بروكوبيوس « عن الانشاءات » هو المصدر الوحيد الشامل لكل انجازات جوستينيان المعمارية ، وما بقي من هذه الانجازات المعمارية حتى يومنا هذا لدليل قوى على روعة هذا العصر ، الذي تجلت فيه العبقرية والفن والرغبة الأكيدة في الانجاز ، وهي السمة التي تميز بها عصر جوستينيان لا في مجال الانشاءات فحسب ، بل في المجالات الأخرى المتعددة والتي لا تقل روعة عن المجال المعماري .

على أن أدوع الانجازات المعمارية والتي ما زالت باقية بالشكل الذي كانت عليه في عصر جوستينيان ، كنيسة الحكمة « أيا صوفيا » التي

G. Downey, Constantinople in the Age of Justinian, Norman, (٦٥)  
1960), p. 92.

Procopius, Buildings, p. 393. (٦٦)

Procopius, Buildings, pp. 37-39. (٦٧)

Ibid, pp. 3-9. (٦٨)

ظلت شاهدا على تقدم ، الفن المعماري ، والتي برهنت على العبقرية في التصميم والتنفيذ . ويرجع الفضل في ذلك إلى وضوح الرؤية ، وحسن البصيرة عند جوستينيان ، إذ كان في مقدراته انتقاء الرجال المناسبين لوضع مشروعاته الضخمة موضع التنفيذ . وكان اختياره موفقا للعالم المهندس أنثيميوس الترابي Anthemius of Tralles أعظم علماء فن البناء في عصره ، والذي لم يشبكه شخص آخر من قبل . ومد هذا العالم يد العون لحماس الامبراطور جوستينيان في حينه ، منظما لأعمال الصناعات المهرة المتعددين ، ومعدا التصميمات الفنية للبناء (٦٩) .

غير أن أنثيميوس لم يكن يعمل وحده ، وإنما ساعده زميله ايزيدوروس Isidorus وهو من أهالي آسيا الصغرى أيضا ، ووصفه بروكوبيوس بأنه ، « كان رجلا ذكيا وجديرا بمعاونة جوستينيان » (٧٠) . ولما كانت كنيسة الحكمة « أيا صوفيا » من أقدم كنائس القسطنطينية حيث بناها الامبراطور قنسطنطين ، ثم جدها قنسطنطيوس وثيودورسيوس الثاني (٧١) ، وعمل كل الأباطرة فيما بعد على زيادة تزيينها وتجميلها وأنها كانت ضمن المباني التي تعرضت للحريق إبان انتفاضة القسطنطينية الشعبية سنة ٥٣٢م ، لذلك سارع جوستينيان بإعادة بناء هذه الكنيسة على مساحة أكبر وعلى طراز أفخم بعد أن جمع لها كل الصناعات المهرة من كل أنحاء العالم (٧٢) . كما أرسل جوستينيان أوامره إلى حكام أقاليم الامبراطورية يطلب منهم البحث في كل ضواحي أقاليمهم عن بقايا أثرية للمعابد المنهارة أو المهجورة . والتي يمكن أن تفي بغرض بناء كنيسة الحكمة . فأرسلت روما ثمانية أعمدة من الرخام السماقي ، وهم من بقايا معبد الشمس ، كما أرسلت مدينة افسوس ثمانية أعمدة من الرخام الأخضر . كما تم استخراج الكثير من الرخام من المناجم والمحاجر من أجزاء

Procopius, Buildings, p. 12.

(٦٩)

انحدر المهندس أنثيميوس من أسرة موهوبة ، تميزت بتعدد البراعات والمهارات فاحد اخوته كان أدبيا ، ثم صار معلما لأبناء العديد من الأسر الشهيرة في القسطنطينية وآخر كان محاميا ناجحا ، وأنان طبيبان ناجحان ، أحدهما ظل في مدينة ترالي Tralles في آسيا الصغرى ، مسقط رأسه ، والثاني عمل في روما . والواقع أن شهرة أنثيميوس لم تكن قاصرة على الانجازات المعمارية فحسب وإنما كانت لديه الخبرة الفائقة على تطبيق العلوم الرياضية . انظر :

Agathias, Historiarum, ed. Dindorf, Paris III, pp. 292-293;

G. R. Baker, Justinian, p. 10 Ure; Justinian and his Age, p. 224.

Procopius, Buildings, p. 12.

(٧٠)

Lebeau, Op. cit., T. 8, p. 402.

(٧١)

Procopius, Op. Cit., P. II; Agathias, Op. Cit., p. 295.

(٧٢)



مختلفة من الامبراطورية وبخاصة من آسيا الصغرى ، ومصر ، وجزيرة رودس . الى أن تكسبت بالقسطنطينية كميات كبيرة من الآثار التذكارية للمعابد الوثنية والرخام والأحجار ومواد البناء التي يمكن أن تستخدم لإعادة تخطيط المدينة وليس لمجرد إعادة بناء كنيسة الحكمة (٧٣) .

ولا شك أن نجاح جوستينيان في القضاء على الوثنية واستيلائه على معابدها وما بها من كنوز أتاح له الفرصة لهدم هذه المعابد واستخدام ما بها من أعمدة من الرخام المتعدد الألوان الى حد الوفرة التي ساعدت على ظهور كنيسة الحكمة على هذا النحو الرائع ، وكذلك اقامة بعض الانجازات المعمارية الأخرى بالعاصمة .

على أية حال بدأ العمل في بناء كنيسة الحكمة بعد مرور أربعين يوما على « انتفاضة نيقا الشعبية » ( أى فى الثالث والعشرين من فبراير ٥٣٢ ) (٧٤) واشترك حوالى عشرة آلاف عامل ، كانوا يتقاضون أجورهم يوميا من القصة . (٧٥) وانتهى العمل من بناء هذا الانجاز الرائع بعد خمسة أعوام ونصف حيث افتتحها جوستينيان فى عيد ميلاد سنة ٥٣٧ م . (٧٦) وكان يوم الافتتاح عيداً شعبياً صاحبه توزيع المنح والهدايا العديدة وركب البطريرك ميناس Menas العربية الامبراطورية الى مبنى الكنيسة بينما مشى الامبراطور بجواره مع الشعب . (٧٧) وتقدم الامبراطور تجاه محراب الكنيسة ، ونظر حوله ، ثم رفع يديه الى السماء قائلاً « المجد لله الذى قدر انى جدير بانجاز هذا العمل العظيم ، لقد جاوزت فيه قدرة سليمان وتفوقت عليه » (٧٨) .

ولنا أن نقبل ما قاله جوستينيان على أنه أمر عادى اذا ما عرفنا حالة الورع ، والتقوى التى مر بها بروكوبيوس عند دخوله كنيسة الحكمة اذ قال « اذا ما دخل أى انسان هذه الكنيسة للصلاة ، أحس بأنها ليست من

M. Cyril, The Art of the Byzantine Empire, pp. 81-85. (٧٣)

Downey, Constantinople in the Age of Justinian, p. 109;

Holmes, Op. Cit., p. 11; pp. 532-533.

Diehl, Manuel d'Art Byzantine, I, p. 179, Stein, Op. Cit., (٧٤)  
II, p. 458.

Diehl Justinien, p. 414; Bury, Op. Cit., II, P. 49; Cyril, Op. (٧٥)  
Cit., pp. 96-97.

Marcellinus Comes, Chronicon, Col. 943; Diehl, Justinien, (٧٦)  
P. 386; Holmes, Op. Cit., II, p. 536.

Theophanes, Op. Cit., I, p. 339; Holmes Op. Cit., II, p. 537. (٧٧)

Lebeau, Op. Cit., 8, p. 405; Diehl, Manuel D'Art Byzantine, (٧٨)  
P. 155; Franzius, History of the Byzantin Empire, p. 78.

أعمال القوى البشرية بيد أنها تمت بمشيئة الله . ذلك أن الروح حين ترقى الى السماء تدرك أن الله هنا قريب منها ، وهذا الشعور يحدث كل مرة كان الانسان يزورها للمرة الأولى » (٧٩) .

على أن بروكوبيوس لم يشأ أن يطيل في وصف كنيسة الحكمة وما بها من كنوز ، وإنما اكتفى بأن المحراب المقدس الذي يدخله القساوسة فحسب كان مزخرفا بما وزنه ألف رطل من الفضة . وأن السقف تعلوه طبقة من الذهب الخالص (٨٠) . هذا في الوقت الذي كان فيه حاجز فرقة المرتلين ، وتيجان الأعمدة ، وزخارف الأبواب ، وملابس الكهنة ، والأواني المقدسة كلها من الذهب الخالص الموشى بأثمان الجواهر (٨١) . وبلغ عدد العاملين بالكنيسة حوالى خمسمائة (٨٢) . وخصص جوستنيان ألف ومائة محل للانفاق على كنيسة الحكمة وحدها (٨٣) .

ومن الطبيعي أن يتطرق الى ذهن الباحث سؤال عن أبعاد هذه الكنيسة وهو الأمر الذي لم يذكره بروكوبيوس . بيد أن إيفاجريوس ( ٥٩٣ م ) قدم لنا وصفا عن أبعادها كما هي عليه الآن ومن وصف إيفاجريوس اتضح للباحث أن ارتفاع قبة الكنيسة يزيد قليلا عن ارتفاع عمارة مكونة من عشرين طابقا في أيامنا هذه وإيماننا من إيفاجريوس بأهمية الأبعاد حتى تكون عند المرء فكرة واضحة عن المبنى ، أكد على ذلك « بيد أنه لكي ينقل فكرة واضحة عن المبنى العجيب ، أجده من المناسب أن أحدد بالأقدام طول الكنيسة وعرضها وارتفاعها ، وامتداد أقواسها ، وارتفاع هذه الأقواس ، الطول من الباب المطل على الجزء النائي النصف دائرى من الكنيسة حيث تتم مراسيم طقوس قربان الذبيحة هو مائة وتسعون قدما . والعرض من الشمال الى الجنوب هو مائة وخمسون قدما ، وعمق نصف القبة الكروى من وسطها الى الأرض مائة وثمانون قدما ، وامتداد كل قوس من الأقواس المقنطرة ستة وستون قدما ، والطول من الشرق الى الغرب مائتان وستون قدما (٨٤) » .

*Procopius, Buildings, p. 37, Ure, Op. Cit., p. 223.* (٧٩)

*Procopius, Op. Cit., p. 25, 27.* (٨٠)

(٨١) جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ٢ ، ترجمة لويس إسكندر ، ص ٤٣٧ .

*Jean Ebersolt, Constantinople Byzantine, p. 29.*

*Lebeau, Op. Cit., T. 8, pp. 406-407.* (٨٢)

كان بها ستون تسلا ، ومائة شماس ، وأربعون شماسة ، وتسعون شباس مساعد ومائة قارئ وخمسة وعشرون منشد ، ومائة عامل .

*Nov. XLIII, Préface, p. 306.* (٨٣)

*Evagrius, Op. Cit., p. 413.* (٨٤)

على أن إيفاجريوس لم يكتف بمجرد ذكر هذه الأبعاد ، بل وصف الكنيسة بأنها مبنى هائل ولا مثيل له ، ولم يسبق أن أقيم شبيه له ، وأنه يفوق الوصف . ثم قدم وصف للمباني دون ذكر شيء عن مظاهر الجمال من ألوان المرمر ، والفسيفساء ، وما بها من ذهب وفضة (٨٥) . ولم يذكر إيفاجريوس شيئا عن إعادة بناء القبة الكبرى للكنيسة في عصر جوستينيان . إذ أن هذه القبة تعرضت للانهدام على أثر الزلزال الذي حدث في ديسمبر ٥٥٧ ، لذلك أعاد جوستينيان بناء القبة وزاد من ارتفاعها حتى صارت مائة وثمانين قدما بدلا من مائة وستين قدما . وأقيم احتفال بذلك في السابع من مايو ٥٥٨ م (٨٦) .

ويبدو أن حالة الانهيار التي مر بها بروكوبيوس ، نتيجة لروعة ، وفخامة وضخامة مبنى كنيسة الحكمة ، هي التي جعلته يعطيها الأولوية في الترتيب في بحثه عن انجازات جوستينيان المعمارية .

على أية حال ، إذا كانت كنيسة الحكمة هي أروع انجازات جوستينيان في مجال المباني الدينية فإنها لم تكن الوحيدة ، إذ أنه بنى في القسطنطينية وحدها أكثر من ثلاثين كنيسة (٨٧) . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر إعادة بناء كنيسة الرسل ، حيث بناها على شكل صليب ، ولها خمس قباب في نهاية كل طرف قبة والقبة الخامسة في الوسط عند نقطة التقاطع أي على نمط كنيسة الحكمة ، بيد أنها كانت أصغر منها حجما ، وهي التي كانت بها مكان لدفن الأباطرة وزوجاتهم منذ عهد قسطنطين حتى عصر جوستينيان (٨٨) . وتليها كنيسة إيرين ، والتي كانت قد تعرضت للحريق مع كنيسة الحكمة ، وجعلها جوستينيان أكبر حجما عن ذي قبل ، وفاقت كل الكنائس بالقسطنطينية باستثناء كنيسة الحكمة التي كانت بجوارها (٨٩) . وبني الامبراطور العديد من الكنائس باسم السيدة العذراء ، إذ كان بالقسطنطينية وحدها ثلاث كنائس تحمل اسمها : هذا بخلاف الكنائس الأخرى ، « في كل أنحاء الامبراطورية والتي خصصها للعذراء والتي كانت في غاية الروعة والضخامة » ، حتى أنه إذا

Ibid, p. 412.

(٨٥)

Malalas, Op. Cit., p. 495; Agathias, Op. Cit., pp. 275-286;

(٨٦)

Theophanes, Op. Cit., I, pp. 359-360; Diehl, Justinien, p. 488.

Cyril, Op. Cit. P. 55; DoWney, Constantinople in the Age of Justinian, p. 103.

(٨٧)

Procopius Buildings, pp. 49-53; Diehl, Art Byzantine, p. 179;

(٨٨)

Cyril, Op. Cit., pp. 102-103.

Procopius, Buildings, p. 37.

(٨٩)

ما شاهد انسان احداها لاعتقده أن الامبراطور قد شيد تلك المباني فحسب ،  
وأنه قضى عهده مشغولا ببناء هذه الكنائس وحدها (٩٠) .

ويؤكد بروكوبيوس مرارا على مسئولية جوستينيان عن الامبراطورية  
منذ بداية عهد خاله ، ولذلك ذكر الانشاءات التي بدأت منذ سنة ٥١٨ م  
على أنها انجازات جوستينيان نفسه ، وبفضل الامبراطور جوستينيان ، فانه  
يجب أن ينسب اليه بناء الكنائس في عهد خاله جوستين لان جوستينيان  
كان يدير دفة شئون الدولة في عهد خاله نظرا لقوة نفوذه وسلطانه (٩١) .

على أن جوستينيان لم يقتصر على بناء الكنائس في القسطنطينية وإنما  
أعاد بناء المنطقة المحيطة بالقصر الامبراطوري ، فبنى حمامات زيوكسيوس  
Zeuxippus وأقام الأعمدة الضخمة على الجانبين حتى سوق قنسطنطين ،  
وأعاد بناء قصر هورميزداس Hormisdas القريب من القصر . كما أعاد  
بناء مبنى مجلس الشيوخ ، وأقام أمامه ست أعمدة على شكل رواق معبد  
Portico ، وصفها بروكوبيوس بأنها كانت أضخم أعمدة في العالم ،  
وكلها مزينة بالرخام الأبيض وسطح هذه الأعمدة معقود Vaulting  
ووضعت عددا كبيرا من التماثيل على سطح هذه الأعمدة ، وبشكل  
جميل (٩٢) .

وأعاد جوستينيان بناء القصر الامبراطوري ، والذي قال عنه  
بروكوبيوس ، « انه من المستحيل وصفه بالكلمات » . بيد أنه اكتفى  
بوصف مدخل القصر الذي كان آية في الروعة وغاية في الأهمية ، لما  
تضمن من صور لها أهميتها التاريخية القصوى : فبني جانبي المدخل  
المعروف باسم البوابة البرونز Chalke رسمت الصور بمكعبات ،  
الفسيفساء المختلفة الألوان التي تمثل الحروب والمعارك خاضها  
بليزاريوس . وكذلك المدن التي فتحها في إيطاليا ، وفي أفريقيا والصور  
تعبير عن الغنائم التي قدمها بليزاريوس للامبراطور جوستينيان ، وكذلك  
الملكين الذين وقعا في الأسر . ويقف الامبراطور وسط الصورة وبجواره  
الامبراطور ثيودورا ، وقد بدت عليهما الفرحة بالانتصار على ملك الوندال ،  
وملك القوط وحولهما يقف أعضاء مجلس الشيوخ في غاية الفرح . (٩٣)

Ibid, p. 39.

(٩٠)

Procopius, Buildings, p. 41.

(٩١)

Procopius, Buildings, pp. 81-83 ; Diehl, Art Byzantine p. 180; ,

(٩٢)

Cyril, Op. Cit., pp. 108-109; Downey, Constantinople in the Age of  
Justinian, pp. 97-99.

Procopius, Buildings, pp. 83-87; Holmes, Op. Cit., II,

(٩٣)

pp. 537-538; Cyril, Op. Cit., pp. 109-110.

على أن هذا القصر الذى كان يقيم فيه الامبراطور لم يكن الوحيد الذى بناه ، وإنما بنى العديد من القصور داخل القسطنطينية فى عدة أماكن مختلفة ، وكعادة بروكوبيوس عند ذكر الانشاءات التى أقامها جوستنيان ، فإنه لم يقدم لنا وصفا دقيقا أو تفصيليا لتلك القصور ، وإنما اكتفى بالقول بأنها بلغت حدا من الروعة والجمال لا يستطيع أن يجد الكلمات المناسبة التى تعبر عن ذلك ، كما أنها تكلفت مبالغ من الأموال « بما يصعب عده أو حسابه » (٩٤) .

ولكى يكرم زوجته التى أحبها من كل قلبه ، أقام جوستنيان لها تمثالا جميلا بالقسطنطينية وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل أن أقام امبراطور تمثالا لزوجته . وفى الجنوب الشرقى من القسطنطينية أقيم تمثال « على عمود من الرخام الأرجوانى اللون للامبراطورة ثيودورا » وكعادة بروكوبيوس فى الاطراء - وهو الطابع الغالب عليه فى بحثه ، « عن الانشاءات » - فإنه عبر عن جمال ثيودورا قائلا ، « التمثال جميل ، بيد أنه أقل جمالا من جمال الامبراطورة لأنه اذا ما حاولنا وصف جمالها بالكلمات أو بالرسم أو الصورة فإن ذلك أمر مستحيل كما أطلق على الساحة التى بها التمثال « ساحة ثيودورا » .

والواقع أن انشاءات جوستنيان فى العاصمة لم تقتصر على اقامة الكنائس والقصور والتمثيل ، وإنما امتدت الى شتى نواحي الحياة العامة وعلى رأسها مسألة المياه الشرب التى عانت منها المدينة فى فصل الصيف بسبب الندرة لذلك بنى خزانين على نطاق كبير : أحدهما غرب ميدان سباق الخيل ، مكان قصر ايللوس Illus القائى الشهير على عهد زينون ، وكان يحمل سطح هذا الخزان مائتان وأربعون عمودا (٩٥) . أما الخزان الثانى فكان أكبر وأعرق ويحمل سقفه أربعمائة وعشرون عمودا . ويقع خلف المحكمة ، وبذلك أصبحت المياه العذبة متوفرة للمدينة طوال العام (٩٦) .

ومن بين الانجازات الرائعة التى شيدتها جوستنيان بالعاصمة اقامته ميناءين صناعيين لكل منهما حتى كامل . وقد كلفه ذلك اقامة حاجزين

Procopius, Buildings, P. 93; Downey, Constantinople in the (٩٤)  
Age of Justinian, pp. 99-100.

Malalas, Op. Cit., pp. 435-436; Chronicon Paschale, p. 618; (٩٥)  
Zonaras, Op. Cit., III, pp. 127-158, Holmes, Op. Cit., II, p. 539; Franzius;  
Byzantine Empire, p. 75.

Procopius, Buildings, pp. 91-93; Diehl, Art Byzantine, pp. (٩٦)  
120-121; Ure, Op. Cit., p. 226.

طويلين ضد الأمواج فى عرض البحر من أحجار ضخمة وبذلك صارت السفن فى مأمن تام حتى فى حالة قيام أقسى العواصف . ونتج عن تشييدهما أن دبت الحياة عندهما وأقيمت الأسواق والحمامات والكنائس ، وكل أنواع المباني وسبل الحياة المتعددة . (٩٧) .

ولم ينس جوستنيان رعاية الحالة الصحية ، إذ كان لها أهمية خاصة لديه ، حيث أعاد بناء إحدى المستشفيات بالعاصمة ، وزاد من عدد حجراتها ، كما بنى مستشفين آخرين بالعاصمة وشاركته الامبراطورة ثيودورا ، « فى هذا المشروع المقدس » على حد قول بروكوبيوس (٩٨) . كما جدد بناء الدار الخاصة بالفقراء المصابين بالأمراض المستعصية (٩٩) .

والجدير بالذكر أنه عند ذكر الانشاءات المعمارية الخاصة بالنواحي الصحية والاجتماعية ، فإن بروكوبيوس تعمد ذكر الامبراطورة ثيودورا بعد جوستنيان مباشرة كشريكة له فى هذه الانجازات والتي كان منها بناء دار للمضيافة للغرباء بالقسطنطينية الذين لديهم المقدرة على دفع أجر مبيتهم ، والذين كانوا يشكلون أعدادا كبيرة من السكان الذين أتوا الى العاصمة طمعا فى الحصول على مستوى معيشة أفضل (١٠٠) . وهو بالطبع أمر عادى إذ ان عواصم البلاد هى فى الواقع مناطق جذب للقوى البشرية التى تسعى الى تحسين مستواها الاقتصادى .

على أن أهم الانجازات المتعلقة بالناحية الاجتماعية والأخلاقية هى بناء « قصر التوبة » Repentance إذ تعاونت ثيودورا مع جوستنيان فى القضاء على البغاء فى العاصمة وطرده القائمين عليه بعيدا عن أراضى الامبراطورية بعد أن وصل الأمر الى حد يهدد الجميع بالخطر لانتشار البغاء بين الطبقات الفقيرة وامتداده الى الطبقات العليا وتحوله الى سلعة تثير التقزز . وفى قصر التوبة جمعت الدولة ، ممثلة فى جوستنيان وثيودورا كل الساقطات وكفلن لهن حياة كريمة على الشاطئ الآسيوى المواجه للعاصمة (١٠١) .

تلك كانت انجازات جوستنيان المعمارية بالعاصمة وللباحث أن يسأل سؤالا وهو : وماذا عن خارج العاصمة ؟ الواقع أن بروكوبيوس قدم

Procopius, Buildings, p. 93.

(٩٧)

Ibid, p. 37.

(٩٨)

Idem, p. 79; Downey, Constantinople, p. 96.

(٩٩)

Procopius, Buildings, pp. 95-97; Downey, Constantinople, p. 96.

(١٠٠)

Procopius, Buildings, pp. 75-77.

(١٠١)

لنا مادة علمية ثمينة عن كل انجازات جوستنيان المعمارية خارج العاصمة أيضا والتي كان من بينها إقامة الجسور والسدود والقناطر ، ففي المدن التي بأسيا الصغرى والتي تعرضت للكوارث بسبب الفيضانات ، أقام جوستنيان أعظم الأشغال الهندسية هناك على فترات عديدة لحماية مدن : دارا Dara وقرقسيا Circesium والرها Edessa وزينوبيا Zenobia وهيلينوبوليس Helenopolis وجوليوبوليس Juliopolis وطرسوس Tarsus وبفضل إقامة الأسوار والجسور والسدود أمكن تفادي الأخطار . وبذلك صارت كل تلك المدن في مأمن تام من مخاطر الفرق بمياه الفيضان (١٠٢) .

حرص جوستنيان على اصلاح القناطر ، اذ قام بتجديد الجسر المقام على الجزء الأدنى من نهر الدانوب المعروف باسم Isten بعد أن لاحظ أن هذه القنطرة التي أقامها المهندس أبولودوروس Appollodorus of Damascus في عهد الامبراطور تراجان Trajan قد تدهأت (١٠٣) . كما جدد الجسر الخشبي المقام على القرن الذهبي بآخر من الأحجار (١٠٤) . على أن أشهر الجسور التي أقامها جوستنيان كان الجسر المقام عند سنجار Sangaris بالقرب من نيقوميديا Nicomedia (١٠٥) . وفي آسيا الصغرى أيضا أقام كوبرى عند مدينتى طرسوس Tarsus وأدانا Adana (١٠٦) .

وامتدت انجازات جوستنيان المعمارية لتشمل بناء المدن الجديدة بكل ما تتطلبه من مرافق للحياة ومظاهر الابهة . وبدأ بالعناية بمسقط رأسه ، فبدافع من الشعور بالوفاء والتكريم لقرية توريزيوم Tauresium الصغيرة التي ولد بها ، فانه حولها الى قلعة حصينة ومدينة مزدهرة وأطلق عليها اسم Illyricum Justiniana Prima Scupi وجعلها عاصمة لاقليم ايليريا وأمرها بكل متطلبات الحياة الأساسية بوفرة وسخاء . وأقام بها المنشآت الهامة مثل : قصر حاكم الاقليم والكنائس ، والميادين ، والأروقة والحمامات ، وقنوات المياه ، وحولت المنطقة الى تحفة رائعة ولكي يكمل علو مكانة المدينة فانه نقل اليها الأسقف للاقليم كله (١٠٧) .

(١٠٢) Procopius, Buildings pp. 143-147; Malalas, Op. Cit., pp. 425-426;

Diehl, Art Byzantine, p. 182; Ure, Op. Cit., p. 239.

Procopius, Building pp. 271-273. (١٠٣)

Chronicon Pascale, p. 618; Lebeau, Op. Cit., 8, p. 122. (١٠٤)

Ure, Op. Cit., p. 237. (١٠٥)

Procopius, Buildings, pp. 337-341. (١٠٦)

Nov. XI, pp. 107-109; Nov. 131, C, 3, 241; Procopius, Op. Cit., (١٠٧)

P. 225; Ure, Op. Cit., p. 232.

وتخليداً لذكرى خاله شيد مدينة أخرى ، قرب مسقط رأسه ، وأطلق عليها Justinopolis (١٠٨) ولحبه لزوجته ثيودورا ، وبهدف تخليده ذكرها أقام أيضاً مدينة في إقليم تراقيا Thrace وأطلق عليها Theodorapolis (١٠٩) .

أما المدن التي حملت اسم جوستينيان بالشرق فهي عديدة نذكر منها مدينة Justinianopolis في إقليم موثيزيا Moesia (١١٠) وأخرى باقليم ابيروس Epirus والتي كان اسمها من قبل أدريانوبوليس Adrianopolis (١١١) وكذلك أعاد بناء مدينة دقلديانوبوليس Diocetianopolis المهجورة في إقليم ثيساليا Thessaly وأطلق عليها Juslinianopolis (١١٢) .

على أن أهم المدن التي شيدها جوستينيان أو أعاد تجديدها ، مدينة أنطاكية التي كان كسرى أنوشروان قد نجح سنة ٥٤٠م في تسويتها بالأرض . غير أن جوستينيان نجح في إعادة الحياة من جديد الى تلك المدينة ، بل أنه أقام مدينة جديدة على أنقاض المدينة القديمة لا تقل روعة وجمالاً عن المدينة الأصلية ، اذ جعلها أكثر جمالاً وقوة ومنعة عن ذي قبل ، وعمل على تقوية سورها وأمنها ضد مخاطر الفيضانات التي كانت تتعرض اليها من نهر العاصي Orontes وبنى بها الحمامات وخزانات المياه وحفر الآبار للمياه العذبة بالقرب من كل برج من أبراج سور المدينة وبنى بها الأروقة العامة ، والأسواق العامة وقنوات للمياه العذبة ، وأخرى للصرف ، وشيد بها المسارح ، وكل أنواع المباني العامة ، حتى بدت المدينة في شكلها الرائع ، هذا بالإضافة الى الكنائس التي أنفق عليها مبالغ ضخمة . كما بنى مستشفى بها قسم خاص للرجال ، وآخر للنساء ، وهذا بالإضافة الى بناء دار لايواء الغرباء عن المدينة (١١٣) .

لم تكن أنطاكية هي المدينة الوحيدة التي حظيت بعناية جوستينيان ، وإنما امتدت عنايته أيضاً الى الرصافة Sergipolis ، والتي اشتهرت

---

Procopius, Buildings, p. 230. (١٠٨)

Ibid, pp. 279-281. (١٠٩)

Idem, p. 313. (١١٠)

Idem, p. 219. (١١١)

Idem, p. 241. (١١٢)

Procopius, Buildings, pp. 165-173; Malalas, Op. Cit., p. 443; (١١٣)

Downey, «Procopius on Antioch ; a study of Method in the Deaedificiis», «Byzantion», XIV, part I (1939) pp. 361-378.



لما بها من مزار للقديس Sergius ، لذلك عمل على تجميل المدينة .  
وبنى بها العديد من المساكن ، والأروقة Stoa والمباني الأخرى لزيادة  
جمال المدينة وجعل كنيستها وبنى بها خزانات للمياه (١١٤) . كما أعاد  
بناء مدينة تدمر Palmyra التي كانت مهجورة في عهده ، وأمدّها بالمياه ،  
وبحامية عسكرية قوية ، وبذلك حولها إلى قلعة لحماية الأراضي السورية  
من هجمات القبائل العربية حيث أن هذه المدينة كانت تقع في طريق  
القبائل المغيرة وصارت هذه المدينة التي كانت مهجورة من قبل « تتحدى  
كل وصف » . على حد قول بروكوبيوس (١١٥) .

وفي بيت المقدس Jerusalem بنى جوستنيان كنيسة باسم العذراء  
بلغت من الروعة حداً فاق العادة (١١٦) . وأقام بها داراً لضيافة الغرباء  
عن المدينة ومستشفى لعلاج الفقراء بالمجان (١١٧) . كما أعاد بناء خمس  
كنائس كانت قد تعرضت للدمار على أيدي السامريين (١١٨) . وجدد  
بناء الأديرة العشرة في المدينة ، هذا بالإضافة إلى حفر الآبار بها ، وإقامة  
خزانات للمياه (١١٩) .

وامتدت انجازات جوستنيان إلى انشاء الطرق ، إذ أقام طريقاً  
مرصوفاً بالأحجار الضخمة لربط إقليم بيشنيا Bithynia وفريجيا  
Phrygia طوله عشرة أميال ، بعد أن كانت المواصلات تنقطع بين  
الإقليمين لتحول الطريق المعتاد بينهما إلى مستنقعات بصفة دائمة ، الأمر  
الذي أدى إلى غرق العديد من المسافرين والدواب (١٢٠) . كما أصلح  
الطريق ، الذي يربط بين مدينة أنطاكية ومدينة قيليقية Cilicia  
والذي كان ضيقاً لأنه كان محصوراً بين جبلين ، وبه العديد من الحفر  
العميقة التي جعلت استخدامه أمراً مخيفاً بالمخاطر . لذلك بفضل جهود  
جوستنيان تم توسيع هذا الطريق وتحويله إلى طريق صالح لمرور العربات  
عليه بشكل يفوق كل التوقعات (١٢١) .

Procopius, Op. Cit., p. 157.

(١١٤)

Ibid, p. 177.

(١١٥)

(١١٦) هذه الكنيسة ليس لها وجود حالياً ، وكانت مبنية فوق تل المدينة :

Ure, Op. Cit., p. 349.

انظر :

Procopius, Op. Cit., p. 349.

(١١٧)

Ibid, p. 355.

(١١٨)

Idem, pp. 357-359.

(١١٩)

Procopius Buildings, p. 320.

(١٢٠)

Ibid, p. 335.

(١٢١)

وشملت عناية جوستينيان المنطقة التي بها مياه معدنية ساخنة في بلدة بيثيا Pythia باقليم بيثينا Bithynia ، والتي اعتاد المرضى من أهالي القسطنطينية الذهاب إليها للشفاء من أمراضهم - وشيد بها قصرا ، وحماما عاما مزودا بالمياه الساخنة من هذه العيون . وأمد هذه المنطقة بالمياه العذبة القريبة بفضل اقامة القناطر لدفع المياه ، كما أقام هناك مستشفى ، وكنيسة كبرى ( ١٢٢ ) .

ومن أشهر انجازات جوستينيان المعمارية ، اقامته كنيسة وقلعة في شبه جزيرة سيناء ، قبالقرب من جبل موسى اعتاد الرهبان الحياة هناك في مأمن من الاضطهاد الروماني ، وذلك منذ بداية القرن الأول للميلاد ( ١٢٣ ) . ويبدو أن اختيارهم لهذا المكان بالذات يرجع إلى أنه يحل طابع القداسة لأنه المكان الذي كلم الله ( سبحانه وتعالى ) فيه موسى ( عليه السلام ) ( ١٢٤ ) .

غير أن الرهبان في هذا المكان لم يسلموا من اعتداءات العرب الرحل على أرواحهم وحاجياتهم وأطعمتهم بما في ذلك خبز القربان . لذلك لم تكن جهود جوستينيان لصالح هؤلاء الرهبان هي الأولى من نوعها ، وإنما سبقته هيلانه Helena والدة الامبراطور قنسطنطين التي كانت قد زارت هذا المكان سنة ٣٤٢ م ، وأقامت به برجا على أعلى الجبل وكنيسة عرفت باسم كنيسة « السيدة العذراء » ( ١٢٥ ) .

بيد أنه بدافع من الرغبة في اقامة قلعة قوية في هذا المكان الاستراتيجي الذي اتخذته العرب الرحل كنقطة انطلاق لمهاجمة أراضي الامبراطورية في فلسطين ( ١٢٦ ) وتحقيقا لسياسته القائمة على اقامة خطوط دفاعية على امتداد الحدود الرومانية ضد اغارات الأعداء ، ( ١٢٧ ) وبناء على صيحة الرهبان التي وصلت الامبراطور جوستينيان يطلبون منه

Idem, pp. 329-331. (١٢٢)

Jorvis, Yesterday and Today in Sinai, P. 225. (١٢٣)

Ure, Op. Cit., p. 240. (١٢٤)

ومطافور ، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ص ٧٧ .

( ١٢٥ ) سعيد بن بطريق ( هو أفيثسيوس بطريك الملكيين بالاسكندرية ومن رجال

القرن العاشر الميلادي ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٥ م ، ص ٢٠٢ .

Procopius, Buildings, P. 357. (١٢٦)

T.H. Forsyth, «The Monastery of St. Catherine at Mount Sinai, The Church and Fortress of Justinian» Dumbarton Oaks Papers, 22 (1968), p. 18. (١٢٧)

حمايتهم بعد الرسالة العاجلة التي وصلت الامبراطور جوستنيان يطلبون منه حمايتهم بعد أن باتت حياتهم معرضة للخطر . لذلك كله أقام جوستنيان قلعة متينة بالكنيسة وديرا به كل مستلزمات الحياة (١٢٨) .

كان بناء القلعة والكنيسة تحت اشراف حاكم مصر ، الذي تكفل بنفقات البناء ، والعمالة والاتفاق على الرهبان (١٢٩) كما حملت الكنيسة اسمها القديم جوريا وراء عادة أن تحمل كل كنيسة تبني اسما ، وعرفت على أيام بروكوبيوس بكنيسة « أم الله » وزود جوستنيان القلعة بحامية كبيرة من الجند للتصدي للمغيرين (١٣٠) .

ولكي يبعث جوستنيان الحياة والأمن والأمان فى هذه البقعة ، فانه أمر بترحيل مائة من العبيد الرومان مع نسائهم وأطفالهم الى هناك ، وأمر حاكم مصر بترحيل مائة أخرى مع أسرهم أيضا ، وذلك للقامة الدائمة هناك ، بجوار القلعة والكنيسة . والجدير بالذكر أن ظل هذا الدير حتى أيام سعيد بن بطريق ( القرن العاشر الميلادى ) ، يعرف باسم « دير العبيد » نسبة الى المائتى عبد وأسرههم ، كما عرفت ذريتهم باسم « غلمان الدير » وان كانوا قد أسلموا منذ فجر الاسلام .

على أن قلعة وكنيسة ودير جوستنيان ، وكل الملحقات التى أقامها هناك ، مازالت باقية حتى يومنا هذا . وهو ما يعرف حاليا باسم « دير سانت كاترين » (١٣١) .

والواقع أن هذه التسمية حديثة ، ولم تكن موجودة الى عهد سعيد ابن بطريق . ويبدو أن هذه التسمية جاءت من مصر ، اذ ان القديسة كاترين (١٣٢) من أهالى الاسكندرية ، وحتى يومنا هذا يوجد قبر يقال

(١٢٨) سعيد بن بطريق ، نفس المصدر ، ص ٢٠٢ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

Procopius, Op. Cit., p. 355.

(١٣٠)

(١٣١) كان بطريرك الاسكندرية يشرف على دير سانت كاترين وله حق الاختيار رئيس

الدير ، انظر طافور ، نفس المصدر ، ص ٧٥ .

(١٣٢) القديسة كاترين من أهالى الاسكندرية ، وأحاطتها الأساطير بهالة من القداسة والمعجزات ، اذ يقال انها عذراء من أسرة نبيلة حظيت بتسب وافر من الجمال والثقافة العالية ، حتى ذاع خبرها في كل أنحاء المدينة . ورفضت قبول كل من تقدم اليها ويقال انها زفت الى المسيح ( عليه السلام ) فى المنام . . . . . وانها دخلت فى نقاش مع خمسين عالما ، وانتصرت عليهم ، وآمنوا بالمسيحية على يديها مما عرضهم للموت حرقا ، وانها قطعت رقبتها فنزلت لبنا بدلا من الدم . . . . . وأن الملائكة نقلوا جثتها الى جبل سيناء . . . . . وذلك فى الفترة ما بين ٣١٠ - ٣٢٠ م . انظر :

B.A. Beatie, «Sanit Katharine of Alexandria : Traditional Themes and the Development of a Medieval German Hagiographic Narrative», Speculum, 52, October, 1866, No. 4, pp. 789-800.

انه قبر كاترين بجوار مذبح الكنيسة التي بناها جوستينيان عند سفح جبل سيناء (١٣٣).

واذا كان بروكوبيوس لم يقدم لنا وصفا دقيقا لكنيسة وقلعة سيناء ، شأنها شأن الكنائس والمباني الأخرى التي وردت في كتابه « عن الانشاءات » فان المبنى الذي ظل كما هو أمكن التعرف على كل أبعاده ، فطول الكنيسة مائتان وثمانون قدما ، وعرضها مائتان وخمسون قدما ، وهى من حجر الصوان ، وحجم بعض هذه الأحجار خمسة أقدام مربعة ، وفى كل ركن من أركانها برج به فتحات لاطلاق السهام . وعلى كثير من الأحجار نحت صليب وارتفاع مدخل بوابة القلعة ستة أقدام ، وعرض البوابة أربعة أقدام . ويوجد ثلاثة أبواب ضخمة مغطاة بالواح من الحديد بها ثقب لاستخدام الرماة . وعند مدخل الباب الأول توجد صالة بها فتحات على كلتا الجانبين لاستخدام الرماة . ومن الواضح أن تحصين القلعة جعل من المستحيل على الغزاة اقتحامها اذا ما أحسن المدافعون استخدام كل الثقوب المعدة للرماة (١٣٤) .

ومن حسن الطالع أن الكنيسة تحمل وثيقتها التاريخية على شكل نقوش للامبراطور جوستينيان منحوتة على أحد الجدران العليا لصحن الكنيسة . وهذه النقوش توضح أن الذى قام ببناء الكنيسة والقلعة الامبراطور جوستينيان وزوجته ثيودورا وقام بالبناء المهندس ستيفانوس من أيله Stephanos of Aila . ونظرا لأن النقش الأول يشير الى أن جوستينيان مازال على قيد الحياة ، بينما يوضح النقش الثانى أن الامبراطورة ثيودورا قد ماتت ، فان معنى ذلك أن الكنيسة كانت صالحة لاقامة الشعائر الدينية بها فى الفترة ما بين ٥٤٨م ، وهو تاريخ وفاة ثيودورا ، سنة ٥٦٠م وهو تاريخ كتابة بزوكو بيوس لبحثه « عن الانشاءات » . كما أنه مازال هناك بعض المباني الأخرى منذ القرن السادس الميلادى ، والتي من بينها وسائل الحصول على المياه العذبة ، وطرق صرفها ، وكذلك المطبخ والفرن وسرايب تخزين الغلال (١٣٥) .

تلك كانت أهم انجازات جوستينيان المعمارية فى القسم الشرقى من الامبراطورية . وهى بلا شك انجازات دلت على روعة العصر اذا ما حاول

Forsyth, Op. Cit., p. 12.

(١٣٣)

Javris, Yesterday and Today in Sinai, (London, 1933), pp. 228-229.

(١٣٤)

Forsyth, Op. Cit., p. 5, 9, 1E.

(١٣٥)

الباحث مقارنتها بإنجازات من سبقه أو جاء بعده من أباطرة الرومان .  
بيد أنه الامبراطور جوستينيان المولع بأقامة الانشاءات المعمارية ولعه بالعمل  
على عظمة الامبراطورية في شتى المجالات .

وإذا ما قبل الباحث أن كل هذه الانجازات المعمارية التي استهدفت  
تأمين الحدود الشرقية للامبراطورية والارتفاع بالمستوى الاجتماعى والأخلاقي  
والدينى والاقتصادى لشعب الامبراطورية ، كعناصر أساسية فى سياسة  
جوستينيان الداخلية ، فمما لا شك فيه أنه اتبع أسلوبا ماليا ساعده على  
تحقيق هذه الانجازات المتعددة الرائعة ، كما مكنته هذه السياسة المالية  
من تحقيق هدفه الأكبر ، ألا وهو استرداد الأجزاء الغربية السليبة من  
أراضي الامبراطورية .

والواقع أن جوستينيان عمل على زيادة وتنمية الموارد المالية ،  
واستلزم ذلك إعادة تنظيم بعض الضرائب القديمة ، وفرض ضرائب جديدة  
وانتهاج سياسة تقشفية فى بعض النواحي ، هذا فى الوقت الذى حرص  
فيه على تخفيف المعاناة عن الطبقات العريضة للشعب بعدة أساليب ،  
وإعادة تنظيم تجارة الحرير . وبفضل هذه السياسة المالية تمكنت  
الامبراطورية طوال عصر جوستينيان من الوفاء بكل التزاماتها المالية تجاه  
شعوب الحدود الشرقية فضلا عن مواصلة عملياته الاستردادية بفضل  
الحزنة التى ظلت عامرة وألتي لم تنضب مواردها المالية .

على أن الإصرار على زيادة وتنمية الموارد المالية حتم على جوستينيان  
فرض ضرائب لم تكن موجودة فى عهد من سبقه من الأباطرة ، فعلى سبيل  
المثال فرض جوستينيان ضريبة أطلق عليها ضريبة الهواء أو ضريبة السماء  
Air Tax or Sky Tax والتي عرفت باللغة اليونانية باسم  $\epsilon \kappa \chi \alpha \iota \nu \alpha \tau \epsilon \varsigma$  ،  
وهى الضريبة التى قدمت لحزنة الامبراطورية ثلاث آلاف رطل من الذهب  
سنويا (١٣٦) . كما فرض جديدة على أصحاب المحلات التجارية فى  
العاصمة ، بلغت حوالى خمسين فى المائة من صافى الأرباح السنوية ،  
مقابل السماح لأصحاب هذه المحلات التجارية بعدم التقيد بتحديد أسعار

---

(١٣٦) الواقع أن بروكوبيوس هو المصدر الوحيد لهذه المعلومة ، كما أنه لم يقدم  
توضيحا كافيا عن هذه الضريبة الجديدة من ناحية التسمية أو على أى أنواع العقارات كانت  
تفرض ، لذلك اجتهد المؤرخ بيورى وافترض أنها كانت تفرض على المباني العالية ، أو على  
غرف الفنادق فى المدن . انظر :  
Procopius, The Secret History, p. 143, Bury, Op. Cit. II, p. 350.

السلع التجارية (١٣٧) . والضريبة الجديدة الثالثة كانت على السفن التجارية التي تدخل ميناء العاصمة ، وان كان بروكوبيوس لم يذكر نسبة هذه الرسوم ، بيد أنه ذكر أنه لم يكن في استطاعة أى سفينة أن ترفع المرساة استعدادا للإبحار مرة ثانية دون دفع هذه الرسوم ، والا تعرض صاحب هذه السفينة الى دفع غرامة تعادل قيمة السفينة ذاتها (١٣٨) . وأقام جوستنيان لأول مرة مناطق جمركية على بوغازى البسفور والدردينيل لتحصيل الرسوم الجمركية على الواردات أو السلع التجارية التي تحملها السفن بين البحرين الأبيض والأسود . وهذا النظام الجمركي بدأ منذ اعتلاء جوستنيان للسلطة ولجأ جوستنيان الى اتباع أسلوب الحافز المادى بالإضافة الى الراتب المحدد للموظفين العاملين فى الجمارك بغية حثهم على زيادة موارد الدولة فى هذا المجال الاقتصادى (١٣٩) .

تلك كانت أساليب جوستنيان المالية فيما يتعلق بالموارد الجديدة المتعلقة بتنمية وزيادة ميزانية الدولة ، ولا شك أن هذه الأساليب الاقتصادية أمدت خزانة الدولة بأوعية ضريبية لم تعهدها من قبل . ويضاف إليها اقدامه على تنظيم بعض الضرائب القديمة .

أبقى جوستنيان على القانون القديم الذى نص على ضرورة دفع ملاك الأراضى المنتجة للضريبة المستحقة عن الأراضى المجاورة لهم والتي أصابها البوار ، وهى الضريبة التى عرفت باسم Epibole وفقا لاسمها اليونانى ἐπιβολή ، بالرغم من أنها شكلت عبئا شديدا على ملاك

Procopius, The Secret History p. 165z (١٣٧)

من الملاحظ أن بروكوبيوس لم يوضح اذا ما كانت هذه الضريبة قاصرة على المحلات التجارية فى العاصمة فحسب أم أنها امتدت لتشمل باقى مدن الامبراطورية .

Procopius, The Secret History, p. 165. (١٣٨)

Procopius, The Secret History, pp. 164-165; (١٣٩)

Malalas, Op. Cit., p. 432, Bury, Op. Cit., II, p. 355.

الواقع أن المكاتب الجمركية على بوغازى البسفور والدردينيل مارست مسئوليات أخرى بالإضافة الى مسألة الضرائب على الواردات منها ، عدم السماح لأى سفينة تحمل أسلحة الى العاصمة بالدخول من البحر المتوسط دون الحصول على إذن من الامبراطور ( كاجراء أمن ) ، وكذلك مراقبة المسافرين بحرا من العاصمة دون الحصول على تأشيرة خروج من الموظفين المختصين . وألزم جوستنيان مكتب الجمرك البطل على البحر الأسود بمراقبة التعاليم السابقة ، وأضاف متابعة حظر شحن سلع تتعارض مع قواعد الصادرات للامبراطورية اذ كان ممنوعا تصدير السلاح والنبذ والزيت ودهن الخنزير الى شعوب البحر الاسود ، انظر :

Bury, Op. Cit., II, p. 355.

الأراضي المنتجة (١٤٠) على أن جوستينيان أصدر قانونا سنة ٥٤٥ م ، استهدف تنظيم هذه الضريبة بما يضمن حق الدولة من ناحية ، والقضاء على عيوب هذا القانون من ناحية ثانية : اذ نص القانون على أن هذه الضريبة يجب سدادها الى خزانة الدولة بعد عرض أمرها على قاضى الاقليم الذى له سلطة تحديد من تقع عليه مسئولية سدادها . وخول القانون للمتضرر الحق فى استئناف الحكم أمام محكمة حاكم الاقليم . وأضاف القانون أنه فى حالة ثبوت عدم وجود مالك للأرض التى أصابها البوار أو تعذر تحصيل الضريبة عن تلك الأراضي من أصحاب الأراضي المجاورة المنتجة ، بعد اللجوء الى القضاء ، فإن هذه الأراضي تصبح ملكيتها حقا من حقوق الدولة (١٤١) .

كما وضع جوستينيان يده على الرسوم التى كانت تفرضها المجالس المحلية بالمدن والمعروفة باسم *Politika* وفقا لاسمها اليونانى *πολιτικά* ، وهى التى فرضت من أجل انفاقها فى أغراض الشئون البلدية للمدن ، وتحولت فى عهد جوستينيان كلها الى خزانة الدولة . وبذلك يكون جوستينيان قد أكمل الخطوة التى بدأها الامبراطور أنستاسيوس عندما جعل قسما منها يذهب الى خزانة الدولة ، وترك القسم الآخر تحت تصرف المجالس المحلية بالمدن (١٤٢) .

على أن جوستينيان لم يكتف بفرض ضرائب جديدة وتنظيم بعض الضرائب القديمة ، وانما انتهج أساليباً مالية طابعها العام التشفيف : فمنذ توليه المسئولية ( ٥١٨ م ) ، ألغى المنحة التى اعتاد فى سبقه من الأباطرة تقديمها الى الجند فى كافة أنحاء الامبراطورية ، والتى كانت خمسة صوليدى *Solidi* ، لكل جندي مرة واحدة كل خمس سنوات (١٤٣) . كما حرم الموظفين المدنيين من الحصول على مكافأة عند نهاية الخدمة (١٤٤) . وألغى جوستينيان الاعانات التى كان يقدمها من سبقه من الأباطرة الى الأطباء والى المدرسين ، فضلا عن أنه أجاز لطرفى النزاع تقديم الدعاوى الى ساحات القضاء دون الاستعانة بالمحاميين (١٤٥) . وكانت آخر اجراءاته

(١٤٠) Diehl, Justinian, pp. 296-297; Bury, op. Cit., II, p. 350.

(١٤١) Nov. 128 (A.D. ٤45), C. 7, 8, p. 224.

(١٤٢) Procopius, The Secret History, p. 169; Bury, Op. Cit., II, p. 351.

(١٤٣) Procopius, The Secret History, p. 163; Jones Later Roman

Empire, I, P. 284.

(١٤٤) Procopius, Op. Cit., pp. 163-164.

(١٤٥) Ibid, p. 168-169.

التقشفية هي الغاؤه لمنصب القنصلية سنة ٥٤١ ، لأهداف اقتصادية بعد أن كان هذا المنصب يكلف خزانة الدولة الكثير من الأموال ، إبان احتفالات تنصيب القنصل ، وان كان القنصل ذاته اعتاد المساهمة بالقدر اليسير من النفقات ، وهو الاجراء الذى كان موجودا فى عهد من سبقه من الأباطرة (١٤٦) .

وإذا كانت سياسة جوستينيان المالية قامت على العمل على تنمية موارد الدولة بالأساليب السالف ذكرها ، الا أن ذلك لم يمنعه عن اتخاذ اجراءات مالية ، استهدفت تخفيف المعاناة عن الشعب عامة والقضاء على محاولات استغلال الانسان لأخيه الانسان داخل الامبراطورية ، فعلى أثر موجة الغلاء التى اجتاحت الامبراطورية إبان الوباء العالمى سنة ٥٤٣م (١٤٧) أصدر جوستينيان قانونا ( نوفلا ) فى العام التالى (٥٤٤) ألزم فيه التجار ، وكل الفئات المتعلمة ، وعمال الزراعة ، والبحارة والمهندسين ، وكل أصحاب الحرف بالعودة الى الأسعار والأجور الى ما قبل حدوث الوباء بعد أن لاحظ أنهم « استسلموا جميعا لآغراء الكسب والحصول على أسعار عالية بلغت ضعفى وثلاثة أضعاف الأسعار والأجور المعتادة » . وهددهم جوستينيان بتوقيع غرامة تعادل ثلاثة أضعاف ما تقاضوه . وفى الوقت نفسه نص القانون على فرض عقوبة قدرها خمسة أرتال من الذهب على القاضى الذى يترأخى فى توقيع العقوبة على المخالفين لهذا القانون (١٤٨) ولا شك أن هذا اجراء صارم لرفع المعاناة عن فئات الشعب والقضاء على موجة الغلاء وان كان لا يوجد هناك أى دليل على مدى نجاح جوستينيان فى هذه الخطوة الاقتصادية .

وإذا كان جوستينيان قد أبقى على نظام استضافة الجند وتقديم المأوى لهم ، إبان المعارك الحربية وفقا لما اعتاد عليه من سبقه

---

Idem, p. 170.

(١٤٦)

فى يناير سنة ٥٣٥ أنعم جوستينيان على بليزاريوس بالقنصلية ، وأقيم له احتفال كبير حيث حمله الأسرى على مقعد مرصع بالمجسم للقفص أو البريتور فحسب ويعرف هذا المقعد باسم Curcule chair وظل يلتقى على الجماهير النقود الفضية والأحزمة الذهبية ، ذات اليمن وذات الشمال ، بالإضافة الى الأشياء القيمة الأخرى من نصيبه من الفنائم الوفيرة التى جمعها من الوندال . انظر :

Procopius, Wars, 4, pp. 279-283; Holmes Op. Cit., II, pp. 515-551

Bury, Op. Cit., II, 356.

(١٤٧)

Nov. 122, pp. 176-177.

(١٤٨)



الاباطرة (١٤٩) . الا أنه عمل على معالجة عيوب هذا النظام تخفيفا عن الرعية من المعاناة بعد أن ضج الأهالي بالشكوى (١٥٠) . وأصدر قانونا سنة ٥٤٥هـ ، نص فيه على أن يكون مبيت هؤلاء الجند في الحجرات التي لا يشغلها أحد ، وأن يتركوا أصحاب المنازل على حريتهم وحذرهم من المبيت في الغرفات الرئيسية المخصصة لمعيشة أصحاب المنازل (١٥١) .

وعلى الرغم من أن جوستينيان ظل حريصا غاية الحرص على تحصيل الضرائب فإنه اضطر - جريا على عادة من سبقه من الاباطرة - أن يصدر قرارا بالاعفاء ، من المتأخرات الضريبية في المناطق التي تعرضت للكوارث ، اذ أعفى الأراضى التي تعرضت لعدوان الفرس ، وإن كان هذا الاعفاء لمدة عام واحد فحسب (١٥٢) .

غير أن جوستينيان اضطر الى اصدار قانون سنة ٥٥٣هـ نص فيه على اعفاء اقليم ايليريا من متأخرات الضرائب عن اثنين وعشرين عاما ، « اننا نعفيهم من كل الضرائب عن الدورة السابقة ، وعن سبع سنوات من الدورة الحالية : أى أننا نعفيهم من سداد ضرائب اثنين وعشرين عاما لعجزهم عن السداد » (١٥٣) .

امتدت سياسة جوستينيان المالية لتشمل أصحاب المصانع المنتجة للثياب الحريرية في بيروت وصور ، والذين اعتادوا التهرب من ضريبة العشرة في المائة على الواردات . وألزمهم بدفع الضرائب بالكامل ، وبيع منتجاتهم من المنسوجات الحريرية بالسعر الجبرى ، بعد أن كانوا قد رفعوا الأسعار على أثر احكام الرقابة الضريبية عليهم . وكما دته أنزل العقوبات بالمخالفين للأسعار الجبرية (١٥٤) .

---

Procopius, The Secret History, p. 156; Bury, Op. Cit., II. (١٤٩)  
p. 349.

(١٥٠) اذا سلمنا بصحة ما ذكره بروكوبيوس في تاريخه السرى فان أصحاب المنازل في القسطنطينية وحدها كان عليهم تقديم المبيت الى حوالى عشرين ألف من القسوات المتحالفة ، الذين شكلوا عبئا ثقيلا على أصحاب المنازل وبخاصة ان هؤلاء الضيوف لم يحرموا أصحاب المنازل من حق الاستمتاع بممتلكاتهم فحسب ، وانما تحولوا الى مصدر للكراهية والبغض ، انظر :

Procopius, The Secret History, p. 158.

Nov. 130, pp. 239-240.

(١٥١)

Procopius, Op. Cit., pp. 154-155.

(١٥٢)

Nov. 147, pp. 317-318.

(١٥٣)

Procopius, The Secret History, pp. 166-168.

(١٥٤)

تلك كانت أهم الملامح الأساسية لسياسة جوستينيان المالية والتي بدونها كان من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل السير قدما في خطته الاستراتيجية التي هـام بها ، أو اتمام اصلاحاته الداخلية في المجالات المعمارية من مبان عامة ومنشآت دينية واجتماعية وصحية وطرق وجسور ، وآبار وغيرها ، بالاضافة الى خطوط التحصينات الدفاعية التي أقامها . كما أنه بدون هذه السياسة المالية لم يكن في قدرته احراز أى نجاح فى سياسته تجاه الشعوب المتاخمة للحدود الشرقية وعلى رأسها دولة الفرس القوية التى فرضت عليه دفع الأموال ثمنا للسلام بعد أن أذاقته مرارة الهزائم العسكرية ، وبعد أن أقنعتة أن أنطاكية وغيرها من المدن القريبة من الحدود بينه وبين الفرس ما هى الا مناطق تحت رحمة الفرس .



## جوستنيان والكنيسة العالمية

إعادة الاتحاد المذهبي مع روما - جوستنيان والمونوفيزيتيون - جوستنيان والتشريعات الكنسية - موقف جوستنيان من الأديرة - موقف جوستنيان من الفرق المسيحية التي لا تدين بمذهب الدولة - موقف جوستنيان من الوثنية - جوستنيان والمسائل اللاهوتية - الفصول الثلاثة ومجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣م - جوستنيان والقيصرية البابوية .

تكشفت سياسة جوستنيان الدينية ، منذ الأسبوع الأول لاعتلاء خاله العرش ، وهذه السياسة قامت على عودة الاتحاد المذهبي مع روما ، وهو ما يعنى انتهاج سياسة دينية قائمة على المذهب الخلقيدوني ، مخالفا بذلك سياسة كل من أنستاسيوس وزينون ومعلننا نهاية الانشقاق الأكائي . أفصح جوستنيان عن هذا الاتجاه الجديد فى رسالته الأولى للبابا هورميرداس فى سبتمبر ٥١٨م ، « ما أن وضع مولانا الامبراطور الذى لا يغلب ( يقصد خاله جوستين ) التاج على رأسه ، وفقا للمشيئة الالهية ، حتى أبلغ على الفور الاساقفة ، بضرورة عودة السلام للكنيسة وأصدر قانونا بهذا الشأن » (١) .

والواقع أن جوستنيان لم يتوجه بهذه الرسالة الى البابا فى روما الا بعد أن تكلفت جهوده بالنجاح فى القسطنطينية وفى الأقاليم الشرقية من الامبراطورية ، فى المجال الكنسى ، ونعنى بذلك حصوله على موافقة

(١) Col. Avelin No. 147, pp. 592-593; Mansi, Apllissima Sacrorum conciliorum, VIII, Col. 1438; Vasiliev, Justin, p. 163.

الأساقفة والرهبان على إعادة الاتحاد المذهبي مع روما . ففي القسطنطينية ، لم تكن كنيسة الحكمة مكانا للعبادة فحسب ، وإنما تحولت يومي الخامس عشر والسادس عشر من يوليو ٥١٨م الى برلمان شعبي طالب فيه جمهور المصلين بضرورة عودة الاتحاد مع روما . وحرمان ساويرس أسقف أنطاكية . ( قطب المتوفيزيين ) (٢) وبناء على ذلك ، عقد البطريرك حنا الثاني مجمعا كنسيا بالقسطنطينية في العشرين من يوليو سنة ٥١٨م ضم أكثر من أربعين أسقفا للتصديق على مطالب الشعب في كنيسة أيا صوفيا يومي الخامس عشر والسادس عشر من يوليو من الشهر نفسه ، وكذلك لبحث المذكرة التي تقدم بها رؤساء الأديرة بالقسطنطينية ، والتي وقع عليها سبعة وخمسون ممثلا من كل الأديرة الخاصة بالرجال وطالبوا بعودة الاتحاد مع البابوية وتحريم ساويرس وكل المتوفيزيين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة (٣) .

على أن جهود جوستنيان الهادفة الى تأييد المذهب الخلقيدوني ، لم تكن قاصرة على العاصمة فحسب ، وإنما امتدت الى بعض مدن الشرق ، ففي السادس من أغسطس ٥١٨م عقد البطريرك مجمعا في أورشليم حضره ثلاثة وثلاثون أسقفا وأعلنوا تأييدهم للمجمع القسطنطينية الذي انعقد في العشرين من يوليو ٥١٨م (٤) . وتلاه انعقاد مجمع في مدينة صور في السادس عشر من سبتمبر ٥١٨م ، وآخر في اقليم سوريا الثانية Syria Secunda للهدف نفسه (٥) .

واذا كان جوستنيان قد صادف نجاحا في تحقيق السيادة العليا للمذهب الخلقيدوني بالدولة منذ الأسبوع الأول لاعتلاء خاله العرش ، وابلاغه ذلك الموقف الجديد للبابا في روما ، فإنه كان حريصا في الوقت نفسه على تأكيد هذا الاجراء الجديد ، وذلك بدعوته للبابا للحضور الى القسطنطينية بصفة شخصية بالرغم من أن رسالتى خاله (٦) والبطريرك

(٢) Mansi, Op. Cit., Col. 1057-1062; S. Salaville, «La fête du concile de Nicée de lse fêtes de conciles dans le rit byzantine», «Echos d'Orient», XXIV (1925), pp. 455-468.

(٣) Mansi, op. cit., VIII, Col. 1041-1056; Duchésne, op. cit., p. 45-46; Stein, Op. cit., p. 223.

(٤) Mansi, Op. Cit., VIII, Col. 1057-1074; Vasiliev, Justin the First, pp. 148-149

(٥) Mansi, Op. Cit., Col. 1067-1082, 1093-1136; Vasiliev, Op. Cit., pp. 149-160.

(٦) Coll. Avel, No. 143, pp. 587-588; Mansi, Op. Cit., VIII, p. 435, Vasiliev, Justin, p. 163.

حنا الثاني لم تتضمننا الدعوة الشخصية للبابا وانما اكتفينا بمطالبة البابا برسالة وفد يمثلته (٧) ، فالرسائل الثلاث أرسلت معا في شهر سبتمبر ٥١٨م غير أن رسالة جوستينيان اختلفت الى حد كبير عن الرسائلتين الأخريتين ، كما لو كان جوستينيان يتعجل سياسته الأوتوقراطية في المستقبل تجاه البابا فيجليوس *Vigilius* الذي استدعاه وأجبره على البقاء في القسطنطينية لمدة زادت عن سبع سنوات فقد جاء بالرسالة ، « اننا نتوقع حضورك دون تأخير ، بيد أنه ما وجد عائق ما - والذي لا يصح أن يعوق حضورك - فعندئذ لا تؤجل ارسال مندوبين على المستوى اللائق ، لأن كل الشعب في بلادنا اقتنعوا بالاتحاد المذهبي ، ولن يحتملوا التأخير ، لذلك نرجو سرعة التنفيذ (٨) » .

ولا شك أن السياسة الدينية في عهد جوستين كانت ترسمها مخيلة جوستينيان ، منذ اللحظة الأولى ، كما كانت له اليد العليا في كل الاجراءات التي اتخذت في هذا السبيل ، والا فهل يوجد تفسير آخر غير أنه كان يحكم الدولة - من خلف العرش - بالرغم من أنه لم تكن له صفة قانونية الا أنه كان الابن الوحيد - بالتبني - لحاله الامبراطور الأمي العجوز ؟ .

على أن دعوة جوستينيان للبابا هورميزداس بالحضور شخصيا لم تكن بناء على انفعال عاطفي مؤقت ، أو من باب المجاملة الشخصية ، وانما كانت عن قناعة ، واعتقاد راسخ بضرورة إعادة الاتحاد المذهبي مع روما ممثلة في البابا ، كخطوة أساسية في طريق الوحدة السياسية بين شطري الامبراطورية ، والتي كان من مستلزماتها البدء بالاتحاد المذهبي مع روما ، وهو ما أثبتته الحوادث المتلاحقة فيما بعد ، اذ ظل جوستينيان يعمل جاهدا في السير قدما نحو تأكيد العمل في المجال الديني ، وفقا للمذهب الخلقيدوني ، واسترداد الأجزاء السلبية بالغرب : في المجال السياسي طوال حياته .

على أية حال ، كانت دعوة القسطنطينية للبابا هورميزداس ، بالحضور اليها ، بردا وسلاما على قلب البابا ، الذي كان قد لقي الصد العنيف من الامبراطور أنستاسيوس في آخر رسالة أرسلها اليه

*Coll, Avell, No. 146; Mansi, Op. Cit., VIII, pp. 436-7.*

(٧)

*Coll, Avell, no. 147, pp. 592-593; Mansi, Op. Cit., VIII Col. 1438; Vasiliev, Justin, pp. 163-4.*

(٨)

الامبراطور ، لذلك أرسل البابا وفدا دينيا (٩) ، ومعه صيغة محددة ،  
وتعليمات واضحة ، وتمكن البابا - من خلالها - من املاء كل شروطه  
وتنفيذ كل ما حاول أن يجبر أنستاسيوس على قبوله ، اذ تضمنت الرسالة  
« تصحيح » الكنائس فى أنطاكية والاسكندرية ، وفى الكنائس  
الأخرى (١٠) .

ولم تكن هناك أية اعتراضات على الصيغة البابوية Libellus  
وانما وقع عليها الامبراطور ، وأعضاء مجلس الشيوخ ، والبطريرك حنا  
الثانى ، وتم حذف أسماء البطريرك أكاكيوس ومن خلفه على الكرسي  
البطريركى بالقسطنطينية ، وكذلك اسمى الامبراطور زينون وأنستاسيوس  
من المدينتك ، وذلك فى الثامن والعشرين من مارس ٥١٩ م (١١) .

وبالرغم من التوقيع على الصيغة البابوية ، الا أن الوفد البابوى  
ظل بالقسطنطينية لمدة عام وثلاثة أشهر ونصف شهر ، وذلك لمتابعة  
تنفيذ اجراءات الاتحاد المذهبى ، فى كل أقاليم الامبراطورية اذ لم يغادر  
هذا الوفد القسطنطينية الا فى العاشر من يوليو سنة ٥٢٠ م (١٢) .

على أن مفهوم « التصحيح » يعنى اضطهاد المونوفيزيين ولم يتردد  
جوستينيان فى ذلك ، فطرد ساويرس بطريرك أنطاكية ، والذي كان  
يمثل القائد الأعلى للمونوفيزيين جميعا ، كما تم نفي أكثر من خمسين  
أسقفا فى الشرق وتشتيت جماعات من الرهبان المونوفيزيين مع استعمال  
أساليب العنف والسجن ضد أعداد كبيرة منهم ، بل وصل الأمر الى  
حد القتل (١٣) .

غير أن حركة اضطهاد المناوذة فى هذه الفترة لم تمتد لتشمل

---

(٩) وصل الوفد الدينى البابوى الى القسطنطينية فى الخامس والعشرين من مارس

٥١٩ م ، انظر :

Vasiliev, Justin, p. 175.

Coll, Avell, no. 168, p. 624; Bury, Op. Cit., P. 373; (١٠)

Vasiliev, Justin, p. 147.

Vasiliev, Justin, p. 177. (١١)

Ibid, p. 183, (١٢)

Theophanes, Op. Cit., pp. 254-255, Michel Le Syrien, Op. Cit. (١٣)  
pp. 170-172; Lebon, Op. cit. pp. 67-68.

مصر (١٤) ، والتي ظلت ملاذا لرجال المدين بما فيهم الرهبان والراهبات بل والعلمانيين . ولا شك أن استثناء مصر من حركة الاضطهاد حينذاك انما يرجع لأهميتها القصوى لأنها كانت المخزن الذي لا ينضب لامداد القسطنطينية بالقمح ، كما كانت تمثل ركنا أساسيا في داخل الامبراطورية الرومانية (١٥) .

على أن حركة الاضطهاد ضد أتباع مذهب الطبيعة الواحدة خفت حدتها سنة ٥٢٠م ، ومن الراجح أن جوستينيان لجأ الى اتباع سياسة أكثر اعتدالا تجاه أتباع مذهب الطبيعة الواحدة في تلك الفترة بعد أن لمس مقاومة صلبة منهم جعلته يتخوف من ضياع الأقاليم الشرقية من قبضة الامبراطورية من الناحية السياسية والاقتصادية (١٦) هذا في الوقت الذي بدأت فيه سحب التوتر الدولي بين القوتين العظميين ( فارس وبيزنطة ) ، تتكاثر في الأفق في المنطقة القوقازية ( ايريا ولازقا ) ، لذلك كله أرسل جوستينيان الى البابا هورميرداس رسالة في شهر يوليو ٥٢٠م لابلague بضرورة انتهاج سياسة أكثر اعتدالا في الشرق . وفي هذه الرسالة تحدث جوستينيان صراحة عن أنه ليس من اليسير اجبار بعض سكان القسم الشرقي من الامبراطورية على اتباع مذهب خلقيدونية بالرغم من استعمال أساليب النفي واللجوء الى الحديد والنار . وفي الوقت نفسه تضمنت هذه الرسالة اعتراف جوستينيان باستعماله

---

(١٤) والواقع أن الفترة ما بين مجمع افسوس الاول ٤٣١م ومجمع خلقيدونية ٤٥١م ، شهدت تفوق الاسكندرية على مدن الشرق بعد أن ملك بطريك الاسكندرية قوة وسلطات كبيرة ، وحمل كبير أساقفة الاسكندرية لقب « قداسة البابا » غير أن مجمع خلقيدونية كان بمثابة ضربة شديدة لبطريك الاسكندرية المونوفيزيتي اذ نص هذا المجمع على أن بطريك القسطنطينية يلى في المرتبة بابا روما . وبذلك جعل بطريك الاسكندرية في المرتبة الثالثة . وبناء على ذلك تحولت المونوفيزيتية في مصر الى حركة وطنية ورمزا للانسلاخ السياسي والانفصال عن الامبراطورية ومنذ ذلك الحين حلت اللغة القبطية محل اليونانية في اقامة الشعائر الدينية . وفي بداية عصر جوستينيان كان المذهب المونوفيزيتي في مصر له السيطرة العليا في الكنيسة ، انظر :

Vaslliev, Justin, pp. 132-133.

Stein Op. Cit., p. 323, Vosiliev, Justin, p. 224.

(١٥)

والواقع أن أهمية مصر الاقتصادية بالنسبة للامبراطورية عبر التاريخ الروماني كانت : « بمثابة جوهرة تفوق الوصف في التاج الروماني » على حد قول المؤرخ هاردي انظر :

E. Hardy, «The Egyptian Policy of Justinien, Dumbarton Okas Papers», No. 22 (1968), Horward University (U.S.A.), p. 23.

Michel Le Syrien, Op. Cit., II, P. 177; Lebon, Op. Cit., (١٦)  
p. 73; Bury, Op Cit., II p. 372-373.



القسوة في اضطهاد المونوفيزيين مؤكداً بذلك ما ذكره المؤرخون من اتباع المذهب المونو فيزيتي . كما أظهرت هذه الرسالة أن جوستينيان قد أحرز تفوقاً كبيراً سنة ٥٢٠م في إدارة الإمبراطورية ، وأنه تعامل مع البابا هورميرداس ، كما لو كان قد ملك السلطة كلها في يديه ، كما تلقى هذه الرسالة ضوءاً على الكرسي الرسولي في روما مستقبلاً وهي لافتة للنظر إذا ما قورنت برسالة جوستينيان للبابا عندما دعاه للحضور إلى القسطنطينية في السابع من سبتمبر ٥١٨م . فقد ورد بهذه الرسالة « أن قسماً من أبناء الشرق لا يمكن أجبارهم بالنفي أو بالحديد والنار . . . ولكي تعفى نفسك من مسئولية اراقه دماء الشعب الذي شاءت إرادة الله أن ترعاه ، ولكي تستميل الناس بالحكم الكهنوتي ، وليس بالاضطهاد واراقة الدماء ، وبذلك تكسب الأرواح وحتى لا تفقد الكثير . . . ان الطبيب الذي يسارع بعلاج الجروح القديمة بطريقة لا ينجم عنها جروح جديدة ليستحق كل الثناء بالعدل والانصاف (١٧) » .

وعندما انفرد جوستينيان بالسلطة ، غير سياسته تجاه المونوفيزيين بهدف اجراء حوار معهم ، بمشاركة أساقفة يدينون بالمذهب الخلقيدوني ، وسمح باعادة المنفيين من الرهبان سنة ٥٢٩م (١٨) .

ولعل الباحث يتساءل عن الدوافع التي حدثت بالامبراطور جوستينيان إلى تغيير موقفه بهذه السرعة . والحقيقة أن الامبراطور اضطر بفعل الحوادث إلى اتخاذ مثل هذا الموقف ، لأنه كان في أشد الحاجة إلى ضمان الهدوء في المناطق المجاورة للفرس حتى يتسنى له مجابهة القوات الفارسية في الشرق ، والتي بدأت تعكر صفو السلام عند الفرات (١٩) . وبنفس الدافع إلى الاستقرار لم يكن يريد أن يرى هذا الصدع الهائل بين المونوفيزيين ، واتباع مجمع خلقيدونية في الأقاليم الشرقية أو في العاصمة ذاتها ، وتؤكد لديه ، بناء على ما حدث بالقسطنطينية في ١٤ - ١٩ يناير ٥٣٢م ، ظهور قوة الجناح المعارض لمجمع خلقيدونية بين قطاع كبير من الفقراء بشكل خطير ، وبعد أن قمع الشعب في السوق

(١٧) Coll, Avell, no. 196, pp. 655-656; Mansi, Op. Cit., VIII Col. 305-504; Vasiliev, Justin, pp. 199-200.

(١٨) Zachariah, Op. Cit., p. 247; Lebon, Op. Cit., p. 73; Duchesne, Op. Cit., p. 81; Stein, Op. Cit., II, pp. 376-7.

(١٩) John of Ephesus, History of the convents of Amida (ed. Brooks PO 18, pp. 619-620 ; Michel Le Syrien, Op. Cit., II, p. 211; Friend, Op. Cit., p. 262.

الكبير في العاصمة على أثر زلزال ٥٣٣ م ، وهم يرتلون تساييح الشكر لله  
وفقا للمذهب المونوفيزيتي (٢٠) .

على أية حال رحب جوستنيان بحوالى خمسمائة راهب موفيزيتي  
بالعاصمة . والذين كانوا من قبل يعيشون في اقليم بلاد ما بين النهرين ،  
وأسكنهم بقصر هورميرداس Hormisdas غير أنهم أصروا على  
مذهبهم وأرسلوا رسالة الى جوستنيان يوضحون فيها ايمانهم بالتفصيل .  
وبالرغم من محاولات جوستنيان لاستمالتهم الا أن هذه المحاولات باءت  
بالفشل الذريع . فضلا عن أنهم تركوا آثارا كبيرة على الحياة العامة  
بالعاصمة لكثرة الزائرين لهم من عامة الشعب ، بالإضافة الى ظهور  
تعاطف الامبراطورة ثيودورا معهم (٢١) .

ويرجع ذلك الى تمسك هؤلاء الرهبان الشديد بموقفهم الذي أعلنوه  
صراحة في رسالتهم الى الامبراطور ، والتي تضمنت عدة موضوعات غاية  
في الأهمية : وهي الاصرار على التمسك بمبادئهم ، وعدم الاستعداد لاجراء  
حوار ديني مع المختلفين معهم في المذهب ، وبالتالي خلت الرسالة من  
ذكر أى شيء عن مجمع خلقيدونية ، وأكدوا على عبادة الثالوث الأقدس  
في طبيعة واحدة (٢٢) .

حاول جوستنيان اجراء تقارب في وجهات النظر المذهبية بين  
المونوفيزيتين وأتباع مذهب خلقيدونية . وعقد من أجل ذلك اجتماعات  
ثلاثة حضر آخرها ، غير أن هذه الاجتماعات التي عقدت في مارس ٥٣٣ م  
لم تكمل بالنجاح ، وإن كانت قد لفتت الأنظار الى تفهم جوستنيان  
للمسائل اللاهوتية ، وحماسه الديني (٢٣) .

وبالرغم من عدم تمكن جوستنيان من تحقيق تقارب بين المونوفيزيتين  
والخلقيدونيين ، فإن المنافسة حققوا مكاسب دينية وسياسية بفضل تعاطف  
ثيودورا معهم ، ذلك أنه عند وفاة ايبفانيوس Epiphanius بطريرك  
القسطنطينية في الثامن من يونية ٥٣٥ م ، مارست ثيودورا نفوذها في  
تعيين أنثيموس Anthimus خلفا له ، والذي كان أسقفا لمدينة طرابيزون

(٢٠) Chron, Pasch., p. 629; Monojlovic, «Le Peuple de Constantino-  
ple», Byzantion, XI, 1936 pp. 659-662; Frend, Op. Cit., p. 283.

Zachariah, Op. Cit., p. 247; Duchesne, Op. Cit., p. 81; (٢١)  
Stein, Op. Cit. p. 377.

Zachariah, Op. Cit., pp. 247-249. (٢٢)

Zachariah, Op. Cit., pp. 251-253; Harnack, Op. Cit., p. 235; (٢٣)  
Frend, Op. Cit. p. 265; Tixeront, Op. Cit., p. 128.

Trebizond وكانت له ميول مونوفيزتية (٢٤) وما أن اعتلى أنثيموس عرش البطريركية حتى طالب ساويرس بالحضور الى القسطنطينية ، بعد أن أبلغه بإيمانه بالمذهب المونوفيزيتي ، كما راسل بطريرك الاسكندرية أيضا (٢٥) . وعلى أية حال فقد وصل ساويرس الى القسطنطينية ومعه بطرس أسقف أفاميا Apamea ( قلعة المضيق ) والراهب زوراس Zooras العمودي (٢٦) وهكذا تشابهت الحوادث التاريخية ، وظل ساويرس في القسطنطينية لمدة عام ، ومارس نفوذا دينيا مشابها لما حدث في عهد أنستاسيوس . والسؤال المطروح هل يقبل الخلقيدونيون في الشرق هذا الوضع الجديد ؟ .

الواقع أن افرام Ephraim بطريرك أنطاكية ، وكذلك الرهبان في فلسطين لم ينفقوا مكتوفي الأيدي ازاء علو نجم ساويرس مرة ثانية ، أو بمعنى آخر رجحان كفة أتباع المونوفيزتين في العاصمة ، لذلك أرسلوا الوفود للبابا أجابيتوس Agapetus في روما مطالبين اياه بسرعة التدخل شارحين له خطورة الموقف (٢٧) وإذا كان البابا قد وصل بالفعل سريعا الى القسطنطينية في أوائل مارس ٥٣٦ م ، فانه لا يصح أن يغيب عنا أن ذهابه الى العاصمة لم يكن لمجرد الصيحة التي وصلته من أنطاكية والشام فحسب ، بيد أنه ذهب في المقام الأول كمندوب من قبل الملك القوطي ثيوداد Theodahd في مهمة سياسية بحتة وهي مناشدة جوستنيان ايقاف العمليات العسكرية في صقلية ودالماتيا Dalmatia مقابل أى شروط. يفرضها جوستنيان على أن يحتفظ الملك القوطي بعرشه (٢٨) . واستغل البابا أجابيتوس هذه الفرصة الذهبية بمنتهى الذكاء وحقق كل ما أراد ، اذ نجح في عزل أنثيموس وتعيين ميناس Menas في الثاني عشر من مارس ٥٣٦ م ، بعد نجاحه في اقناع الامبراطور جوستنيان بوجهة نظره (٢٩) .

- 
- (٢٤) Marcel, Com., Op. Cit., p. 943 ; Zachariah, Op. Cit., p. 265  
 Theophanes, p. 337; Michel Le Syrien, Op. Cit., II, p. 195; Lebon, Op. Cit., p. 75, Frend, Op. Cit., p. 271; Diehl, Justinien, p. 336.  
 (٢٥) Zachariah, Op. Cit., p. 265; Bury Op. Cit., p. 377.  
 (٢٦) Zachariah, Op. Cit., p. 265; Michel Le Syrien, Op. Cit., II, pp. 196-197; Lebon, Op. Cit., pp. 74-75.  
 (٢٧) Liebratus, Breviarium, Col. 1039; Zachariah, Op. Cit., p. 267; Lebon Op. Cit., p. 76; Frend, Op. Cit., p. 272; Bury, Op. Cit., p. 377.  
 (٢٨) Zachariah, Op. Cit., p. 267; Holmes, Op. Cit., II, p. 671; Frend, Op. Cit., p. 272.  
 (٢٩) Liberatus, Breviarium, Col. 1039, Lebon, Op. Cit., p. 76; p. 76;; Frend, Op. Cit., p. 272

ولا شك أن جوستينيان اقتنع بضرورة التخلي عن سياسة التوفيق بين المذهبين لاعتبارات سياسية في المقام الأول ، وعلى ضوء المتغيرات الجديدة في إيطاليا التي كانت تشير كل المؤشرات والحسابات أنها على وشك العودة الى حظيرة الامبراطورية (٣٠) وهكذا سقط أنثيموس ، صنيعة ثيودورا . واضطر الى اعادة طيلسان البطريك الى الامبراطور ، غير أنه ظل بالقصر الامبراطوري تحت حماية ثيودورا (٣١) .

على أن وفاة أجاييتوس المفاجئة بالقسطنطينية بعد شهر واحد ( في الثالث عشر من مارس ٥٣٦ م ) ، من تعيين ميناس ، لم تحدث تغييرا في الموقف لصالح المونوفيزتين وانما على العكس من ذلك ، اذ نجح ميناس في عقد مجمع محلي بالقسطنطينية حضره تسعة وعشرون أسقفا من اللاتين واليونان والسريان ، وعقدوا خمس جلسات ( من الثالث من مايو - الى الرابع من يونية ٥٣٦ م ) ، وأدانوا في هذا المجمع كلا من أنثيموس وساويرس وزوراس كما أدانوا كتاباتهم (٣٢) وأوضح ميناس في هذه الجلسات « أنه بدون مشيئة الامبراطور وأوامره ، لا يصح أن يتم شيء يتعلق بالشئون الكنسية (٣٣) » . ولا شك أن هذه العبارة تدل على مدى قوة جوستينيان ، وتدخله في الشئون الكنسية ، وبخاصة في فرض ارادته في المسائل اللاهوتية .

على أية حال ، صدق جوستينيان على قرارات المجمع المحلي الذي عقده ميناس ضد أقطاب المونوفيزتين وأصدر في السادس من أغسطس ٥٣٦ م قانونا ضد هذه الطائفة ، اعترف فيه بأن البابا أجاييتوس هو الذي أجبر أنثيموس على ترك العرش الاسقفي للعاصمة ، لمخالفته لقوانين مجمع خلقيدونية . ونص القانون على منع أنثيموس من الإقامة في العاصمة أو في أى مدينة كبرى ، مع ضرورة التزامه الصمت التام ، وأكد القانون على لعنة ساويرس التي أصدرها المجمع المحلي ، الذي عقده خلال شهر مايو ٥٣٦ م ، ووصفه جوستينيان بأنه « المجلس البطريكى العالمى » وحذر من اقتناء كتب ساويرس وأمر بإحراقها ، وحذر من نسخ هذه الكتب ، وهدد النساخ بقطع اليد اليمنى لكل من خالف منهم هذا القانون . وحرم على ساويرس وزوراس وبطرس أسقف أفاميا ، دخول

- 
- E. Hardy, «The Egyptian Policy of Justinian», Dumarton (٢٠)  
Oaks Papers, No. 22, (1968), p. 32.  
Liberatus, Op. Cit., Col. 1039; Holmes, Op. Cit., p. 671. (٢١)  
Mansi, Op. Cit., VIII, Col: 877-889; Harnack, Op. Cit., p. 243. (٢٢)  
Frend, Op. Cit., pp. 272-273. (٢٣)

العاصمة ، أو أى مدينة كبيرة ، وألزمهم بالصمت التام بعد أن اعتبرهم جميعاً خارجين عن الايمان الارثوذكسى (٣٤) .

ونتيجة لما تقدم عادت السيادة العليا لاتباع المجمع الخلقيدونى ، ففى أنطاكية أطلق البطريك افرام Ephriam العنان فى عمليات اضطهاد أتباع المونوفيزيتيين ، من سجن وتعذيب وقتل (٣٥) هذا فى الوقت الذى حاول فيه جوستينيان اتباع أسلوب الاغراء مع البطريك ثيودوسيوس بالاسكندرية ، ومنحه كرسى البطريركية والولاية على مصر وأن تكون له السيادة على جميع أساقفة افريقيا مقابل اعلانه الولاء للمذهب الخلقيدونى مع التهديد بالنفى فى حالة الرفض ، بيد أن ثيودوسيوس فضل الخيار الثانى . وعلى ذلك تم نفيه بقلعة ديركوس Derkos باقليم تراقيا Thrace (٣٦) وعين جوستينيان مكانه البطريك بولس (٥٣٦ - ٥٣٩ م) . ومنذ ذلك التاريخ اعتاد المصريون على مشاهدة بطريك خلقيدونى يمثل السلطة الأجنبية ، ثم خلفه زيولوس Ziulus (٥٣٩ - ٥٥١ م) السورى الأصل (٣٧) .

وهكذا فشلت جهود جوستينيان فى التوفيق بين المنافسة وأتباع المذهب الخلقيدونى بالرغم من كل محاولاته لكسب المونوفيزيتيين الى حظيرة مذهب الدولة . ويرى الباحث أن سياسة الامبراطور فى هذا المجال كانت تسير وفق المواقف السياسية ، ففى حالة وجود الخطر على الجبهة الفارسية سارع جوستينيان بالعمل على تهدئة الحواضر المونوفيزيتية ، والعمل على اجراء الحوار معهم . وعندما ألحت عليه المعطيات السياسية بالغرب ، ودفعه حرصه الشديد على ارضاء البابوية للمساعدة فى نجاح خطته الاستردادية ، نجده ، وقد تخلى كلية عن سياسة التوفيق بين المونوفيزيتيين والخلقيدونيين ، بل وجعل الكلمة العليا لاتباع المذهب الرسمى للدولة فى الشرق كله . وبخاصة بعد أن ضمن هدوء الجبهة الفارسية منذ أن عقد معاهدة السلام الدائم مع الفرس .

Nov., 42, pp. 300-305.

(٣٤)

(٣٥)

John of Ephesus, History of the convents of Amida, (ed Brooks), Po. 18, p. 62; Ibid, Life of John of Jella (ed. Brooks), PO 18, pp. 524-5, Zachariah, Op. Cit., pp. 297-300; Michel Le Syrien, Op. Cit., P. 187, Frend, Op. Cit., p. 274.

Michel Le Syrien, Op. Cit., pp. 194-195; Holmes, Op. Cit., (٣٦) p. 776; Frend, Op. Cit., p. 274.

Liberatus, Op. Cit., Col. 1044; Zachariah, Op. Cit., p. 320; (٣٧) Evagrius, Op. Cit., p. 419; Frend, Op. Cit., p. 275; Hardy, The Egyptian policy of Justinian, pp. 33-37; Holmes, Op. Cit., p. 677.

على أن جهود جوستينيان فيما يتعلق بسياسته تجاه الكنيسة صادقت نجاحا ملموسا ، اذا ما قورنت بجهود من سبقه من الأباطرة ، إذ أصدر التشريعات التي استهدفت تنظيم الشئون الادارية للكنيسة ، بشكل أكثر جدية ، بعد أن كان الفساد قد تطرق اليها بفعل القائمين عليها أنفسهم هذا من ناحية ، ولضعف الاشراف الحكومى عليها من ناحية ثانية .

فبالرغم من أن حياة رجل الدين - أيا كانت درجته الكهنوتية - يجب أن تتصف بالعفّة ، والقُدوة الحسنة ، فإن الواقع كان شيئا آخر تماما ، الأمر الذى حدا بالامبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ - ٤٥٠م) أن يصدر التشريعات التى تمنع تردد رجال الكنيسة على أماكن اللّهُو ، من مسارح ، وحفلات موسيقية وما شابه ذلك ، وهدد كل مخالف ذلك القانون بالفصل من سلك الكهنوت ، وتغريضه للعقاب ( دون ذكر نوعية هذا العقاب ) ، وذلك سنة ٤١٦م (٣٨) بل انه أصدر قانونا سنة ٤٢٠م يتحدث فيه عن انحرافات رجال الدين ، « لا يليق على الإطلاق بهذا الذى يعيش فى الحياة الدنيا ، معيشة جدية بالثناء والحمد ، أن يدنس نفسه بمعاشرة امرأة ، مدعى أنها شقيقته ، أو أن يقوم القساوسة الذين يرتدون رضى العفّة ، بالبحث عن المحرمات ، وذلك بمعاشرة النسوة الغرباء » (٣٩).

وإذا كان هذا هو حال كبار رجال الكنيسة ، فما هو - يا ترى - حال من هم دونهم فى السلم الكهنوتى ؟

على أية حال ظلت هذه الانحرافات قائمة حتى عصر الامبراطور جوستينيان ، مما اضطره الى فرض عقوبات على كل مرتكب لها ، « محظور على الاساقفة والكهنة ، والرهبان ممارسة لعب النرد ( الطاولة ) ، والمشاركة فى العروض المسرحية » . وحدد جوستينيان عقوبة المخالف لهذا القانون بالحرم من الوعظ لمدة ثلاث سنوات ، يقضيها حبسا فى أحد الأديرة (٤٠) .

بيد أن الفساد داخل الكنيسة ، امتد ليشمل الهيكل التنظيمى لها ، فعلى قمة النظام الهرمى للكنيسة كان منصب الأسقف قد تطرق اليه الفساد والتدهور ، إذ كان فى استطاعة أى أمى ، لا يعرف القليل عن

Cod. Just., I, III, 17, p. 54.

(٣٨)

Cod. Just., I, III, 19, p. 56.

(٣٩)

Nov., CXXIII, C., x, p. 187.

(٤٠)

مبادئ الايمان المسيحي الوصول الى هذا المنصب طالما كان في مقدورته  
دفع الثمن المطلوب ، حتى ولو كانت حياته ملطخة بالوحل (٤١) .

ولايمان جوستينيان بأن خلاص الدولة يعتمد في المقام الأول على  
الكنيسة ، التي لابد أن يتحقق لها السلامة والاستقامة (٤٢) عمل  
جاهدا على اصلاح كل عيب بالكنيسة ، في الوقت الذي نهض بها وبرجالها  
عامة ، حتى يسد كل الطرق التي تؤدي الى الوقوع في الخطأ ، وأن يرسى  
قواعد الايمان على أسس ثابتة ، على حد قول بروكوبيوس (٤٣) .

وضع جوستينيان شروطا محددة لتولى منصب الأسقفية ، منها  
ألا يكون المرشح لهذا المنصب أميا ، وأن يكون على دراية بمبادئ الايمان  
المسيحي ، وألا يكون متزوجا ، أو له أبناء ، وحذر من شراء منصب  
الأسقفية بالمال ، واشترط أن يكون المرشح راهبا ، أو عاش بين الكهنة  
لمدة ستة أشهر على الأقل ، وأن يتقدم بشهادة من الكهنة توضح عفنه  
وطهارته ، وأن يكون قد درس القوانين الكنسية التي وضعها آباء الكنيسة  
في المجامع المكسونية ، وذلك في قانونه الصادر في السابع عشر من  
أبريل سنة ٥٣٥م الى البطريرك ابيفانيوس Epiphanius (٤٤) وبعد  
ذلك بأحد عشر عاما (٥٤٦م) وضع شروطا جديدة أكثر تشددا لتولى  
منصب الأسقفية ، منها ألا يقل سن المرشح لهذا المنصب عن خمسة  
وثلاثين عاما ، وأن يكون قد أمضى في أحد الأديرة خمسة عشر عاما ،  
وأن يدين بالايان الكاثوليكي ، وأن يكون على قدر من الثقافة ، وأن يتم  
انتخابه من بين ثلاثة من المرشحين لهذا المنصب أمام الأناجيل المقدسة ،  
وكرر تحذيره من شراء المنصب بالمال ، أو بتقديم الهدايا (٤٥) .

وامتدت اصلاحات جوستينيان الادارية داخل الكنيسة الى الكهنة  
فاشترط ألا يقل سن القس عن خمسة وثلاثين عاما ، وألا يقل سن  
الشماس عن خمسة وعشرين عاما ، وألا يقل سن القاري عن ثمانية عشر  
عاما ، وألا يقل سن الشماسة عن أربعين عاما على ألا تكون متزوجة (٤٦) .

---

Nov., VI, C., I, p. 46. (٤١)

Nov., VI, Préface, p. 45 ; Holmes, Op. Cit., p. 689. (٤٢)

Procopius, Buildings, pp. 5-7; Bury, Op. Cit., 360. (٤٣)

Nov. VI, C., I, pp. 46-48. (٤٤)

Nov., CXXIII, C., 1, pp. 178-179; C., II, p. 180. (٤٥)

Nov., CXXIII, C., XIII, p. 189. (٤٦)

ولملاحظ أن سن الشماسة منذ عهد ثيودوسيوس الأول ( ٣٧٩ - ٣٩٥ ) كان لا يقل

عن خمسين عاما . وظل هذا القانون ساريا حتى عصر جوستينيان ، انظر :

Cod. Just., III, 9, p. 50.

وحرّم جوستينيان رسامة الشماسية أو القساوسة الذين تزوجوا للمرة الثانية . وجعل عقوبة المخالف الطرد من السلك الكهنوتي (٤٧) . أما القارىء أو المنشد اذا ما تزوج للمرة الثانية ، فان ذلك يعوق ترقيته فى السلم الكهنوتي (٤٨) .

ولا شك أن جوستينيان استهدف من هذه التشريعات التى تتعلق بحياة الأسقف ، ومن ذونه فى السلم الكهنوتي ، الارتفاع بالمستوى اللائق لرجال يحملون أمانة الايمان المسيحى ، والذين يجب أن يكونوا قدوة حسنة قدر المستطاع .

على أن قيام جوستينيان باصدار تشريع ينص على أن قوانين المجامع المسكونية الأربع - نيقية ٣٢٥م ، القسطنطينية ٣٨١م ، افسوس ٤٣١م ، خلقيدونية ٤٥١م - لها قوة القوانين الامبراطورية انما يشكل سابقة لها أهميتها ؛ اذ يعتبر هذا الاجراء بمثابة الارتفاع بالكنيسة الى المستوى الذى جعلها تحت هيمنة الدولة ، أو بمعنى آخر تحت هيمنة الامبراطور جوستينيان (٤٩) .

ويبدو أن أهمية هذا القانون ترجع الى حرص جوستينيان على وحدة المذهب المسيحى فى عصر تعددت فيه المذاهب المسيحية بشكل أصبحت فيه هذه المذاهب تشكل خطرا دينيا وسياسيا فى نفس الوقت اذ لم تسلم أماكن العبادة أو الذين يمارسون الطقوس الدينية من الاعتداءات المتكررة .  
ابان الصلوات .

فبالرغم من صدور قانون ينص على الحكم بالاعدام على كل من مارس أعمال العنف والارهاب داخل الكنيسة ، أو اعتدى على القساوسة ورجال الكهنوت ، والخدم منذ عهد الامبراطور أركاديوس (٥٠) (٣٩٥ - ٤٠٨) . فان الاعتداء على الكهنة ، وعلى مبنى الكنيسة ذاته ظل قائما حتى سنة ٥٤٦م ، مما حدا بالامبراطور جوستينيان الى اصدار تشريع يؤكد فيه قانون أركاديوس ، « اذا ما حدث أثناء إقامة الصلوات المقدسة ، فى كنيسة ، أى إهانة للأسقف أو للكهنة أو لباقي العاملين بالكنيسة ، فاننا نأمر بضرب المذنب بالمقارع ونفيه ، واذا ما قام المذنب بعرقلة الطقوس

Nov. 6, C., p. 58; Pargoire, Op. Cit., p. 58. (٤٧)

Nov. 22, C., 42, pp. 203-204; Labriolle, Op. Cit., p. 540. (٤٨)

Nov. 131, C., I, pp. 240-241. (٤٩)

Cod. Just. I, III, p. 51. (٥٠)



الكهنوتية المقدسة ، ورجال دون اتمام اجراءات الاحتفال المقدس ، فاننا نأمر باعدامه . وينطبق هذا القانون على أولئك الذين يعتسدون على الأساقفة أو الكهنة ، أثناء الطواف بالأشياء المقدسة داخل الكنيسة ، وإذا كانت الاهانة بسيطة يضرب المذنب بالمقارع وينفى . أما اذا عطل المذنب الطواف داخل الكنيسة فسوف يتعرض لعقوبة الاعدام (٥١) .

ولا شك أن هذه القوانين كفيلة باعادة التنظيم الادارى للكنيسة ، دون التعرض لمسائل الطقوس التى كانت متروكة لرجال الاكليروس ، او العقيدة التى كانت تحددها المجامع المسكونية (٥٢) .

وبعد أن أعاد الامبراطور جوستينيان للتنظيم الكنسى مكانته المصونة ، بالقانون فى الدولة منح الأسقف سلطات مدنية ، وقضائية بالإضافة الى مهمته الأساسية الروحية ، فالأسقف هو الأب الروحي للمنطقة المسئول عنها ، سواء كانت مدينة أو اقليما . وفى نفس الوقت امتدت صلاحياته الدينية لتشمل الاشراف على الحياة الديرية ، اذ صار من حقه اختيار رئيس الدير ، من بين المتقدمين لشغل هذا المنصب ، على ضوء درجة الكفاية ، والتحلي بالفضيلة ، والاكبر سنا ، فى حالة التساوى فى القدرات (٥٣) كما امتدت سلطة الأسقف ، الى ضرورة ابلاغه عن الرغبة فى بناء دير أو كنيسة بمعرفة أى شخص ، وأن يتولى الاشراف على عملية البناء ، وأن يضع رمز الخلاص ( الصليب ) ، فى المكان المحدد للبناء ، على أن يحدد بمعرفته رئيس الدير أو قس الكنيسة ، وأن يحضر حفل الافتتاح (٥٤) فكان من سلطة الأسقف منح خطابات للكهنة والرهبان الذين يغادرون اقاليمهم للذهاب الى القسطنطينية حتى يمكن معاملتهم المعاملة اللائقة بالكهنة والرهبان (٥٥) .

كان الأسقف مفوضا فى الاشراف على أنشطة الحياة المدنية ، فمن سلطته طلب تقرير من المسئولين عن المنشآت العامة ، مثل الحمامات ، والطرق والتمائيل وقنوات المياه ، والموانئ ، والتحصينات ومن سلطته اختيار ثلاثة خبراء لمساعدته بخبرتهم . وله حق زيارة حاكم الاقليم ومعه حاشية ، وللأسقف الحق فى أن يأمر بحظر لعب الميسر ، وله حق زيارة

Nov. 123, C., 31, p. 201.

(٥١)

Bury, Op. Cit., p. 360.

(٥٢)

Nov. 5, C., 9, p. 43; Nov. 123, C., 34, p. 202.

(٥٣)

Nov. 5, C., 1, p. 37; Nov. 131, C., 7, pp. 242-3.

(٥٤)

Cod. Just., 1, 3, 22, p. 58.

(٥٥)

السنجون كل يوم أحد لكي يستعلم عن حالات المحتجزين . ومن واجبه مراجعة وصايا الارث الخاصة بالكنيسة أو أعمال البر (٥٦) .

على أن مكانة الأسقف تجاه المسائل القضائية كانت قديمة ، وإن كان جوستنيان قد عمل على زيادة علوها ، اذ منذ عهد ثيودوسيوس الأول ( ٣٧٩ - ٣٩٥ م ) ، لم يعد من حق القاضي المدني الزام الأسقف بالحضور أمامه للدلاء بشهادته وذلك وفقا لقانونه سنة ٣٨٥م (٥٧) . بل إن الامبراطور أركاديوس ، سمح للأسقف بالفصل في الدعاوى المقدمة اليه ، طالما ارتضى الطرفان المختصمان أن يحكم بينهما وذلك سنة ٣٩٥م (٥٨) ، على أن يكون الحكم الصادر عن الأسقف صحيحا وقانونيا ، والزم القضاء بمراجعة ذلك (٥٩) . بل أن الامبراطور ثيودوسيوس الثاني أصدر تشريعا ينص على جعل عقوبة الادعاء الكاذب ضد الأسقف أن يدفع المدعى غرامة مالية قدرها ثلاثين رطلا من الذهب الى خزانة الدولة وذلك سنة ٤٣٩م (٦٠) وظلت هذه القوانين سارية الى عصر جوستنيان ، اذ لم يصدر تشريع يتعلق بمكانة الأسقف في المسائل القضائية حتى عصره . وهكذا ظل الأسقف يمارس وظيفة قاضي وفي نفس الوقت يتمتع بشيء أقرب الى ما يسمى في عصرنا بالحصانة القضائية .

غير أن ذلك لم يحل دون تعرض الأسقف للاستدعاء الجبري للمثول أمام القضاء مما حدا بالامبراطور جوستنيان سنة ٥٤٦م الى اصدار التشريع الذي يمنع القضاة من استدعاء الأساقفة للمثول أمامهم ، « على القاضي ارسال مندوبين عنه الى الأسقف ، وعلى هؤلاء المندوبين أن يقسموا على الأناجيل المقدسة بما سمعوه من الأسقف ، دون أن يحدث ما يمس الآداب الواجبة تجاه المنصب الكهنوتي » (٦١) ، واشترط جوستنيان أن يكون مثول الأسقف أمام القاضي المدني مسبوقا بأمر الامبراطور ، وحذر القضاة بدفع غرامة قدرها عشرة أرطال من الذهب توضع لحساب الكنيسة التي يديرها هذا الأسقف ، كما أن الضابط الذي يقوم بتنفيذ أمر القاضي - الذي خالف هذا القانون - كان عرضة للعقاب بالضرب بالمقارع

---

Holmes, Op. Cit., p. 690, Bury, Op. Cit., p. 362 ; Stein, Op. Cit., p. 400. (٥٦)

Cod. Just 1, 3, 7, p. 49. (٥٧)

Cod. Just. 1, 4, 8, p. 88. (٥٨)

Cod. Just. 1, 4, 9, p. 88. (٥٩)

Cod. Just. 1, 3, p. 22, p. 58. (٦٠)

Nov. 123, C., 7, p. 185. (٦١)

والنفي (٦٢) . وهكذا يتضح أن الأسقف صار غير خاضع لسلطة قاضي  
الاقليم ، اللهم الا اذا صدر أمر من الامبراطور يخالف ذلك .

وإذا كان جوستينيان قد رفع من منزلة الأسقف أمام قاضي الاقليم  
الا أنه منحه سلطات قضائية لا تقل بأي حال من الأحوال عن سلطة القاضي  
المدني ذاته إذ أن الدعاوى الكنسية جعلها الامبراطور من اختصاص الأسقف  
دون غيره للفصل فيها (٦٣) وإذا أقام أحد العلمانيين دعوى ضد أحد  
رجال الاكليروس ، فيجب أن تعرض أولا على الأسقف للفصل فيها ،  
وإذا ما وافق طرفا الدعوى على حكم الأسف ، فعلى قاضي الاقليم الذي  
به الأسقف تنفيذ حكم الأسقف بالكامل . على أن جوستينيان أجاز لصاحب  
الدعوى الحق في معارضة حكم الأسقف خلال عشرة أيام ، وأباح لقاضي  
الاقليم الفصل فيها من جديد (٦٤) .

وهكذا بدت الكنيسة في عصر جوستينيان ، وفقا لتشريعاته الادارية  
لها على أنها احدى مؤسسات الدولة التي يرأسها شخصيا ، وبدت  
الكنيسة على أنها صارت موحدة تحت رياسته بعد أن تجسدت في  
شخص جوستينيان صورة الامبراطور - الكاهن إذ كان امبراطورا وكاهنا  
أعلى ، بل أنه يكون قد أوفى بما عاهد عليه عندما أعلن سنة ٥٢٨م من  
أنه ، « يرغب بعون الله ، في التأكيد بالقانون ، من أجل رفعة الكنيسة  
حتى ننال رضى الله علينا » (٦٥) .

كان المتوقع أن تمتد سيطرة جوستينيان الدينية الى الأديرة بعد أن  
سيطر على الكنيسة ، لأن الرهبان كان لهم دورهم في الخلافات المذهبية  
والحياة السياسية ، لذلك عمل جوستينيان بجدية على احتواء الأديرة  
بالإشراف الدقيق عليها . وبخاصة أن الربع الأخير من القرن الخامس شهد  
انتشارا للحركة الديرية ، حيث قام الرهبان بالاستيلاء على أماكن  
الدعارة وما شابهها وحولوا تلك المباني الى أديرة ، ونقلوا اليها رفات  
القديسين الشهداء ، مما اضطر الامبراطور ليو الأول ( ٤٥٧ - ٤٧٤م )  
الى اصدار قانون يمنع التصرف (٦٦) وفي عهد جوستينيان زادت الأديرة

---

Nov. 123, C., 8, p. 185. (٦٢)

Nov. 83, Préface, pp 461-362 ; Nov. 123, C., 21, pp. 194-195; C., 27, p. 198. (٦٣)

Nov 83, préface, pp. 461-463, Nov. 123, C., 21, p. 194. (٦٤)

Cod. Just. 1, 3, 42, p. 83. (٦٥)

Cod. just, I, 3, 26, p. 62. (٦٦)

كان بالقسطنطينية سنة ٥٣٦ ) سبعة وستون ديرا للرجال بخلاف  
النساء (٦٧) .

أصدر جوستنيان التشريعات المنظمة للحياة الديرية حتى أنها  
تأسس الحقيقى للمؤسسات الديرية فى الامبراطورية  
نطية (٦٨) وعبر عن مفهومه عن الحياة الديرية فى أنها حياة مثالية  
للإنسان ، أرغد الحياة مع الله ، وتطهره من كل الخطايا الانسانية ،  
وله ظاهرا على الدوام ، لين العريكة ، واسع المعرفة ، ومترفعا عن  
م (٦٩) وهناك مفهوم آخر للامبراطور جوستنيان عن الحياة الديرية ،  
تشريعاته اعتقد بأن الرخاء الاقتصادى ، والسلام ، والانتصار على  
الـ يمكن أن تتحقق بفضل صلوات الرهبان المستمرة ، « على أنه  
ندمت هذه الشخصيات المقدسة [ يقصد الرهبان ] صلواتهم الى الله  
أجل رفاهية الامبراطورية — وهم أصحاب الأيدى الطاهرة ، والأرواح  
افية — فلا ريب فى انتصار جيوشنا ، وازدهار مدننا ، ولن نتعرض  
ب الله علينا ، وانما ننعم برعايته ، ولم لا ننعم بالسلام العام ،  
علاص شعوبنا بالكامل ؟ وستنبت الأرض ثمارها ، وسيجود علينا  
ر بخيراته ، لأن صلواتهم ستجلب رعاية الله لكل الامبراطورية » (٧٠).

غير أن الحياة الديرية ، بصفة عامة ، على عصر جوستنيان كانت  
جة الى الاصلاح ، لوجود مظاهر الفساد بها ، التى لم يخفها جوستنيان  
تشريعاته ، التى استهدفت العلاج باتباع أساليب التقويم والردع ،  
دة تنظيم الحياة الديرية من ألفها الى يائها .

تمثلت هذه المفاصد الأكيدة — على حـ قول جوستنيان — فى  
ارات العديدة للأديرة (٧١) . وفى التدرع بالخروج من الدير للصلاة  
نيسة (٧٢) وفى دخول الرجال أديرة النساء ودخول النساء أديرة  
بال (٧٣) . وتردد الرهبان على أماكن اللهو وتعاطى الحمر وممارسة

Cansi, Op. Cit., VIII, Col. 1007-1008; Bury, Op. Cit., p. 363. (٦٧)

Diehl, Justinian, P. 508; Bury, Op. Cit., p. 362. (٦٨)

Nov., 5, Pre. pp. 36-37 ; Nov., 133, pre. p. 251. (٦٩)

Nov., 133, C., 5, pp. 257-258. (٧٠)

Nov., 133, C., 1, p. 253. (٧١)

Nov., 133, C., 2, p. 253. (٧٢)

Nov., 133, C. 3, p. 254. (٧٣)

الفحشاء (٧٤) . . . ووجود أديرة مشتركة تضم الرجال والنساء معا (٧٥) .  
واتخاذ بعض الرهبان صوامع خصوصية للمبيت بها (٧٦) وحدوث  
انحرافات خلقية داخل الدير أثناء نوم الرهبان (٧٧) وحدوث اعتداءات  
على الراهبات بالرغم من أن عقوبة الاعتداء على الراهبة كانت الاعدام منذ  
عهد الامبراطور جوفيان ( ٣٦٣ - ٣٦٤ م ) وكرر جوستنيان التأكيد على  
هذه العقوبة في قانونه الصادر سنة ٥٤٦ م (٧٨) .

والواقع أن اصلاحات جوستنيان الديرية لم تكن من بنات أفكاره ،  
والما كانت بناء على مقترحات الراهب زوزيموس Zosimus من اقليم ليكيا  
Lycia ، والذي كان قد ناهز العشرين بعد المائة - وذلك باعتراف  
جوستنيان نفسه (٧٩) . ونصت تشريعات جوستنيان على منع بناء الأديرة  
في أى جزء من الامبراطورية قبل ابلاغ أسقف الاقليم ، الذي من واجبه  
الاشراف على البناء ، وحضور حفل الافتتاح ووضع رمز الخلاص (الصليب)  
على الدير (٨٠) وبذلك قضى جوستنيان على أديرة لا تخضع لمذهب الدولة .

وفتح جوستنيان الباب للمعبد بالانخراط في السلك الديرى ،  
أسوة بالأحرار ، وسمح للنساء بدخول الدير طالما أنه حق للرجال ،  
« اذ لا يصح أن يكون هناك فرق بين الرجل والمرأة في العبادة ، ولا بين  
الحر والعبد ، فإلعل سواسية في المسيح » (٨١) . غير أن جوستنيان  
وضع شروطا محددة لمن شاء أن ينخرط في السلك الديرى ، فلا بد أن  
يقضى الراهب فترة ثلاث سنوات سواء كان حرا أو عبدا ، تحت الاختبار ،  
يتلقى خلالها علوم اللاهوت ، وبعد معرفة رئيس الدير عن الدافع الذى  
دفعه الى الانخراط في السلك الديرى . وبعد اجتياز فترة الاختبار التى  
يتعلم فيها الراهب المبتدى الصبر ، والاستقامة ، والمعاناة والجلد ، يكون  
حينئذ مؤهلا لارتداء مسوح الرهبنة ، واكليل الرأس [ عبارة عن دائرة  
مخلوقة في قمة رأس رجل الاكليروس حين يقبل في صفوفهم ] . وفى

Nov., 133, C., 6, p. 258. (٧٤)

Nov., 123, C., 36, p. 204. (٧٥)

Nov., 133, C., 1, p. 251. (٧٦)

Nov., 133, C., 1, p. 251. (٧٧)

Cod. Just., 1, 3, p. 48; Nov. 123, C. 43, p. 208. (٧٨)

Nov., 5, C., 2, p. 37. (٧٩)

Nov., 5, C., 1, p. 37 ; Nov. 123, C. I, p. 202. (٨٠)

Nov., 5, C., 1, p. 37 ; Nov. 123, C. I, p. 202. (٨١)

هذه اللحظة ينعم العبد بحريته الكاملة ، « اذ ان النعمة الالهية شاعت  
ان يتحرر هؤلاء العبيد بقوة القانون وحده » على حد قول جوستينيان (٨٢) :

ولا شك أن السماح للعبيد بالانخراط في السلك الديرى ، ومنحهم  
الحرية الكاملة بعد اجتيازهم فترة الاختبار بنجاح ، قد ساعد على تناقص  
العبيد في المجتمع الرومانى ، ويبدو أن هذا كان من بين العوامل التى أدت  
الى زيادة أعداد الرهبان والنشاط الديرى على عصر جوستينيان . هذا  
إذا ما أضفنا اليهم عبيد الطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة ،  
اذ كانوا يحصلون على حريتهم - وفقا للقانون - بمجرد اعتناقهم المسيحية  
على مذهب الدولة . ويضاف اليهم أيضا عبيد اليهود والسامريين  
والوثنيين . لذلك يمكن القول أن تشريعات جوستينيان الدينية فيما يخص  
العبيد بصفة خاصة ساعدت بشكل ملحوظ على تحريرهم ، وسقوط نير  
العبودية عنهم (٨٣) .

غير أن القانون نص على إعادة العبد الى سيده ، فى حالة واحدة ،  
وهى اذا ما قدم هذا السيد الدليل القاطع على أن العبد لجأ الى الدير  
للهرب من جريمة ارتكبها ، شريطة ألا يكون العبد قد أمضى فترة الاختبار ،  
ففى هذه الحالة يعود العبد الى سيده بعد أن يقسم السيد ، عند استلامه  
للعبد ، على حسن معاملته له اما بعد مضى فترة الاختبار فلن يحق للسيد  
المطالبة بعده ، حتى ولو كان قد مارس الرذيلة فى مستهل حياته ، لأن  
السنوات الثلاث من المعاناة والمشقات كافية للتكفير عن ذنوبه ، وتأسيس  
الطهارة فى نفسه (٨٤) . أما اذا هرب العبد ، وهو فى فترة الاختبار ،  
من الدير ، فيحق لسيده استرداده (٨٥) .

وحتى يكون الاشراف على الرهبان دقيقا داخل الدين ، نصبت  
التشريعات على ضرورة حياة الرهبان فى الدير ، حياة جماعية فى المآكل ،  
والنوم ، وبذلك يكونوا متآلفين ، ومطيعين لرئيسهم ومراعين للنظام الذى  
يضعه لهم بكل دقة (٨٦) .

Nov., 5, C., 2, P. 37.

(٨٢)

(٨٣) كان جوستينيان قد أصدر قانونا سنة ٥٢٩م أعطى حق التحرر من نير العبودية  
للرقيق الذين يرغبون فى اعتناق المسيحية على مذهب الدولة ، وعدد ماداتهم من اليهود  
والسامريين والوثنيين والطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة بتطبيق عقوبة  
الإعدام فى حالة مخالفة القانون ، انظر :

Cod. Just. I, III, 42, pp. 84-85.

Nov., 5, C., 2, p. 39.

(٨٤)

Nov., 5, C., 2, p. 39.

(٨٥)

Nov., 5, C., 3, p. 40, Nov. 123, C. 36, pp. 203-4.

(٨٦)

وتطرقتم التشريعات الى ممتلكات الراجب فى الانخراط فى سلك الرهبنة ، فنصبت على ضرورة التصرف فى أموالهم قبل دخول الدير بالطريقة التى تحلو لهم ، وأن يترك لأطفاله ربع التركة على الأقل ، لأن ممتلكات كل من ينخرط فى السلك الديرى تصبح مملوكة للدير ، ويفقد صاحبها حق تملكها ، حتى ولو لم يعلن صراحة عن ذلك (٨٧) .

ولعلاج المفسد داخل الدير ، أمر جوستنيان ، بأن يظل فريق ساهرا ليراقب سلوك من غلب عليهم النعاس ، حتى يكونوا دائما بعيدين عن كل أنواع الآثام والسفاهات (٨٨) .

ولم يعد هناك فوضى ناجمة عن خروج الرهبان أو دخول غرباء للدير ، بعد أن أحاط جوستنيان الأديرة بأسوار قوية ، وببنى بكل دير كنيسة صغيرة ، وزود كل دير بالكتب الدينية ، وجعل للدير بابا واحدا وصار الخروج من الدير باذن رئيس الدير نفسه فى صحبة كبار السن من الرهبان ولأسباب دينية فحسب (٨٩) .

وقضى على كل الشبهات الناجمة عن اختلاط الرهبان بالراهبات ، والتى كان من بينها التذرع بحجة القرابة ، أو حضور جنازات الموتى ، « لأنه لا توجد قرابة فى الحياة الدنيا للرهبان الذين يتفكرون فى الحياة السماوية » ومن جهة أخرى ماذا سيكون هدف أولئك الذين يودون دخول أماكن مقدسة كذلك ، اذا لم يكن من أجل اقرار ما هو محرم ؟ (٩٠) . وحتى عصر جوستنيان كانت هناك عادة دفن الرجال فى أديرة النساء أو العكس . بيد أنه أمر بالقضاء على ذلك ومنع القادمين على المقابر من دخول الدير ، ولا سيما القراء ، والمناطق اليهم بحفر اللحد فى أديرة الرجال . أما فى أديرة النساء فقد منع دخول الرجال كلية ، حتى أنه فى حالة وفاة راهبة ، كانت رئيسة الدير ، ومعها راهبة أخرى ، تقومان بموارة جثة الراهبة المتوفاة التراب (٩١) . وبذلك يكون جوستنيان قد قضى على السفاهات التى كانت تحدث ابان اقامة العزاء بمناسبة مرور اليوم الثالث أو التاسع على الوفاة ، فو عندما يمضى أربعون يوما على الوفاة أو بعد مرور عام (٩٢) .

Nov., E, C., 5, p. 41, Nov., 123, C. 38, p. 205.

(٨٧)

Nov., 133, C., 1, p. 252.

(٨٨)

Nov., 133, C., 1, p. 253.

(٨٩)

Nov., 133, C., 3, p. 254.

(٩٠)

Nov., 133, C., 3, p. 255.

(٩١)

Nov., 133, C., 3, p. 255.

(٩٢)

على أن أديرة الرجال خضعت للإشراف الأعلى من قبل الأسقف الذى كان عليه التصدى بكل حزم للانحرافات (٩٣) . أما الإشراف على أديرة النساء فكان المشرف من الحصىان أو الطاعنين فى السن ، ومن بين الذين لهم سمعة طيبة فى العقدة وطهارة النفس ، وأن يتحدث مع رئيسة الدير بحضور حارسات باب الدير ، وعلى مقربة من باب الدير ، وأن يكون الحديث فى الشؤون الادارية فقط (٩٤) .

تلك كانت أهم التشريعات التى أصدرها جوستنيان لتنظيم الحياة الديرية وهى بلا شك تدعو الى الفضيلة والطهارة وتحافظ على حياة الرهبان بما يضمن لهم التفرغ للعبادة ، والبعد كل البعد عن أى شىء يخلدش رداء العقدة .

ولعل من بين اصلاحات جوستنيان الديرية التى ارتقت بالحياة الديرية الغائه للأديرة المشتركة للرجال والنساء والتى ظلت قائمة حتى سنة ٥٤٦ (٩٥) .

على أن مفهوم اقامة كنيسة واحدة بمذهب واحد حتم جوستنيان التصدى للطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة ، وهو الأمر الذى بذل فيه جهودا ذات أثر ملموس وفقا للعديد من التشريعات التى استهدفت القضاء على المعارضين للكنيسة الكاثوليكية ، بالرغم من أنها مشكلة كانت موجودة قبل اعتلائه للعرش بعدة قرون .

فالواقع يقول أن ظهور بعض الطوائف الدينية المسيحية يرجع الى القرن الأول للميلاد ، حيث اختلفت الآراء بشأن المسيح ( عليه السلام ) . ولا يود الباحث الخوض فى المسائل اللاهوتية ، بيد أنه من الثابت تاريخيا أن انجيل لوقا ، لم يكتبه صاحبه فى نهاية القرن الأول الا بعد أن تعددت الأناجيل التى اختلفت بشأن المسيح (٩٦) . وطالما أن هناك

---

Nov., 133, C. 4, P. 256. (٩٣)

Nov., 133, C. 5, pp. 256-257. (٩٤)

Nov. 123, C., 36, p. 204. (٩٥)

(٩٦) « اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا . كما سلمها اليها الذين كانوا منذ البدء معايدين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضا اذا تنبعت كل شىء من الاول بتدقيق أن اكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » . ( لوقا ١ : ١ - ٤ ) .



أناجيل متعددة فمن البديهي أن يكون لكل انجيل مؤمنون به ، ولا يدينون  
بالأناجيل الأخرى (٩٧) .

وإذا كان المسيحيون قد توصلوا الى اتفاق على تحديد أناجيل متى ،  
ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا على أنها صحيحة وقانونية وما غيرها من الأناجيل  
غير معترف بها ( أبو كريفا ) (٩٨) إلا أن هذا الاجراء لم يؤد الى الهدف  
المتشود وهو اتفاق الطوائف المسيحية على كلمة واحدة ، وإنما ظلت هناك  
طوائف دينية لها مذاهبها الخاصة بها . وعلى ذلك يمكن القول ان مسألة  
تعدد الطوائف الدينية المسيحية هي المسألة التي وجدت مع ظهور  
المسيحية نفسها على أيدي الحواريين أنفسهم .

وإذا كان مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م كان المحاولة الأولى على  
المستوى العالمى للمسيحيين ، استهدف وضع صيغة متفق عليها للايمان  
المسيحي ، وهو ما عرف « بقانون الايمان المسيحي » إلا أن هذا المجمع  
نفسه لم يكلل بالنجاح بشأن جمع الطوائف المسيحية على مائدة واحدة  
بمذهب واحد ، بل أنه كان بمثابة بداية لسلسلة من المجمع «المسكونية»  
التي كان ثانيا سنة ٣٨١ م ، وثالثها فى سنة ٤٣١ م . وفى المجمعين  
الأخيرين تم اضافة ما وجده المجتمعون ضروريا « لقانون الايمان المسيحي »  
هذا فى الوقت الذى ظهرت فيه آراء دينية تتعارض مع مفهوم الايمان  
المسيحي للمجمع الثلاثة السابقة .

على أن ما يعيننا فى الأمر هو موقف أباطرة الرومان من الطوائف  
المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة . فالواقع أن أقدم القوانين  
الامبراطورية التى وصلتنا وتصدت للطوائف الدينية المسيحية التى لا تدين  
بمذهب الدولة ، صدر قبل مجمع القسطنطينية الثانى بعامين فحسب  
( أى سنة ٣٧٩ م ) ، حيث حذر هذا القانون الطوائف المسيحية التى  
لا تدين بمذهب الدولة . وفى نفس الوقت أطلق عليهم كلمة ( هرطقة ) ،

---

(٩٧) عن أسماء هذه الأناجيل العديدة وعن الطوائف التى أمنت بها ، انظر :  
الأنبا يوانس ( استقف الغربية ) ، الكنيسة فى عصر الرسل ، الطبعة الثانية ،  
القاهرة ، ( ١٩٧٧ ) ، ص ٢٩٨ ب ٣٠١ .  
(٩٨) فى أواخر القرن الثانى الميلادى ( حوالى ١٨٠ م ) اتفقت كنائس أنطاكية  
وإفسس وروما على اعتبار الأناجيل الأربعة صحيحة ، وما غداها فهو مزور . انظر :  
صمويل مشرقى ، مصادر الكتاب المقدس ، القاهرة ، ( ١٩٧٣ ) ، ص ٢٨ .

وذلك في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الأول (٩٩) . وبعد أن مضى عامان على مجمع القسطنطينية الثاني ( أى سنة ٣٨٣م ) أصدر الامبراطور ثيودوسيوس قانونا ينص على ضرورة اعتناق كل شعوب الامبراطورية الديانة المسيحية وفقا لعقيدة الثالوث الأقدس « وأن يحمل الممثلون لهذا القانون لقب المسيحيون العالميون » [ الكاثوليك ] وهدد نفس القانون المخالفين بالعقاب ، ( وإن كان لم يحدد نوعية العقاب ) ( ١٠٠ ) .

على أن موجة العقاب المحدد بدأت في عهد أركاديوس ، اذ أصدر قانونا سنة ٣٩٦م ، حذر فيه الطوائف الدينية من الصلاة في كنائسهم ، وفرض غرامة مالية قدرها مائة رطل من الذهب على حاكم المدينة الذي يتراخى في تنفيذ القانون ، وكذلك غرامة قدرها خمسون رطلا من الذهب على القاضى المتراخى ( ١٠١ ) وأصدر قانونا سنة ٤٠٠م حذر فيه الطوائف الدينية من ممارسة شعائهم الدينية داخل منازلهم ، وهددهم بمصادرة المنازل التى تقام بها الصلوات ( ١٠٢ ) .

غير أن نظرة اركاديوس تجاه طائفتى مانى ( ١٠٣ ) ودوناتوس Donatus ( ١٠٤ ) كانت عدائية للغاية ، اذ أصدر أمرا سنة ٤٠٧م بإعدام أتباع هاتين الطائفتين ومصادرة أملاكهم وحرمانهم من حق عمل

Cod. Just., 1, V, p. 96.

(٩٩)

ويجدر الإشارة الى أن كلمة ( هرطقة ) ليست عربية وانما هى يونانية الأصل واستخدمت فى اللاتينية وما اثنى عنها من اللغات الأوربية الحديثة وهى باللاتينية *haeresis* وتعنى طائفة فلسفية أو طائفة دينية ، ثم صارت تستخدم الطائفة الدينية التى لا تدين بمذهب الكنيسة المالكية . على أن أتباع هذه الطوائف كانوا يدعون « بالمسيحيين » حتى عصر جوستينيان « ، انظر : Nov. 109, Pré, p. 101.

Cod. Just., 1, I, p. 17.

(١٠٠)

Cod. Just., I, V, p. 97.

(١٠١)

Vod. Just., I, III, p. 53.

(١٠٢)

( ١٠٣ ) بدأ مانى دعوته الدينية فى بلاد الفرس سنة ٢٤٢م ، وقويت طائفته بعد وفاته ، وهى طائفة مسيحية استمدت تعاليمها من انجيل الحواري توما ، ( هذا الانجيل ضمن الاناجيل التى اعتبرتها الكنيسة أنها غير قانونية ) وهم آمنوا بالمسيح على أنه بشر خلقه الله ، وأنه لم يصلب ، وانما الذى صلب شخص آخر ، انظر : T. C. Burkitt. The Religion of the Manichees (Cambridge, 1925). وكذلك يوانس ( أسقف القبرية ) ، عصر الرسل ( الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٧ ) ،

ص ٣٠٠ .

( ١٠٤ ) بدأت دعوة دوناتوس سنة ١٥٦م باقليم فريجيا Phrygia ودعا الى

التشبه بحياة الحواريين والميل الى التقشف الشديد . انظر :

D. C. Murry, A History of Heresy, (London 1976), p. 33-37.

الوصايا وحرمان الأبناء من وراثة آبائهم ، إلا اذا اعتنقوا المسيحية على مذهب الدولة ، وأعطى لعبيدهم حق العتق من غير العبودية شريطة اعتناق المسيحية على مذهب الدولة (١٠٥) وليس أدل على تعدد الطوائف المسيحية التي لا تدين بمذهب الدولة من القانون الصادر سنة ٤٢٨ م على عهد ثيودوسيوس الثاني ، والذي حدد فيه أسماء تلك الطوائف ، والتي بلغ عددها حوالي سبع وعشرين طائفة لها كنائسها الخاصة بها . بيد أن أشده هذه الطوائف خطورة على الدولة ، كانت طائفة مانى ، لذلك أمر ثيودوسيوس الثاني بطردهم من المدن واعداهم (١٠٦) .

على أن خلو المصادر التاريخية من تشريعات امبراطورية بشأن الطوائف الدينية التي لا تدين بمذهب الدولة منذ سنة ٤٢٨ م وحتى عصر جوستينيان ، قدلفت انتباه الباحث . ولعل مرجع ذلك الى أن أباطرة هذه الفترة اكتفوا بما هو موجود من تشريعات لو طبقت بحرفيتها - لحلت المشكلة ، أو لعل الأباطرة فى ذلك الحين وجدوا استحالة استئصال شأفة هذه الطوائف نظرا لقوتها ، ويميل الباحث الى الرأى الأخير وبخاصة أن أباطرة الفترة التى سبقت عصر جوستينيان ( زينون وانستاسيوس ) ما لا الى شئ من التسامح الدينى بشكل عام هذا من ناحية ، ولشدة اضطراب أحوال الدولة فى الداخل والخارج - والتي كان لها الأولوية من ناحية ثانية .

على أية حال بذل جوستينيان جهودا كثيرة للقضاء على هذه الطوائف المسيحية التي لا تدين بمذهب الدولة ، اذ اصدر قانونا نص على ضرورة اعتناق الشعب بكل أقاليم الامبراطورية المسيحية على المذهب الكاثوليكي خلال ثلاثة أشهر وذلك سنة ٥٢٩ م (١٠٧) ولم يخف جوستينيان بغضة الشديد تجاه الطوائف الدينية المسيحية التي لا تدين بمذهب الدولة ، « لأنهم لا يستحقون إلا كل ازدراء » . على حد قوله (١٠٨) . هذا فضلا عن أنه جعل اعتناق المذهب الخلقيدونى شرطا أساسيا فى شغل وظائف الدولة (١٠٩) . وبذلك أعطى امتيازاً لاتباع مذهب الدولة على باقى الطوائف الأخرى ، وعمل على تنفيذ هذا القانون بكل حزم . منذ عهد خاله ، وطوال حكمه بعد أن انفرد بالسلطة ، « حتى لا يحققوا مكاسباً

Cod. Just., I, V, p. 98.

(١٠٥)

Cod. I, V, p. 100.

(١٠٦)

Malalas, Op. Cit., p. 449; Theophanes, Op. Cit., p. 276.

(١٠٧)

Nov. 45, Pr. P. 314.

(١٠٨)

Theophanes, Op. Cit., p. 276.

(١٠٩)

على حساب المؤمنين بكنيسة الله الرسولية ، والعالمية» على حد قوله (١١٠) -  
وللتحقق من وضع هذا الشرط موضع التنفيذ ، اشترط توافر شهادة  
ثلاثة يقسمون أمام الأسقف وأيديهم على الكتب المقدسة (١١١) .

ولا شك أنه بهذه الوسيلة ضمن جهازا حكوميا يدور في فلكه ،  
ويحقق سياسته الدينية ، كما أصدر قانونا تضمن حرمان الطوائف  
الدينية المسيحية التي لا تدين بمذهب العقولة من الشهادة في المحاكم  
ضد الذين يؤمنون بمذهب الدولة : سواء أكان طرفا النزاع من  
الأرثوذكس أم طرفا واحدا منهما ، وكان على أتباع هذه الطوائف الدينية  
أن يتقدموا بشهود من بين أبناء طائفتهم (١١٢) . ولم يكتف جوستينيان  
بذلك وإنما حرّمهم من حق المواطنة ، وذلك بحرمانهم من حق المشاركة  
في المجالس العامة بالمدن وأصعّا إياهم في وصف واحد مع اليهود الوثنيين  
والسامريين (١١٣) .

وعمل جوستينيان على زيادة ضغوطه عليهم ، حتى لا يجدوا مفرّا من  
من الانخراط تحت راية كنيسة الدولة ، إذ أصدر قانونا نص على عدم  
الاعتراف بالوصايا التي تركوها ، ما لم تكن لصالح أبناء أو أقارب يدينون  
بالمذهب الأرثوذكسي (١١٤) وحرّمهم من الاشتغال بالتدريس أو  
المحاماة (١١٥) ، أو اقتناء العبيد من المسيحيين الأرثوذكس (١١٦) .

(١١٠) الواقع أن حرمان المسيحي الذي لا يدين بمذهب الدولة من الوظائف  
الحكومية بدأ منذ عهد الإمبراطور ليو الأول ( ٤٥٧ - ٤٧٤م ) ، وفقا لما ورد في قانون  
جوستينيان ، ولم تذكر ( النوفلا ) شيئا عن عهدي ، زينون وألستاسيوس إذ من المفهوم  
أنهما كانا لا يؤمنان بالمذهب الخلقيدوني . انظر :

Nov. 109 pre. p. 100.

Cod. Just., 1, 4, 20, P. 94 ; Nov. 27, C. 8, p. 170.

(١١١)

Diehl, Justinien, p. 325, Labbriolla, Op. Cit., p. 447; Bury, Op. Cit.,  
p. 364.

(١١٢) حرم جوستينيان على بعض الطوائف المسيحية حق دخول ساحات القضاء :

شعبة ماني Manichicus شعبة بوربريتوس Borobritus شعبة مونتانيوس  
Montanus ، والطائفة الأوفية Ophytes وذلك لتشابه معتقداتهم ،

كما صدرت قوانين تمنعهم من الدعوة إلى مذاهبهم . انظر :

Cod. Just. 1, 4, 12, pp. 108-109.

Nov. 45, pr. P. 314, Ure, Op. Cit., p. 112.

(١١٣)

Nov. 115, c., 3, pp. 120-121, Diehl, Justinien, p. 326;

(١١٤)

Stein, Op. Cit., p. 371.

Diehl, Justinien, Holmes, Op. Cit., p. 693.

(١١٥)

Cod. Just. 1, 6, 3, pp. 110-111; Diehl, Justinien, p. 326.

(١١٦)

وامتدت ضغوطه الاقتصادية الى حقوق الزوجات فمن يعتنقن مذهب مخالفة ، اذ حرمن من حقهن في البائنة وترك الأمر لقرار الأساقفة الذين كان عليهم تقديم الشهادة ، اذا ما كانت المرأة المتروجة تدين بمذهب الدولة من عدمه (١١٧) .

على أن جوستينيان لم يكتف بذلك ، وانما لجأ الى الأسلوب الدموي ضد بعض هذه الطوائف وعلى رأسها طائفة مانى ، وطائفة مونثانوس والطائفة الساباطريانية Sabbatmanism . اذ فرض عليهم عقوبة الاعدام . مما أدى الى أن ترك البعض أراضى الامبراطورية هربا بمعتقداتهم ، كما فضلت شيعة مونثانوس الموت حرقا . بأيديهم لا بأيدي جوستينيان . عندما تجمعوا فى كنائسهم وأشعلوا النيران فى أنفسهم جميعا (١١٨) . ولا شك أن مثل هذا الأمر يعبر عن مدى حالة اليأس التى وصلت اليها طائفة مونثانوس ، من جراء تعقب جوستينيان لها ومحاضرتها فى كل درب . ووصوب .

غير أن جوستينيان لم يتمكن كلية من القضاء على بعض هذه الطوائف الدينية التى كانت لا تدين بمذهب الدولة ، اذ اعترف سنة ٥٤١م بأن شيعة مانى قد عادت الى الظهور من جديد وكذلك طائفة أبو ليناريس (١١٩) . ومن الواضح وفقا لقانونه سنة ٥٥٤م أن هذه الطوائف الدينية ظلت قائمة ، وان كانت بشكل سرى ، واتخذت المنازل أماكن للقاء والتدارس ، والتعبد ، مما جعله ينص فى قانونه على توقيع أشد العقوبات عليهم مع مضادة منازلهم التى كانوا يجتمعون بها لصالح كنيسة الدولة (١٢٠) .

وهكذا يبدو للباحث أن جهود جوستينيان لاستئصال شأفة الطوائف الكلدانية المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة لم تتحقق كاملا ، وأن كانت جهودهم قد ساعدت على رجحان كفة المذهب الخلقيدونى بعد أن خبا ضوء العديد من تلك الطوائف .

Nov. 109 (A.D. 541), C., 1, pp. 101-102; Bury, Op. Cit., II., (١١٧) p. 384.

Procopius, The Secret History p. 96; Michel Le Syrien, Op. Cit., pp. 269-271; Pargoire, Op. Cit., II, pp. 23-24, Duchesne, Op. Cit., p. 280.

Nov. 109, Prè. p. 100.

(١١٦)

Nov. 132 (A.D. 554), p. 250.

(١٢٠)

وإذا كانت جهود جوستينيان الخاصة بالعمل على ضم كل الطوائف المسيحية الى الكنيسة الرسولية لم تصل الى الحد الذى كان يتمناه ، الا أنه قد حقق نجاحا الى حد أكبر فى اجبار الوثنيين على اعتناق المسيحية عن رهبة لا عن رغبة .

كانت الوثنية فى بداية عهد جوستينيان فى طريقها الى الاندثار رويدا رويدا ، بفضل جهود أباطرة القرنين الرابع والخامس ، فمنذ منتصف القرن الرابع الميلادى ، أصدر الامبراطور قنسطانز ، والامبراطور قنستنتيوس قانونا سنة ٣٤٢ م نص على اغلاق معابد الوثنيين فى كل مكان ، ومصادرة أملاكهم وتحويلها الى خزانة الدولة (١٢١) . وظل أباطرة الرومان يصدرون القوانين التى عملت على القضاء على الوثنية ، حتى أوشكت شمسها على الغيب ولجأ الوثنيون الى التعبد سرا فى المزارع والمنازل . وبالرغم من ذلك فقد تعقبهم الامبراطور ليو الأول بقانونه الصارم الذى نص فيه على جلد من يضبط متلبسا بممارسة الشعائر الوثنية ثم احاقه بالعمل فى المناجم أو بالنفى المؤبد ، اذا كان معادما مباشر هذه الشعائر بشكل فردى ، أما اذا تم ضبط جماعة من الوثنيين فى أرض زراعية أو فى منزل ويمارسون شعائر معتقداتهم ، فكان عقابهم الاعدام مع مصادرة المنزل أو الأراضي الزراعية لصالح الكنيسة (١٢٢) .

غير أن الوثنية ظلت موجودة فى الخفاء حتى عصر جوستينيان فكان عليه أن يتعقبها ، ولم يكن ذلك بالأمر الصعب نظرا لأنها كانت تحتضر على أيامه . وما ان انفرد بالسلطة حتى أكد على ضرورة تطبيق العقوبات التى أصدرها من سبقه من الأباطرة ضد الوثنيين (١٢٣) . وأعطى جوستينيان الحق لرقيق الوثنيين فى التحرر من نير العبودية بمجرد انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكية ، وحذر من مصادرة الأملاك وتطبيق عقوبة الاعدام لمن يتصدى لتنفيذ هذا القانون . والجدير بالذكر أن هذا القانون تضمن إشارة هامة بشأن الوثنية التى كانت قوية على حدود مصر فى أقصى الجنوب وفى أقصى الغرب ، وذلك فى قانونه ضد الوثنية سنة ٥٢٨ م (١٢٤) . واستعمل جوستينيان أسلوبا قاسيا ضد المواطنين

---

Cod. Just. 1, XI, 1, p. 121.

(١٢١)

Cod. Just. 1, XI, 8, p. 124.

(١٢٢)

Malalas, Op. Cit., p. 449; Bury, Op. Cit., II p. 367;

(١٢٣)

Labriolle, Op. Cit., p. 443.

Cod. Just., I, III, 42, pp. 84-85.

(١٢٤)

الوثنيين بالقسطنطينية أولا ، وبخاصة ضد الشخصيات الكبرى بالمناصب المهمة في الدولة ، وصادر ممتلكاتهم ، وحكم على بعضهم بالاعدام (١٢٥) .

وبالرغم من تظاهر بعض الوثنيين باعتناق المسيحية للنجاة من العقوبات القاسية ، فانه سرعان ما افتضح أمرهم ، حيث تم ضبطهم وهم يمارسون الاراقة [ سكب الخمر على جسد الأضحية تكريما للآلهة ] ، وكذلك التقريب [ تقديم الأضاحي والقربان والذبائح للآلهة ] ، وممارسة الشعائر الأخرى ، لذلك تعرضوا للتشويه الجسدي ومصادرة الأملاك (١٢٦) .

على أن بقاء الوثنية سرا بالعاصمة بصفة خاصة ، بالرغم من اغلاق جامعة أثينا « قلعة الوثنية » سنة ٥٢٩م (١٢٧) ، لدليل قوى على أنها كانت عقيدة بعض الفئات المثقفة في العاصمة . هذه الفئات وبخاصة الذين مارسوا التدريس ، لذلك حرّمهم جوستنيان من ممارسة التعليم ، وصادر أملاكهم لرفضهم اعتناق المسيحية (١٢٨) لذلك ، وبعد أن ضاقت سبل العيش بالعديد من الفلاسفة الوثنيين ، اضطروا الى الذهاب الى بلاد الفرس ، حيث رحب بهم كسرى أنوشروان . غير أنهم عادوا الى وطنهم مكرمين ، بعد أن تعهد جوستنيان لكسرى بتركهم يمارسون حرية المعتقدات ، وذلك ابان عقد معاهدة السلام الدائم سنة ٥٣٢ (١٢٩) .

على أن الفضل يعود الى جوستنيان في القضاء التام على جيوب الوثنية في بعض أقاليم الامبراطورية بشكل نهائي ، ففي أقاليم أسيا الصغرى ، وفريجيا Phrygia وليديا Lydia وكاريا Caria نجح جوستنيان في تنصير ما بقي من الوثنيين في تلك الأماكن بعد أن اغراهم بالمال والثياب (١٣٠) .

غير أنه استعمل القوة في القضاء على الوثنية في جنوب مصر حيث حطم معبد جزيرة فيله Elephantaine الخاص بعبادة ايزيس ، والقي القبض على رجال الدين هناك ، وتم ارسالهم مع تماثيلهم الدينية الى

---

*Malalas, Op. Cit., p. 449; Bury, Op. Cit., II, p. 368.* (١٢٥)

*Procopius, The Secret History, p. 98.* (١٢٦)

*Malalas, Op. Cit., p. 448; Labriolle, Op. Cit., p. 445.* (١٢٧)

*Diehl, Justinien, p.562; Labriolle, Op. Cit., p. 442.* (١٢٨)

*Bury, Op. Cit., p. 370 ; Labriolle, Op. Cit., p. 445;* (١٢٩)

*Pargoire, Op. Cit., p. 13.*

*Diehl, Justinien, p. 557; Holmes, Op. Cit., 699; Bury, (١٣٠)*

*Op. Cit., p. 381; Stein, Op. Cit., p. 372.*

القسطنطينية • كما نجح فى تنصير قبائل البلاميين *Blemyes* والتوبيين.  
*Nobadae* (١٣١) • كما قضى على عبادة آمون *Ammon* فى غرب مصر ،  
وبنى هناك كنيسة (١٣٢) •

وفى اقليم فينيقيا قضى جوستنيان على معبد مدينة هيليوپوليس  
*Heliopolis* ( بعلبك ) • وأحرق كتب الوثنية ونقل أوثانهم الى  
القسطنطينية ، وألقى القبض على كهنتهم (١٣٣) •

على أن جهود جوستنيان امتدت لمحاربة الوثنية خارج حدود  
الامبراطورية ، اذ نجح فى تحويل الشعب التزاني *Tzani* [ عاش هذا  
الشعب بين أرمينيا الفارسية ولازيقا ] ، الى المسيحية بالقوة (١٣٤) •  
ونجح فى تحويل قبائل الهيرول *Herules* [ احدى قبائل الهون ] ، التى  
كانت تقطن المناطق المجاورة للبسفور *Bosporus* الى المسيحية (١٣٥) •

وبالرغم من جهود جوستنيان المضنية للقضاء على الوثنية سواء فى  
الداخل أو فى المناطق القريبة من الامبراطورية فإن آثار الوثنية ظلت  
باقية فى القسطنطينية ذاتها • وفى أواخر أيامه ( سنة ٥٥٩ م ) ، وجد  
جماعة تمارس الشعائر الوثنية سرا ، فما كان من جوستنيان الا أن قام  
بعملية تشهير لهم فى شوارع القسطنطينية ، ثم أحرق كتبهم ومؤلفاتهم  
علنا (١٣٦) • بيد أنه من الناحية الواقعية ، يمكن القول ان جوستنيان  
قد نجح الى حد كبير فى القضاء على الوثنية داخل الامبراطورية بشكل لم  
يسبق له مثيل اذا ما نظرنا الى جهود من سبقه من أباطرة الرومان •

على أن السياسة الدينية التى وضعها مستهدفا تنصير شعب  
الامبراطورية ، امتدت لتشمل السامريين الذين لم يكونوا على شاكلة  
الوثنيين ، وانما كانوا شعبا له عقيدة وكتب مقدسة وفقا لرسالات السماء  
لذلك اصطدمت هذه السياسة بصخرة قوية صعب عليه تفتيتها • وهو فى  
سياسته الرامية الى تنصير السامريين ، خالف من سبقه من الأباطرة منذ

---

*Procopius, History of the Wars, I, pp. 187-189; Labroille, (١٣١)*  
*Op. Cit., p. 444.*

*Procopius, Buildings, p. 369; Diehl, Justinein, p. 549. (١٣٢)*

*Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 271; Duchesne, Op. Cit., p. 280. (١٣٣)*

*Procopius, Buildings, p. 205; Holmes, Op. Cit., p. 700. (١٣٤)*

*Malalas, Op. Cit., p. 431; Theophanes, Op. Cit., p. 269; (١٣٥)*

*Holmes, Op. Cit., p. 701.*

*Malalas, Op. Cit., p. 491; Pargoire, Op. Cit., pp. 12-13; (١٣٦)*

*Duchesne, Op. Cit., p. 280; Labriolle, Op. Cit., p. 444.*



عهد الامبراطور قنسطنطين . وعلى أية حال فبالرغم من جهوده المضنية معهم والتي استمرت حوالى ثلاثين عاما ، فإنه لم يحقق كل ما كان يرجوه من نجاح (١٣٧) .

ويبدو أن محاولات جوستينيان مع السامريين استهدفت في المقام الاول حماية المسيحيين في فلسطين بعد أن لمس تزايد قوة السامريين في بداية عهده ، بالرغم من فشلهم في محاولاتهم الاستقلالية في عهد زينون (١٣٨) ، وثورتهم الفاشلة في عهد أنستاسيوس (١٣٩) .

ولا شك أن الخلاف العقائدي بين السامريين والمسيحيين في فلسطين خلق جوا من التعصب بين الفريقين بها (١٤٠) ، في فترة كانت الامبراطورية نفسها تعمل على تغذية التعصب بين المسيحيين أنفسهم لمجرد الاختلاف المذهبي ، حيث تعقبت الدولة كل مسيحي لا يؤمن بعقيدة « الثالث الاقدس » على المذهب الخلقيدوني .

على أية حال ، نجح جوستينيان في اشعال نيران الثورة ضده في نفوس السامريين عندما أصدر قانونا سنة ٥٢٧ م ، شمل السامريين ضمن فئات أخرى ، اذ حرم عليهم الدعوة لمعتقداتهم الدينية والشهادة في ساحة القضاء ضد المسيحيين الأرثوذكس ، وأباح هذا القانون مصادرة أملاك الورثة من السامريين لصالح خزانة الدولة ما لم يكن هؤلاء الورثة قد اعتنقوا المسيحية الأرثوذكسية (١٤١) .

(١٣٧) عبر جوستينيان عن عدم نجاحه في اجبار السامريين على اعتناق المسيحية في ( نول ) رقم ١٤٤ لسنة ٥٥٦ م ، حيث قال في مقدمتها : « اننا نكرس وقتنا باستمرار من أجل العمل على انتشار السامريين من ضلالهم ، ومن أجل شفاء نفوسهم التي أفسدها هذه الآثام ، وذلك تشبها بوالدنا الملك التقى [ يقصد خاله جوستين ] ، غير أننا لم نحقق بعد هذه الغاية التي حددناها لأنفسنا ... » انظر :

Nov. 144, præ, p. 308.

(١٣٨) انظر الفصل الاول .

(١٣٩) في عهد أنستاسيوس تزعمت سيدة سامرية جماعة من الرجال وتمكنوا من هدم الكنيسة التي كان قد بناها زينون على قمة جبل جرزيم Gerizim بعد قتل حرس الكنيسة من الجند الرومان . بيد أن حاكم الاقليم عاقب الجناة ، انظر :

Lebeau, Op. Cit., T. 7, 148; Milman, The History of the Jews, Vol. II, p. 228.

(١٤٠) عبر جوستينيان عن العداء بين السامريين والمسيحيين قائلا :

« لقد ابتلينا فيما مضى بالعديد من الكتابات على أيدي السامريين ، الذين كانوا في ذلك الحين أعداء المسيحيين ، والذين كانوا في غاية الكبرياء والتعال » . انظر :

Nov. 129, præ, p. 233.

Cod. Just., I, pp. 108-109.

(١٤١).

واذا كان الانسان قد يرضى بالظلم الاقتصادي - على مضض وإلى حين - فانه لا يسكت على الاطلاق على الاضطهاد الديني ، لا سيما اذا كان ملتزما بمبادئ عقيدته . والحال هنا أن جوستينيان بسياسته الدينية تجاه السامريين - الذين عاشوا في مجتمع ديني مغلق (١٤٢) قد أجهج في نفوسهم أتون الثورة بضربة على الوترين معا وفي وقت واحد .

لذلك كان من المتوقع قيام السامريين بفلسطين بثورة ضد المسيحيين ، وبخاصة بعد أن أمر جوستينيان بهدم معابدهم (١٤٣) . على أن السامريين كانوا قد تصرفوا بذلك عندما أصدر جوستينيان ضدهم وصفا غيرهم قانونه سنة ٥٢٧م ، اذ تظاهروا باعتناقهم للمسيحية ، حتى لا يقعوا تحت طائلة العقوبات (١٤٤) ، هذا في الوقت الذي ظلوا فيه لمدة عامين كاملين يتحينون الفرصة للقيام بالثورة كما فعلوا أيام زينون .

وهكذا استغلوا فرصة اشتعال نيران الحرب بين الفرس وجوستينيان ، وانشغال جوستينيان بهذه الحرب سنة ٥٢٩ ، واعتقدوا أن كفة الفرس هي الراجحة ، وأن الجيش الفارسي على استعداد لتدعيم سلطانهم بفلسطين (١٤٥) .

على أية حال ، أعلن السامريون الملكية ، واختاروا جوليان Julian ملكا عليهم وقتلوا العديد من المسيحيين وبخاصة في مدينتي بيسان Scythopolis ونابلس Neapolis ، وقضوا على القوات الرومانية هناك . غير أن الفرس لم يقدموا لهم المساعدة المرجوة ، لأن مفاوضات السلام كانت جارية بينهم وبين جوستينيان . وعلى ذلك تمكنت القوات الرومانية بمعاونة الحارث بن جبلة [ ملك الغساسنة ] من توجيه ضربة قاصمة الى السامريين ، وبيعت أطفالهم في أسواق النخاسة على يد الحارث ابن جبلة في الحبشة وبلاد الفرس (١٤٦) .

تعلم جوستينيان من التاريخ ، لذلك عندما انهارت معاهدة السلام.

---

Duchesne, Op. Cit., p. 282 ; Labriolle, Op. Cit., p. 446. (١٤٢)

Malalas, Op. Cit., p. 445 ; Holmes, Op. Cit., p. 694; Bury, (١٤٣)

Op. Cit., p. 365; Stein, Op. Cit., p. 373.

Procopius, the Secret History, p. 97. (١٤٤)

Zachariah, Op. Cit., p. 232; Malalas, Op. Cit., p. 455; (١٤٥)

James Paker, A History of Palestine, P. 80; Abel, Histoire de La Palestine, T. II, pp. 355-356.

Malalas, Op. Cit., p. 445; Chronicon Pachale, p. 872; (١٤٦)

Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 91, Lebeau: Op. Cit., T. 8, pp. 119-120.

الدائم مع الفرس ، على أثر هجوم كبرى أنوشروان على أنطاكية سنة ٥٤٠م ، وفرضه إرادته على المدن البيزنطية الواحدة بعد الأخرى ، هنا خشى جوستينيان أن يكرر ما فعله السامريون معه سنة ٥٢٩م وما كانوا قد فعلوه مع زينون سنة ٤٨٤ ، لذلك سارع بمحاولة استرضاء السامريين وأصدر ( نوفلا ) خاصة بهم سنة ٥٤٢م ، استهدفت تخفيف حدة القيود المفروضة عليهم ، والسماح لهم بحرية التصرف فى ثرواتهم ، وأعطاهم حق كتابة الوصايا ، ومنح التبرعات ، والتصرف فى العبيد وإبرام العقود المتبادلة (١٤٧) .

وهكذا نجح جوستينيان فى اجتياز هذه المرحلة الحرجة إبان حروبه الثانية مع الفرس ، دون أن يعكر السامريون صفو الأمن فى فلسطين لمدة قاربت أربعة عشر عاما .

غير أن السامريين استغلوا فرصة انشغال جوستينيان فى الحرب الطويلة مع الفرس فى لاذيقا ، وغياب معظم قواته فى الغرب لاتمام الحركة الاستردادية ، وأشعلوا نيران الثورة للمرة الثانية فى سنة ٥٥٦م ، بعد أن كان بعضهم قد تظاهر باعتراف المسيحية ، حتى لا يتعرضوا لأذى ، وحتى يتمتعوا بكافة حقوق المواطنة الرومانية ، بيد أن مثل هذا النفاق سرعان ما افتضح أمره (١٤٨) .

على أية حال ، كرر السامريون أعمال العنف ، وقتلوا العديد من المسيحيين بما فىهم حاكم فلسطين ، وأحرقوا العديد من الكنائس ، وبخاصة فى مدينة قيصرية Caesarea بفلسطين غير أن جوستينيان أتبع معهم حرب الإبادة والحق بهم أشد ألوان العقاب ، كما أعدم زعماء الثورة على الفور وصادر كل الممتلكات (١٤٩) . وأصدر ( نوفلا ) ثانية خاصة بالسامريين تضمنت حرمانهم من العديد من الحقوق المدنية التى كانت قد أعادها اليهم فى ( نوفلا ) رقم ١٢٩ ، فحرهم من الميراث واقتناء العبيد ، وحذرهم بالنفى مدى الحياة فى حالة التظاهر باعتراف المسيحية على سبيل الخداع . وحرم عليهم ممارسة شعائرهم الدينية ، ومنعهم من حق التقاضى واللقاء الأحاديث الدينية وتعليم الصبية (١٥٠) .

Nov. 129 (A. D. 542), pp. 233-236.

(١٤٧)

Nov. 144 (A.D. 556), Prê., p. 308.

(١٤٨)

Malalas, Op. Cit., p. 487; Theophanes, Op. Cit., p. 356;

(١٤٩)

Michel Le Syrien Op. Cit., p. 262; Milman, Op. Cit. p. 230.

Nov. 144, pp. 308-310.

(١٥٠)

ويبدو أن هذه التشريعات الأخيرة قد كسرت شوكة السامريين فلم نعد نسمع عنهم شيئاً بقية عصر جوستينيان .

على أن سياسة جوستينيان تجاه بقية فرق اليهود كانت أقل تشدداً من سياسته تجاه السامريين . بالرغم من أنهم ظلوا تحت رحمة التشريعات التي صدرت ضدهم منذ نهاية القرن الرابع الميلادي وفي القرن الخامس للميلاد . والتي استهدفت في جملتها جعلهم مواطنين من الدرجة الثانية ، وحاصرتهم كطائفة لا ترضى عنها الدولة دون صدور تشريع صريح يلزمهم باعتناق المسيحية على غرار ما أتبع ضد الطوائف الأخرى .

فقد حرمت عليهم التشريعات الامبراطورية زواج اليهودى من المسيحية أو المسيحي من اليهودية . كما بدأت الدولة فى عهد ثيودوسيوس الثانى فى التضييق على اليهود ، وفقاً لسياسته العامة التى استهدفت اضطهاد غير المسيحيين فى ذلك الحين هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان اليهود قد اعتادوا التعبير علناً عن ازدهارهم للديانة المسيحية فكانوا يحرقون الصليبان فى أعيادهم . وحرمت الدولة عليهم اقتناء العبيد المسيحيين بأى وسيلة كانت . وفرضت على معابدهم ضريبة سنوية عرفت « بضريبة التاج الذهبية » . وحرمت عليهم اجراء عملية الختان ، وجعلت عقوبتها النفى مدى الحياة . الى أن صدر قانون سنة ٤٣٩ م ، استهدف حرمانهم كلية من الوظائف الادارية والشرفية . وحرّم عليهم بناء معابد جديدة مع السماح لهم بترميم الآيلة للسقوط . وجعلت التشريعات عقوبة بناء معبد جديد ، دفع غرامة قدرها خمسون رطلاً من الذهب ، مع مصادرة المبنى واعدام المسئول عن البناء (١٥١) .

تلك كانت تشريعات الدولة الرومانية ضد اليهود حتى عصر جوستينيان غير أن الامبراطور جوستينيان لم يكتف بذلك ، وإنما توسع جوهر عقيدتهم ذاتها ، مستهدفاً تعديل مفاهيمهم عن المسيح بما يتطابق مع العقيدة المسيحية اذ ألزمهم بعدم التمسك بالمعنى الحرفى فى العهد القديم « وألزمهم بترك النصوص العبرية للعهد القديم واستخدام الترجمات باللغة اليونانية أو اللاتينية أو اللغات الأخرى ، وحدد لهم الترجمة السبعينية Septuaginta (١٥٢) ، لأنها تتفق مع الترجمة التى وضعها

---

Cod. Just, I, pp. 115-119; Jonin, «Le Juifs Dans L'Empire Byzantin», Echos D'Orient, Tome XV, (Paris, 1912) pp. 127-129.

(١٥٢) الترجمة السبعينية للعهد القديم قام بها سبعون يهودياً حوال سنة ٢٧٠ ق.م ، حيث ترجموا العهد القديم من العبرية الى اليونانية ، انظر : السيد الباز العرينى مصر البيزنطية ، ص ٢١ ، الحاشية .

جوستنيان « للعهد القديم » باللغة اللاتينية ، وذلك لوجود اشارات بهذه الترجمة عن المسيح ، كما سمح لهم أيضا باستخدام ترجمة اكويلا Aquila (١٥٣) ، بالرغم من أن الترجمة الأخيرة لا ترقى الى مستوى الترجمة السبعينية [ وفقا لما جاء فى ( نوفلا ) رقم ١٤٦ لسنة ٥٥٣م الخاصة باليهود ] . وحذر كبار رجال الدين اليهود من مخالفة تشريعاته ، حيث جعل العقوبة للمخالفين الضرب المبرح (١٥٤) ، كما حرم على اليهود الاحتفال بعيد فصيحهم قبل المسيحيين ، وكذلك حرم عليهم تقديم الذبائح فى الأعياد (١٥٥) .

وهكذا تدخل جوستنيان فى أمور عقيدة اليهود ، بالقدر الذى يتمشى مع سياسته الدينية التى لا ترضى الا بالمسيحية وفقا لعقيدة « الثالوث الأقدس » على المذهب الخلقيدونى ، لكل الذين يعيشون فى كل أنحاء أراضى الامبراطورية الرومانية .

والواقع أن جوستنيان كان أول امبراطور روماني شغل نفسه بالدراسات اللاهوتية عن اطلاق ومعرفة . وظهر هذا عندما حاول ممارسة عمليات التقريب بين المونوفيزيتيين واتباع المذهب الخلقيدونى حيث لغت أنظار المجتمعين عندها شسارك فى المناقشات التى دارت وازداد اهتمام جوستنيان بالمسائل اللاهوتية كلما تقدم به السن اذ انهمك فى دراساته الدينية حتى ساعات متأخرة من الليل (١٥٦) .

لذلك عكف على دراسة أراء أوريجين (١٥٧) التى انتشرت فى بعض

---

(١٥٣) اكويلا عالم يهودى ترجم العهد القديم الى اللغة اليونانية فى القرن الثانى للميلاد : انظر :

A. Fricot, Aquila, in Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclesiastique, Tom I Troisième, (Paris, 1924). 1108-1110; Labriolle, Op. Cit., p. 446.

Nov. 146, pp. 313-316.

(١٥٤)

Procopius, The Secret History, p. 182.

(١٥٥)

Procopius, History of the Wars, 7, p. 432; Homles, Op. Cit., p. 702.

(١٥٦)

(١٥٧) أوريجين ( ١٨٥ - ٢٥٤ م ) من أهالى الاسكندرية كان عالما فى الفلسفة .

ومتبحرا فى الدراسات اللاهوتية حيث اطلع على الأناجيل القانونية ، وبعض الأناجيل غير القانونية ( مثل انجيل بطرس ، انجيل العبرانيين ، انجيل توما ، انجيل المصريين ) وهو يؤمن بوحداية الخالق ، وأن المسيح خلقه الله كسائر البشر . انظر :

د . السيد الباز العرينى ، مصر البيزنطية ، ص ٢٠ - ٢١ ، يؤانس ( أسقف الغربية ) عصر الرسل ، ص ٣٠٠ ، د . رافت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة الجزء الثانى ، ص ٣١ - ٣٩ .

الأديرة في القرن السادس في فلسطين (١٥٨) . وما أن اقتنع جوستنيان أن آراء أوريجين تتعارض مع المسيحية (١٥٩) حتى أصدر مرسومًا سنة ٥٤٣م أدان فيه آراء أوريجين ووقع على هذا المرسوم ميناس بطريرك العاصمة وفيجيليوس Vigilius بابا روما وبعض البطارقة بما فيهم بطريرك أورشليم (١٦٠) .

على أن جوستنيان ، قام بعرض أفكار أوريجين وأتباعه ، فليخصها في أنهم يؤمنون بأن الأرواح تنقسم الى ثلاث درجات : الدرجة الأولى التي تعيش بين الشمس والقمر ، والنجوم ، والثانية تدخل أجساد البشر والثالثة وهي التي اندمجت مع الشياطين وأن المسيح لا يختلف عن سائر البشر . وأن الجسد مجرد قبر ، وقد تظل به الروح حبيسة . وأن الأرواح وكذلك الشياطين ستمت بثلاث مراحل من العقاب ، بعدها تصل الى حالتها السابقة من القداسة والطهارة ، كما كانت من قبل ، متألقة في حب الله (١٦١) .

ولم تكن مسألة أوريجين المشكلة الدينية الوحيدة التي أدلى جوستنيان بدلوها فيها موضعًا خروجها على الإيمان المسيحي ، إذ تمخضت أفكاره عن الاصرار على التصديق لما عرف باسم « الفصول الثلاثة » (١٦٢) . محاولاً تخلص مجمع خلقيدونية من كل شائبة حتى تخطى قرارات ذلك المجمع بموافقة المناصرة عليها وهم الذين كانوا مصرين على رفض الاعتراف

---

Duchesne, Op. Cit., P. 166; Labriolle, Op. Cit., pp. 459-460 (١٥٨)

(١٥٩) كان بعض الرهبان في أورشليم قد تقدموا بعريضة الى بلاغيوس Polagius باعتباره مندوباً عن الإمبراطور سنة ٥٤٢م أثناء وجوده في غزة ، ضد جماعة من النسطيين الذين يدعون الناس الى اعتناق تعاليم أوريجين ، انظر :

Holmes, Op. Cit., p. 677.

Evagrius, Op. Cit., p. 419; Liberatus, Op. Cit., Col. 1049; (١٦٠)

Pargoire, Op. Cit., p. 36.

Holmes, Op. Cit., p. 704. (١٦١)

(١٦٢) الفصول الثلاثة يقصد بها المرسوم [ غير موجود ] الذي تكون من ثلاثة فصول

أشارت الى كل من ثيودور ، وثيودوريت ، وإيباس ، وهم : ثيودور النسطي

( ٣٩٢ - ٤٢٨ م ) (Theodore of Mopsuestia) أسقف المصيصة والذي يعتبر

الأب الروحي للنسطورية - وثيودوريت أسقف أنقرة Theodore of Cyrus

( ٤٣٣ - ٤٥٨ م ) ، والذي كان قد قام بتفنيد الحروب الاثني عشر لكيرلس ، وكان يدين

بمنهج نسطور ويعتقد بطبيعتين منفصلتين في المسيح . وإيباس أسقف الرها

Ibas of Edessa ( ٤٣٠ - ٤٥٧ م ) والذي كتب رسائل هاجم فيها كيرلس ،

انظر :

Evagrius, Op. Cit., pp. 337-338; Harnack, Op. Cit., pp. 245-246;

Labriolle, Op. Cit., pp. 460-462.

للخلافاث المذهبية (١٦٣) • لذلك أصدر جوستينيان مرسوما سنة ٥٤٣ م  
تفصّل اداة شخص وكتابات ثيودور المصيصى ، وكذلك بعض كتابات  
ثيودوريت التى تتعارض مع كيرلس ، كما اذان خطابا أرسله اياس الى  
ماريس Maris أسقف أرداشير Ardaschir كان قد هاجم فيه  
كيرلس (١٦٤) •

غير أن المناقزة كرهوا مبادرة الامبراطور اللاهوتية ، لأنه لعن وأدان  
اساقفة ماتوا منذ أمد بعيد بالرغم من معارضتهم لهؤلاء العلماء  
الثلاثة (١٦٥) • كما عارض رجال الدين بالغرب مرسوم الامبراطور لأنه  
اعتدى على نفوذهم وفرض ارادته بالقوة على الكنيسة (١٦٦) •

وبالرغم من المعارضة التى لمسها الامبراطور جوستينيان من كلا  
الفرقتين فإنه أصر على رأيه ، ورأى ضرورة الحصول على قرار بابوى  
للتصديق على مرسومه • ومن أجل ذلك استدعى البابا فيجيليوس  
Vigilius الى القسطنطينية حيث وصلها فى الخامس من يناير ٥٤٧ م ،  
وظل بها حتى العشرين من فبراير ٥٥٤ م • غير أنه نظرا لتردد وتخوف  
البابا من الموافقة على آراء الامبراطور بشأن اداة الفصول الثلاثة ، لذلك  
اقترح على الامبراطور عقد مجمع مسكونى فى جزيرة صقلية أو فى  
ايطاليا ، ويبدو أن البابا قصد من ذلك الحصول على غالبية تؤيد رأيه ،  
الا أن جوستينيان تمسك برأيه على أن يكون المجمع فى القسطنطينية دون  
غيرها ، مما أدى فى النهاية الى تدهور العلاقات بين البابا  
والامبراطور (١٦٧) •

على أية حال نجح جوستينيان فى تنفيذ ارادته ، وعقد مجمعا كنسيا  
بالقسطنطينية ، حضره مائة وخمسة وستون أسقفا ، مع امتناع فيجيليوس  
عن الحضور بالرغم من أنه كان على مقربة من مكان انعقاد المجمع (١٦٨) •  
وامتدت جلسات المجمع الثمانية فى الفترة ما بين الخامس من مايو حتى  
الثانى من يونية سنة ٥٥٣ م • وحضر جوستينيان الجلسة الأخيرة وكان

Hornach, Op. Cit., p. 247; Ure, Op. Cit., pp. 129-130; (١٦٣)

Tixeront, Op. Cit., p. 130.

Evagrius, Op. Cit., p. 420; Liberatus, Op. Cit., Col. 1051- (١٦٤)

1052; Labriolle, Op. Cit., p. 461; Stein, Op. Cit., p. 632.

Duchesne, Op. Cit., pp. 395-396; Holmes, Op. Cit., p. 697. (١٦٥)

Hornack, Op. Cit., pp. 247-248. (١٦٦)

Labriolle, Op. Cit., pp. 469-472; Duchesne, Op. Cit., pp. 179- (١٦٧)

176;

Holmes, Op. Cit., p. 681; Stein, Op. Cit., pp. 639-641;

Tixeront, Op. Cit., p. 136.

(١٦٨) سعيد بن بطريق ، نفس المصدر ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ •

حريصا على صياغة القرارات بنفسه نظرا لتعمقه في المسائل اللاهوتية (١٦٩) .

على أن المجمع لم يقتصر على اصدار قرارات ضد الفصول الثلاثة فحسب ، وانما أصدر قرارات أخرى بلغ جملتها جميعا أربعة عشر قرارا ، خصص المجمع القرارات الثلاثة الأخيرة ضد ثيودور المصيصى وثيودوريت ، وايباس . وتدرج المجمع فى قراراته فخصص القرارات العشر الأولى بصلب العقيدة ، من أن الأب والابن والروح القدس ، طبيعة واحدة وجوهر واحد ، وخاصية واحدة ومشئنة واحدة وأنهم ثالث متحد فى الجوهر ، والى واحد معبود فى ثلاثة أقاليم . وأن لكلمة الله ميلادين ، الأولى من الأب ولادة أبدية ، وغير مادية قبل كل الدهور ، والثانية من مريم . وأن كلمة الله تجسد وصار بشرا . وأن المسيح أقنوم واحد . وأصر المجمع على القول بأن مريم والدة الله ، وعدم القول بأنها والدة المسيح أو والدة الانسان . وأكد على ضرورة الاعتراف بأن المسيح يجب أن يعترف له بالالهية والبشرية دون ان تذوب كلمة الله فى الطبيعة البشرية لأن كل طبيعة ظلت محتفظة بخصائصها بعد أن تحقق اتحادهما كالأقنوم (١٧٠) الواحد . وحذر المجمع من عبادة المسيح فى طبيعتين منفصلتين . والقرار الخامس نص على ضرورة الاعتراف بمجمع خلقيدونية والقرار الحادى عشر تحدث عن ضرورة لعن أوريجين ، وأريوس ، وأونوميوس Eunomius ومقدونيوس ، ونسطور وكتاباتهم وكذلك أبولينار Apollinaire ونسطور (١٧١) .

على أن جوستينيان قام بحركة انتقامية ضد معارضيه فور الانتهاء من جلسات هذا المجمع ، وكان على رأسهم البابا فيجيليوس الذى نفاه فى إحدى الجزائر ببحر مرمرة ونفى كذلك عددا من المعارضين وسجن البعض الآخر (١٧٢) . بيد أن البابا فيجيليوس سيطر عليه الحنين الى إيطاليا ، ولم يتحمل مرارة السجن والنفى ، لذلك طالب جوستينيان بالافراج عنه ، واعادته الى إيطاليا مقابل اعترافه بقرارات المجمع المسكونى الخامس . غير أن جوستينيان لم يوافق الا بعد أن مرغ أنف البابا فى التراب ،

(١٦٩) Labriolle Op. Cit., pp. 472-475; Harnack, Op. Cit., pp. 248-9.

(١٧٠) المفرد أقنوم ، أو قنوم ، وهى سرىانية الأصل ثم استخدمت فى

والجمع أقانيم ، انظر :

Corpus Scriptorum Chistianorum Orientalium, Vol. 147, (Louvain, 1954, p. 11).

(١٧١) Hefele, Op. Cit., pp. 107-130 ; Tixeront, Op. cit., pp. 140-142.

Vasiliev, The Byzantine Empire, Vol. I, p. 153;

(١٧٢) ..



وأجبره على إصدار فتوى بابوية أعلن فيها صراحة أنه أخطأ ، وأنه يلعن ويدين الكتاب الثلاثة وذلك في الثالث والعشرين من فبراير ٥٥٤م (١٧٣).

وهكذا يتضح أن جوستينيان قد تسلط على الكنيسة بإصداره التشريعات العديدة المتعلقة بالأمور الإدارية لها ، فضلا عن تدخله في المسائل اللاهوتية بحكم هوايته للدراسات اللاهوتية ، وإن كان لم يكن في مقدرة فرض آرائه اللاهوتية دون الرجوع الى مجمع كنسى حتى تحظى أفكاره الدينية بالقبول على المستوى الكنسى ، وهو ما درج عليه من سبقه من أباطرة بيزنطة منذ انعقاد مجمع نيقية الأول (١٧٤) .

وهذا الأسلوب المتسلط أو هذا النمط من « الدكتاتورية في المجال الدينى » أطلق عليه الباحثون اسم « القيصرية البابوية » *Caesaropapism* (١٧٥) أو « الخلافة المسيحية » ، أو « الملكية المقدسة » ، وإن كانت التسمية الأولى قد حظيت بشهرة أكثر (١٧٦) .

على أن جوستينيان كان يتصرف في مجال التشريعات الدينية عن إيمان عميق بأن هذه هي مسؤوليته بحكم كونه نائبا عن الله في الأرض *Viceregent of God* . وقد أفصح عن ذلك بقوله بأن السلطة الامبراطورية *imperium* والسلطة الكهنوتية *Sacerdotium* هما في الواقع يصدران من مصدر واحد (١٧٧) . وأن هناك فرق طفيف بين السلطتين ، الكهنوتية والامبراطورية (١٧٨) . وطالما أن هناك فرقا

---

*Fleury, Op. Cit., T. VII, pp. 507-508; Diehl, Justinien, pp. 202-203; Labriolle, Op. Cit., pp. 476-477* (١٧٣)

(١٧٤) عبر جوستينيان عن ذلك صراحة في رسالة الى المجمع المسكونى الخامس بالقسطنطينية سنة ٥٥٣م قائلا : « لقد كان دائما من عادة أجدادنا الأباطرة مقاومة ( الهرطقات ) كلما ظهرت ، وذلك بفضل جهود الأساقفة الذين اجتمعوا في المجامع المسكونية ، حتى تظل كنيسة الله المقدسة في سلام عن طريق التبشير بالإيمان الحقيقي » . انظر :

*H. Magoulas, Byzantine Christianity, Emperor, Church and West, (Michigan, 1970), p. 16.*

(١٧٥) تعبير القيصرية البابوية هو مصطلح حديث أطلقه العلماء الغربيين الذين تأثرت وجهات نظرهم بالمحاولات اللاتينية ، والانجلوسكسونية ، والجرمانية والقصود بهذا التعبير أن الامبراطور كان قيصرا وبابا ، انظر :

*Magoulas Op. Cit., p. 115.*

*W. Ensslin, Op. Cit., p. 274.*

Nov. 6, Pré. p. 45.

Nov. 7, C., 2, p. 65, «Neque multum differant alterutroscré- (١٧٦)

dolium et imperium».

طفيفا بين السلطين - من وجهة نظر جوستينيان - فلا بد أن تخضع الكنيسة للدولة التي يرأسها الامبراطور .

والواقع أن نظرة جوستينيان للكنيسة لم تختلف على الإطلاق عن نظرة الأباطرة الرومان منذ عهد قنسطنطين ، اذ ظلوا يعتبرون أن الكنيسة هي إحدى مؤسسات الدولة ، وأن رعايتها من الأمور الأساسية التي تدخل في صلب مسؤوليات الامبراطور . فلقد عبر قنسطنطين نفسه عن ذلك بقوله ، « لقد عينني الله للاشراف على الشؤون الخارجية للكنيسة » (١٧٩) . وأكد قنسطنطين على رعايته للكنيسة ومسئوليته عنها في إحدى رسائله . إبان الخلاف والمجادلات التي أثارها الوثنيون في شمال أفريقيا حول شرعية الأسرار الدينية التي يقدمها رجال الدين لطائفة دوناتوس الذين كانوا قد سلبوا الكتب المقدسة والآنية المقدسة للسلطات الوثنية عندما اشتدت وطأة الاضطهاد الدقلدياني فكتب قنسطنطين : « ان كل هذه المنازعات والمجادلات ستثير غضب الله لا على الجنس البشري فحسب ، ولكن أيضا علينا شخصيا ، وعلى كل الذين يحكمون وينفذون ارادة الله المقدسة برعاية الأمور الدنيوية . . . . انني لن يهدأ لي بال ، أو أتوقع الخير والسعادة ، من الله العلي القدير والرحيم ، الا اذا شعرت أن كل البشر يعبدون الله العبادة الحقّة » (١٨٠) .

ولماذا نذهب بعيدا ، ألم يظل قنسطنطين يحمل اللقب الوثني « الكاهن الأعظم Pontifex maximus » والذي يعنى أن الامبراطور هو الرئيس الديني الأعلى من الناحية العملية في الدولة ؟ (١٨١) وألم يظل الامبراطور الروماني يحمل نفس اللقب حتى سنة ٣٧٩م ؟ (١٨٢) . كما يبدو أنه من باب التكريم والعرفان بالجميل اتجهت الكنيسة الى المنادة بالامبراطور مارقيان في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م على أنه قس Hiercus . وملك Basileus (١٨٣) . ولعل هذا في نفس الوقت

John Meyendorff, Byzantine Theology, (New York, 1974). (١٧٩)  
p. 82.

Meyendorff, Op. Cit., p. 14. (١٨٠)

وعلى المسألة الدوناتيّة في عهد قنسطنطين ، انظر الفصل الشيق والمتع للاستاذ الدكتور/ رافت عبد الحميد في كتابه الدولة والكنيسة ، الجزء الاول ، الفصل الرابع ص ١٤٣ - ١٦٢ .

Magoulias, Op. Cit., p. 14. (١٨١)

G. Barroclough, The Medieval Papacy, p. 22. (١٨٢)

Ensslin, Op. Cit., p. 275. (١٨٣)

يدل على أن مفهوم الحبر الأكبر أو الكاهن الأعظم الذي كان موجودا قبل الاعتراف بالمسيحية ظل عالقا بالأذهان .

على أية حال يمكن القول ان الكنيسة أظهرت الامبراطور على أنه السند الأقوى والأعلى والذي حررها من الاضطهاد وجعل كلمتها هي العليا على كل الديانات الأخرى .

على أن قانون الاتحاد Henoticon الذي أصدره الامبراطور زينيون . بهدف فرض مذهب واحد على كافة شعب الامبراطورية لم يكتب له النجاح . ولو أنه يمكن اعتباره من الناحية الواقعية اجراء ينم عن ممارسة سلطة « القيصرية البابوية » لأن أهميته تكمن في أن الامبراطور - دون عقد مجمع مسكوني - قام لأول مرة باصدار تشريع يتعلق بالعقيدة لكل شعب الامبراطورية (١٨٤) . وعلى هذا فانه يشكل بداية مبكرة للقيصرية البابوية التي تجلت بشكل واضح وصارخ في عصر جوستينيان .

اذ ان تشريعات جوستينيان اشتملت على مجموعة من القوانين تتعلق بالكنيسة غطت مدى أكبر كل التشريعات التي صدرت قبله . وبعده ، والتي بدأها سنة ٥٢٨م بضرورة انتخاب الأسقف من بين ثلاثة مرشحين لهذا المنصب (١٨٥) . كما أمر جوستينيان أن تكون لقرارات المجامع الكنسية قوة القانون الامبراطوري (١٨٦) . اذ أن من البديهي الا تناقض قرارات المجامع المسكونية التي صدرت قبل عصر جوستينيان مع التزامه بالثالوث الأقدس والايمان الكاثوليكي الذي تصدر به مجموعة ( الكودكس ) Codex (١٨٧) . وأكد البطريرك ميناكس على حق جوستينيان في الهيمنة على الكنيسة عندما أعلن أمام المجتمعين في المجلس الديني بالقسطنطينية سنة ٥٣٦ ، « انه لا يصح أن يحدث شيء بالكنيسة على غير أوامر وارادة الامبراطور » (١٨٨) .

وهكذا يمكن القول أن السلطة الامبراطورية الشوقراطية Imperial Thearacy وصلت الى ذروتها في عصر جوستينيان بعد أن صارت الكنيسة في عصره احدى مؤسسات الدولة ، وتجسدت في شخصه صورة الامبراطور الكاهن ، اذ كان امبراطورا وكاهنا أعلى .

- 
- W. Ullmann, The Growth of Papal Government, p. 15. (١٨٤)  
Codex Just, 1, 3, pp. 81-82; Meyendorff, Op. Cit., p. 83. (١٨٥)  
Nov. 131, C., 1, pp. 240-241; Meyendorff, Op. Cit., p. 83. (١٨٦)  
Cod. Just, I, I, p. 17. (١٨٧)  
Ensslin, Op. Cit., p. 275; Ullmann, A History of Political Thought in the Middle Ages, p. 48. (١٨٨)

والواقع أن جوستنيان له الفضل كل الفضل فى النهوض بالكنيسة، ونشر التعاليم المسيحية بدرجة فاقت كل من سبقه من أباطرة منذ اعتراف قسطنطين بالمسيحية وله الفضل كل الفضل فى اجبار الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة على الانضواء تحت راية الكنيسة الرسمية وله الفضل كل الفضل فى القضاء على الوثنية واجبار معتنقيها على الايمان بالتعاليم المسيحية . كما ان له الفضل كل الفضل فى تنظيم الحياة الديرية والارتقاء بها الى المستوى اللائق .

غير أنه يؤخذ عليه اتباعه أساليباً ارهابية ودموية جعلت فئات عديدة من شعبه تعتنق المسيحية عن رهبة لا عن رغبة ، وهو الأمر الذى لم تناد به أية شريعة سماوية على الاطلاق .

ولا يغيب عن الباحث ان الدافع السياسى لعب دوره الخفى فى كل اتجاهات جوستنيان المتعلقة بالأمور الدينية ، اذ أن وجود امبراطورية بها شعوب متعددة اللغات والقوميات والحضارات لا يمكن لها ان تكون قوية ما لم يجتمع شعبها على مائدة واحدة متمثلة فى عقيدة واحدة بمذهب واحد ، تعمل على خلق عاطفة واحدة تسمو فوق كل الاعتبارات . ومن الناحية الواقعية كانت المسيحية فى عهده هى طوق النجاة ، والدرع الواقى ، والعروة الوثقى ، التى ساعدته على تدعيم أركان امبراطوريته العالمية ، وكنيسته العالمية ، وامبراطوريته الموحدة .



## سياسة جوستينيان تجاه شعوب الحدود الشرقية

الدبلوماسية الرومانية في عصر جوستينيان - جوستينيان وعرب  
الحدود : الغساسنة والمناذرة - جوستينيان والبحر الأحمر : الحبشة -  
واليمن - جوستينيان والبحر الأسود : شبه جزيرة القرم - قبائل شرق  
البحر الأسود جوستينيان وجبهة الدانوب - جوستينيان والآفار .

### جوستينيان والفرس :

الصراع الروماني الفارسي بين النظرية والتطبيق - نضال جوستينيان  
ضد النفوذ الفارسي بالمنطقة القوقازية - الصراع الروماني الفارسي حول  
لازيقا - بليزايوس والفرس - معاهدة السلام الدائم ٥٣٢ م والحركة  
الاستردادية - الدبلوماسية الرومانية بعد توقيع معاهدة السلام الدائم  
- القلق الفارسي لتزايد قوة جوستينيان بالشرق ونجاح الحركة الاستردادية  
بالغرب .

- كسرى وحتمية التصدي عسكريا لطلبوحات جوستينيان .
- معاهدة السلام لسنة ٥٦٢ م .

بالرغم من أن جوستينيان تولى السلطة في وقت كانت فيه البلاد  
معرضة لآخطار اغارات الشعوب المجاورة في الشرق ، ومنافسة الفرس  
للرومان في مناطق النفوذ في الأقاليم القوقازية ، فضلا عن التحكم  
الفارسي في التجارة الدولية ، فإنه انتهج أسلوبا دبلوماسيا تجاه الشعوب  
المجاورة ، استطاع من خلاله حماية القسم الشرقي من الامبراطورية من

السقوط في أيدي تلك الشعوب بل والعمل على تطويع معظمها ، بالقدر الذى يخدم مصالح الامبراطورية .

والواقع أن جوستينيان اتبع أساليب دبلوماسية تقليدية غير أنه قام بتطويرها حتى جعلها أكثر فاعلية عن أساليب أسلافه من أباطرة الرومان الذين كان عليهم جميعا العمل على إقامة علاقات دبلوماسية مع جيرانهم وأن يبذلوا جهودا ، مضيئة ، ولا سيما بعد سقوط القسم الغربى من الامبراطورية في أيدي القبائل الجرمانية (١) .

ففى الوقت الذى رحل فيه قادة جوستينيان لاسترداد الأجزاء الغربية من الامبراطورية ، نجد أنه عمل جاهدا على المحافظة على مناطق النفوذ عبر الحدود ، وبذل قصارى جهده فى ضم شعوب جديدة الى دائرة النفوذ الرومانى متبعا فى ذلك أساليب متعددة . كان أولها تقديم الأموال الى تلك القبائل على شكل اعانات سنوية ، وكان المال هو الوسيلة الأولى والمباشرة فى التأثير على تلك الشعوب ، ذلك لأن العاملين فى الميدان الدبلوماسى الرومانى اعتبروه الحل الأمثل على الدوام (٢) . وفى مقابل هذه الأموال كانت تلك الشعوب تقوم بحماية حدود الامبراطورية ، وأن تمد الامبراطورية بعدد من الجنود (٣) . وامتدت هذه الاعانات السنوية لتشمل قبائل الهون فى شبه جزيرة القرم Crimea والأمراء العرب على الحدود الجنوبية الشرقية ، وحكام الحبشة ، وقبائل الهيسرول Herules ، والأفار Avars ، وشعب ايريا ، والشعب اللزى (٤) .

غير أن الاعانات السنوية لم تكن الوسيلة الوحيدة ، وإنما لازمتها وسائل أخرى ، كانت فى مقدمتها انعام جوستينيان على رؤساء هذه القبائل بالألقاب والرتب والمرتبات الخاصة بكل رتبة ، هذا فضلا عن التاج الذهبى والثياب الحريرية المطرزة بالذهب ، والتي كانت على شاكلة ثياب الامبراطور (٥) .

(١) T. Duornik, Origins of of the Intelligence Services, (New Jersey, 1957) pp. 165-166; Bury, Later Roman Empire, 2, p. 292.

(٢) Diehl, Byzantium, p. 55.

(٣) Malalas, Op. Cit., p. 495; Menandrus, Excerpta de legationibus barbarorum, pp. 286-287; Diehl, Justinien, p. 371.

(٤) Diehl, Byzantium, p. 55.

(٥) Malalas, Op. Cit., 412-413; Agathias, Op. Cit., p. 172;

Theophanes, Op. Cit., 168-169; Diehl, Justinien, Ibid, Byzantium, p. 56.

ويهدف استمرار النفوذ الروماني على تلك الشعوب التابعة ، سمح لهم في معظم الأحوال بالزواج من الرومانيات ، اللاتي كن من بنات الطبقة السناطورية ، بل وحتى من أقارب البيت الامبراطوري ، هذا بالإضافة الى استضافة أبنائهم في القسطنطينية بالقصور بصفة دائمة للعناية بهم وتربيتهم تربية عالية (٦) . ولا شك أن هذا الزواج يعمل على تقوية مشاعر الولاء للامبراطور والتشجيع بالروح الرومانية ، وكذلك يتحقق نفس الهدف من جراء تربية أبناء تلك الشعوب في عاصمة الامبراطورية .

وأكثر جوستينيان من استضافة الوفود من تلك الشعوب ، حتى كانت القسطنطينية تعج بأفواج كالأمواج المتلاطمة من رؤساء كل هذه الشعوب المحيطة بالامبراطورية وبخاصة في المناطق الشرقية للامبراطورية ، ومعهم زوجاتهم وأطفالهم وحاشيتهم وخدمهم حتى بدت المدينة كمعرض لكل أزياء العالم ، ولكل لغات العالم . وأغدق جوستينيان عليهم جميعا الهدايا والمنح ، في الوقت الذي نعموا فيه بكل ترحاب ورقة في العاصمة ولهذا بدت القسطنطينية في حالة بهجة مستمرة لمرو هذه الأفواج التي كانت تمتطي الخيول وتسير معها قوات الفرسان حاملة الأعلام ، وسط ضجيج موسيقى الأبواق (٧) كما كانت تعد الزيارات والجولات لاولئك الزوار داخل العاصمة لمشاهدة الكنائس الرائعة ، والقصور المزودة بكل أسباب الترف ، والأسواق الملوثة بكل الخيرات والتحصينات الدفاعية القوية ، ومستودعات السلاح المرتبة على أحسن وجه . بيد أن هؤلاء الزوار أنفسهم خضعوا للرقابة الدقيقة ، خشية أن يدفعهم فضولهم الى القيام بأى تصرفات طائشة (٨) .

ويهدف التأكيد على تفوق الامبراطورية في المجالين المادى والفكرى ، حرص جوستينيان على مظاهر الأبهة والمهابة ، وذلك بجعل الضيوف والزوار من الشعوب المتبربرة يشعرون بالانبهار عند دخول غرف القصر الامبراطورى المطلية بالذهب . وعندما يشاهدون الأزياء الرسمية الغالية التي يرتديها العاملون بالقصر . وكذلك المجوهرات النفيسة والسجاد الفخم ، وقواعد التشريفات التي لابد من مراعاتها في غرفة الامبراطور

Procopius ; De Bello Gothico, IV, P. 498; Agathias ; Op. Cit., p. 170; Theophanes, Op. Cit., p. 240; Diehl, Justinien p. 383; Ibid, Byzantium, p. 58.

Agathias, Op. Cit., p. 172; Diehl, Justinien, p. 374. (٧)

Diehl, Byzantium, p. 58. (٨)



بالقصر ، حيث كانت هناك عبارات وحركات كان القصد منها التأكيد على  
البون الشاسع الذى كان قائما بين السلطة الامبراطورية والشعب الخاضع  
للامبراطور الذى كاد أن يؤلهه (٩) .

وأما عن الشعوب التى لاثق فيها الدبلوماسية الرومانية فى عصر  
جوستينيان ، فاتبعت معها أسلوب الوقعية والدس والشقاق وذلك بإثارة  
شعب ضد الآخر ، واشعال نيران أخيرة والحسد والضغينة والصراعات  
فيما بينها ، اذ لم يكن هناك أسهل من جرح كبرياء الشعوب المتبربرة  
وإثارة حنقهم الشديد (١٠) . والواقع أن هذا الأسلوب الأخير والقائم  
على مبدأ « فرق تسد » ورثته بيزنطة عن روما القديمة .

على أن ما تقدم لم يكن كل شيء فى جعبة الدبلوماسية الرومانية  
فى عصر جوستينيان ، التى كانت فى واقع الأمر كلها أساليب ورثتها  
روما الجديدة عن روما القديمة ، وإنما أضافت الدبلوماسية الرومانية  
عاملا جديدا لم يكن موجودا فى روما القديمة ، ألا وهو التبشير بالمسيحية ،  
والذى كان له أثر خطير حقق الكثير لبيزنطة المسيحية ، عن طريق التفاعل  
السلبى الهادئ ، والمنظم بين الشعوب المتبربرة جميعها . فرجل الدين  
المسيحى كان يقوم بدور كبير فى تمهيد الطريق لرجل السياسة ، حيث  
كان يذهب قبله الى البلاد المجاورة ويدعو للمسيحية . على أن الداعية  
المسيحى ، كان يسعى على الدوام الى كسب النساء أولا الى صفة ،  
واللاتى كن أسرع وأكثر تأثرا بفكرة الايمان العقلانى بالقدرة الالهية  
وفقا لمبادئ المسيحية (١١) .

وإذا كان رجل الدين المسيحى يقوم بالدعوة الدينية العلنية  
بما يعود على الامبراطورية بالنفع فى أكثر من مجال ، فقد مارس التاجر  
الرومانى المسيحى ، الذى يجوب البلاد المجاورة دورا خفيا لصالح الجهاز

Ibid, p. 57.

(٩)

كانت تحية جوستينيان تتم بإبطاح الذى يقدم التحية أرضا أمام الامبراطور ويمد  
يديه وقدميه ثم يقبل أحد قدمى الامبراطور ، وهى عادة لم تكن موجودة من قبل بين أباطرة  
الرومان إذ كان من المعتاد ثنى الركبة اليمنى ولامستها للأرض . كما أصر جوستينيان على  
استعمال لفظ « السيد » عند مخاطبته ، بينما اكتفى من سبقه من الأباطرة ، بلفظ  
امبراطور فحسب ، انظر :

Procopius, The Secret History, p. 192.

Agathias, Op. Cit., p. 306, 332-333; Bury, Op. Cit., p. 292; (١٠)

Diehl, Justinien, pp. 374-375; Ibid, Byzantium pp. 58-59.

Bury, Op. Cit., p. 292; Diehl, Justinien, p. 376; Ibid, Byzantium, pp. 58-59. (١١)

الدبلوماسية في الدولة ، اذ كان يقوم بدور رجل المخابرات في عصرنا  
الحاضر ، ويزود الدولة بكل المعلومات الضرورية (١٢) .

تلك كانت المبادئ الأساسية للدبلوماسية الرومانية في عصر  
جوستينيان ، والتي كانت تمارس على أوسع نطاق ، وبالقدر الذي لم يبذله  
امبراطور روماني من أسلافه .

على أن أكثر الشعوب المجاورة تحضرا كانت القبائل العربية  
المجاورة للحدود الفارسية والرومانية ، وذلك بحكم الاحتكاك الحضاري  
مع كل من الفرس والرومان ، حتى أنهم في عصر جوستينيان كانوا قد  
شكلوا قوة راسخة وثابتة ، ولها ميولها المعروفة والواضحة تكل من  
القوتين العظميين في ذلك الحين . فهناك عرب الحيرة المواليين للفرس ،  
وعرب الفساسنة المواليين للرومان .

ونظرا لقوة القبائل العربية الواقعة بشمال شبه الجزيرة العربية ،  
حاول الفرس والرومان كسبهم لصالحهم في صراعهم التقليدي والدائم .  
غير أن الفرس ، وبخاصة منذ بداية عهد الساسانيين ، سبقوا الرومان  
في هذا المجال ، عندما أقاموا إمارة الحيرة (١٣) في النصف الأول من  
القرن الثالث للميلاد (١٤) .

ولاقامة توازن مع إمارة الحيرة الموالية للفرس ، نجح الرومان في  
كسب عرب الضبجاعة (١٥) الى منهم في أواخر القرن الرابع

---

Bury, Op. Cit., p. 292; Diehl, Justinian, p. 375; Ibié, Byzantium, (١٢)  
p. ٤٩.

(١٣) تنسب إمارة الحيرة الى مدينة الحيرة التي ظهرت على صفحة التاريخ حوالى سنة  
٢٠٠ م ، عندما شيدها العرب على نهر الفرات حيث كان صالحا للملاحة حتى مدينة الحيرة .  
وكانت سفن التجارة الصينية والهندية تمر بالقرب من منازل هذه المدينة ، الأمر الذي  
جعلها في حالة من الرفاهية والثراء ، انظر :

T. Hirth, China and Roman Orient, (London, 1885), p. 149.

(١٤) ترجع تبعية إمارة الحيرة للفرس الى عهد شابور الأول ( ٢٤١ - ٢٧٢ م ) والمعروف  
بذى الأكتاف انظر : سعيد نفيسى ، تاريخ تمدن ايران ساساني ، ( تهران ، ١٣٣١ هـ )  
ص ١٥٤ .

(١٥) ينسب الضبجاعة الى سليلج بن حلوان بن ضجيم ، وهم الذين دحرمهم الفساسنة  
وفرضوا سيادتهم عليهم . انظر :

ابن خلدون : البر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثاني ، ( بيروت ١٩٦٦ ) ص ٥٨٠ ،  
ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ( القاهرة ١٩٦٠ ) ص ٦٤٠ .

للميلاد (١٦) . والواقع أن إقامة الرومان علاقات ودية مع عرب الضجاعة لم يكن الهدف منه مجرد إقامة توازن مع إمارة الحيرة فحسب، وإنما ليأمنوا شر هذه القبائل ذاتها من ناحية ، ولتعمل قبائل الضجاعة على منع لاغارات الخاطفة التي اعتادت عليها قبائل البدو الرحل من ناحية ثانية .

كان لاعتناق عرب الضجاعة للمسيحية أثره الواضح في موالاتهم للرومان وبخاصة حصول كبيرهم على لقب Phylarchus - ( شيخ قبيلة عربي ، أمير عربي ) (١٧) . وهو ما يعنى أنه صار الشخصية العربية الأولى التي لها حق التعامل مع السلطات الرومانية ، أو بمعنى آخر له السيادة على القبائل العربية الأخرى التي تتعامل مع الرومان .

وظهر تعاون عرب الغساسنة (١٨) ، الذين انتقلت إليهم مشيخة العرب المواليين للرومان ، في عهد انستاسيوس (١٩) ، إبان الحرب مع الفرس ( ٥٠٢ - ٥٠٥ م ) (٢٠) .

تلى أن شهرة الغساسنة بدأت في عهد الحارث بن جبلة المعاصر للامبراطور جوستنيان والذي مارس جهودا عسكرية ودبلوماسية ، ودينية طوال عصر جوستنيان ، ومنحه جوستنيان القابا لم يحظ بها شيخ عربي من قبل طوال تعاملهم مع الرومان . ( ٢١ )

(١٦) نولدكه ، أمراء فسان ، ترجمة بندلي جوزي ، وقسنطين زريق ، ( بيروت ١٩٣٣ ) ، ص ٦ .  
(١٧) Procopius, Wars, 1, pp. 45-47; J. Kavar, «The Arabs in the peace treaty, of A.D. ٥61», «Arabica, 3 (Leiden, 1956), p. 186.  
ونولدكه ، نفس المرجع ص ٦ ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(١٨) الغساسنة هم فرع من أزد اليمن نزحوا الى بلاد الشام تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزيقيا وعرفوا في التاريخ بـ « آل غسان » وبـ « آل جفنة » وبـ « الغساسنة » انظر السعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثاني بيروت ١٩٦٥م ، ص ٨٣ ، جواد علي ، نفس المرجع ، ص ٣٩٥ ، السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(١٩) نولدكه ، نفس المرجع ، ص ٧ ، جواد علي ، نفس المرجع ، ص ٣٩٥ .  
(٢٠) Joshua, Op. Cit., p. 64.

(٢١) الألقاب التي حصل عليها الحارث بن جبلة ، لقب الصفي Clarissimus ثم المحترم Spectabilis ثم الملك Basilius ثم المتأخر illustris ثم الامجد gloriosissimus ثم الشريف Patricius انظر : I. Kavar, "The Patriciate of Arethas", BZ, ٥2 (1929), pp. 323-329.

نجح جوستننيان في زيادة العداوة والتوتر القائم بين عرب امارة الحيرة وبين الحارث بن جبلة ، وحرصه على القيام بغسارة انتقامية على أراضي الحيرة ، والقلاع الفارسية المجاورة لها ، واستطاع الحارث ضرب المنذر أمير الحيرة ، ( ٥٠٥ - ٥٥٤ م ) ، في عقر داره بعد أن لاذ بالفرار الى جوف الصحراء تاركاً النساء والأطفال ، وكل شيء ، غنيمة للحارث ، الذي تمكن من تدمير أربعة من الحصون الفارسية ، وأسر من بها من الرجال من عرب وفرس ، وذلك في أبريل ٥٢٨ (٢٢) وبذلك يكون الحارث قد كالم الصاع صاعين لافرس وللمنذر ، اذ ان الأخير كان قد أغار في أواخر سنة ٥٢٧ م ، على ثلاثة أقاليم رومانية قريبة من الحدود الفارسية وأحدث بها خراباً شديداً (٢٣) .

على أية حال ، اذا كان الحارث قد دافع عن الأراضي الرومانية بردع المعتدين في عقر دارهم ، فانه في نفس الوقت ، أصبح الشرطي الأمين للضرب على أيدي المتمردين على السلطة في داخل أراضي الامبراطورية نفسها ، اذ استطاع القضاء على ثورة السامريين سنة ٥٢٩ م ، بعد أن عجزت قوات الأمن والجيش في القضاء عليها ، وتمكن من أسر الآلاف منهم وبيعهم في أسواق النخاسة (٢٤) . وبذلك يكون الحارث قد حقق عملين عظيمين لصالح الرومان ، بعد أن صار الشيخ العربي الأعلى المعترف به لدى الرومان ، في فترة وجيزة ولذلك أنعم عليه جوستننيان بلقب ملك حوالى سنة ٥٣٠ م (٣٥) .

كان جوستننيان يشق في اخلاص الحارث ، لذلك طلب منه التعاون مع بليزاريوس للتصدي للفرس حيث دارت معركة الرقة Callinicum وعلى الرغم من أن نتيجة المعركة لم تكن في صالح الرومان ، فان الخسائر كانت فادحة في الجانبين (٢٦) .

والواقع أن خدمات الحارث للرومان لم تقتصر على الجانب العسكري فحسب ، وانما امتدت الى الجانب الدبلوماسي أيضا ، وخاصة بعد أن ذاع صيت الحارث بين العرب ، لذلك أرسله جوستننيان على رأس

Malalas, Op. Cit., pp. 434-435.

Ibid, p. 344.

(٢٢)

(٢٣)

(٢٤) انظر الفصل الرابع ، جوستننيان والسامرة .

Procopius, wars, 1, p. 159; J. Kavar, «Procopius and Arethas (٢٥)  
Again, «Byzantion, 41 (1971), p. 318 V. Christides, «Saracen's Prodosia.  
in Byzantine sources», Byzantion, 40 (1970), p. 6.

Procopius, Wars, 1, p. 171; Malalas, Op. Cit., pp. 462-464; (٢٦)  
I. Kavar, «Procopius and Arethas», BZ, 50 (1957), pp. 362-3.

وفد دبلوماسي لمحاولة اقناع أبرهة حاكم اليمن للانضمام الى جانب الرومان في الصراع الدائر بين بيزنطة الفرس سنة ٥٣٩ م (٢٧) ، هذا اذا ما عرفنا أن الحارث كان مسيحيا وكذلك أبرهة . ولاشك أن مسألة وحدة المشاعر الدينية لها أثرها في قيام تعاطف بين الحكام ، ويؤدي هذا التعاطف الى توثيق العلاقات ، ولاسيما اذا ما اتحدت المصالح الاقتصادية ، ضد الفرس الوثنيين وحلفائهم بالحيرة والذين كانوا وثنيين أيضا .

وعلى ما يبدو ، كان الفرس على علم بجهود الحارث الدبلوماسية لصالح الرومان باليمن ، وذلك لحضور المندوب الفارسي احتفالات بناء سد مأرب ٥٣٩ م . ومن ثم أوعزوا الى حليفهم ملك الحيرة بالدخول في معركة ضد الحارث لتأديبه هذا من ناحية ، ولتسخين الجبهة مع الرومان استعدادا لمعركة قادمة قادها كسرى بنفسه من ناحية ثانية .

وعلى ذلك ما أن عاد الحارث من اليمن حتى أجبره المنذر على الدخول في معركة في نفس العام ( ٥٣٩ م ) ، فقد فيها أحد أبنائه ، وذلك بالرغم من محاولات جوستينيان والحارث تفادي هذه المعركة ، ومعالجة موضوع النزاع بالطرق الدبلوماسية ، والذي كان حول قطعة أرض على الحدود بين الامارتين ، بها مرعى على جانبها طريق ممهد Strata يقع بين تدمر ودمشق (٢٨) .

على أن الحارث بن جبلة تمكن من شن غارة ناجحة ضد الأراضي الفارسية سنة ٥٤١ م ، وذلك لتطهير المناطق القريبة من مدينة نصيبين ، بعد أن تنجز بليزاريوس عن اختلالها بالرغم من محاصرته لها . وهي المحاولة التي استهدفت الضغط على كسرى ، الذي كان في ذلك الحين في لاذيقا ونجح في احتلال أجزاء منها ، بغية إيجاد موضع قدم للفرس على ساحل البحر الأسود يتيح لهم فرصة مهاجمة القسطنطينية ذاتها . وترجع أهمية ما قام به الحارث من نجاح في مهمته ، وعودته سالما ومحافظة على سلامة القوات التي كانت تحت أمرته ، والتي كان بليزاريوس قد زوده بها ، بخلاف القوات العربية التابعة له ، الى أنه أجبر كسرى على العودة بسرعة لحماية بلاده ، بمجرد علمه بما فعله الحارث ، تاركا حامية

I. KaWar, «The patriciate of Arethas» BZ, 52 (1959), p. 331. (٢٧)

Procopius, Wars, 2, pp. 261-263; Kawar, «Procopius and Arethas», BZ, 59 (1957), p. 371; Ibid, The Arabs in the peace treaty of A.D. 561, p. 187. (٢٨)

فارسية في لازيقا (٢٩) . لذلك كافأه جوستينيان بأن منحه في العام التالي لقب شريف Patricius (٣٠) بعد أن دعاه الى العاصمة وقابله وحضر مراسيم الحصول على هذا اللقب (٣١) وبذلك يكون الحارث قد حصل على أعلى الألقاب في طبقات المجتمع الروماني في ذلك الحين .

ولا شك أن الحارث كان قد بلغ مركزا قويا في سنة ٥٤٢ م ، مكنه من أن يطلب من الامبراطور جوستينيان الموافقة على تعيين الأسقف المونوفيزيتي ، ثيودور على مدينة بصرى ، ويعقوب المونوفيزيتي على مدينة الرها ، وهو المطلب الذي لم يجد جوستينيان مفرا من الموافقة عليه (٣٢) . فبالرغم من أن جوستينيان ورجال بلاطه كانوا جميعا متعصبين للمذهب الخلقيدوني ، الا أنه انصاع كارها لطلب الحارث (٣٣) . وعلى ذلك يكون الحارث قد استغل الموقف بذكاء وحصل على موافقة جوستينيان ، وهو يعلم أن الامبراطور في أمس الحاجة اليه في الوقت الذي كانت فيه الجبهة الشرقية مشتعلة وتحت رحمة كسرى .

على أية حال ظل الحارث مخلصا للرومان ، فبالرغم من توقيع الفرس والرومان على هدنة سنة ٥٤٥ م لمدة خمس سنوات ، وتم تجديدها مرتين فان تلك الهدنة لم تشمل اقليم لازيقا أو مناطق الحدود بين عرب الفساسنة وعرب الحيرة (٣٤) . لذلك ظلت الحرب دائمة بين عرب الفساسنة وعرب الحيرة . وإذا كان الحارث قد فقد أحد أبنائه في تلك الحروب سنة ٥٤٥ م، وقدمه المنذر أمير الحيرة ضحية لعزى (٣٥) . فان الحارث استطاع ان

---

(٢٩) Procopius, Wars, 2, pp. 423-429; Ibid, The Secret History p. 51

(٣٠) أقر جوستينيان نظام الطبقات الذي نشأ منذ أيام دقلديانوس حيث قسمها الى اشراف Patrici و ممتازين illustres ومحترمين Specabites وأصفياء Clarissimi وأمجاد gloriosi وانظر :

ديونوت (ول) قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الرابع ، عصر الايمان ، ترجمة محمد يدران ، من ٢٢٧ .

(٣١) John of Ephesus, Lives of the Eastern Saints, P.O. 19, pp. 237-

238; Kawar, The patriciate of Arethas, p. 332.

(٣٢) John of Ephesus, Op. Cit., p. 238; Kawar, Op. Cit., p. 332.

(٣٣) أوضح بروكوبيوس أنه بالرغم من توقيع الفرس والرومان على تجديد الهدنة سنة ٥٥٠ م الا أن مسالتي الاعتداءات المتكررة بين عرب الحيرة ، وعرب الفساسنة ، وكذلك لازيقا ، لم تتمكن الجهود الدبلوماسية للقوتين من التوصل الى حل لهما . انظر :

Procopius, De Bello Gothico, IV, pp. 536-537.

Procopius, Wars, 2, p. 519.

Ibid, p. 519.

يقتل المنذر نفسه في إحدى المعارك سنة ٥٥٤ م ، في معركة قرب قنسرين ،  
وهي التي عرفت في التاريخ العربي « بيوم حليلة » (٣٦) .

الواقع أن مقتل المنذر أمير الحيرة ، كان من الممكن أن يؤدي الى  
اشتعال الموقف بين المناذرة والغساسنة لولا أن سعى جوستينيان الى شراء  
مسألة أبناء المنذر ، وذلك بالتعهد بدفع دية سنوية طوال حياة الامبراطور  
قدرها مائة رطل من الذهب . وظل يسدها ، وان كان قد توقف عن  
السداد ، منذ توقيع معاهدة سلام الخمسين عاما مع الفرس سنة ٥٦٢م (٣٧) .

على أن جوستينيان اضطر في العام التالي على توقيع هذه المعاهدة  
على مواصلة دفع الفدية الى عمرو بن المنذر أمير الحيرة ، بناء على نصيحة  
الحارث بن جبلة ، الذي اضطر ان يذهب خصيصا الى القسطنطينية - ونجح  
في اقناع جوستينيان بضرورة مواصلة دفع الفدية السنوية ، لأن  
عمرو بن المنذر كرر اغارته على الأراضي الرومانية ردا على توقف الامبراطور  
عن دفع الفدية (٣٨) .

تلك كانت محصلة العلاقات الرومانية مع عرب الغساسنة في عصر  
جوستينيان ، وهي بلا شك قامت على تحقيق المصالح الامبراطورية على ضوء  
المتغيرات السياسية ، والصراع الفارسي الروماني ، ولا ريب أن عرب  
الغساسنة الذين اعتنقوا المسيحية كانوا بمثابة درع واق للامبراطورية في  
هذا الجزء من العالم الروماني .

على أن الدبلوماسية الرومانية ، حرصت في نفس الوقت على تجنب  
الدخول في صراع سافر ضد عرب الحيرة نظرا لقوتهم وتحالفهم مع الفرس ،  
والذين كانوا تحت امرة المنذر الثالث ( ٥٥٠ - ٥٥٤ م ) ، الذي دان له  
كل العرب في بلاد ما بين النهرين ، وعلى امتداد نهر الفرات والخليج  
الفارسي حتى جزائر البحرين (٣٩) .

كانت أولى الاتصالات الدبلوماسية بين جوستينيان والمنذر الثالث ،  
سنة ٥٢٣ م عندما ذهب السفير البيزنطي ابراهيم بن أفراسيوس لفك

---

(٣٦) جواد علي ، نفس المرجع ، ص ٤٠٨ ، نولكه ، نفس المرجع ، ص ٢٠ ،

صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٥٨ .

Theophanes, Op. cit., p. 371; Stein, Op. Cit., p. 521. (٣٧)

Theophanes, Op. cit., p. 371; Stein, Op. Cit., p. 521; (٣٨)

KaWar, «The Arabs in the peace Treaty of A.D. 561», Arabic, 3 (1956),  
p. 203.

F. Nau, Les Arabes Chrétiens de Mésopotamie et de Syrie (٣٩)

du VII au VIII Siècle (Paris, 1933), p. 38.

أسر بعض القادة الرومان على أثر اغارة المنذر على أراضي الامبراطورية الرومانية (٤٠) . ومن الملاحظ أن المصادر الرومانية لم تذكر شيئا عن تقديم هدايا أو منح مالية للمنذر ، مقابل فك أسر الأسرى ، بيد أنه من المنطقي - كما جرت العادة لبيزنطة في تعاملها مع الشعوب المجاورة - أن جوستينيان قدم الهدايا والأموال الى المنذر مقابل اقتداء الأسرى .

على أن المنذر ظل طوال حياته « مخلصا للفرس » على حد قول بروكوبيوس (٤١) لذلك عندما جرب معه جوستينيان أسلوبه التقليدي في استمالة الأعداء وتحويلهم الى أتباع عن طريق تقديم الأموال فإن هذه المحاولة أفضتض أمرها ، وسلم المنذر الخطابات التي تدين جوستينيان بمحاولته كسب المنذر الى صف الرومان وتخليه عن التعاون مع الفرس ، وذلك سنة ٥٣٩م (٤٢) وهي الحادثة التي كانت من بين الأسباب التي دفعت كسرى الى نسف معاهدة السلام الدائم (٥٣٢ م) ومحاربة الرومان على الحدود ، وفي المنطقة القوقازية ( لازيقا ) .

وبالرغم من أن معاهدة السلام الدائم لم يرد بها شيء يلزم عرب الحيرة أو عرب الفساسنة بعدم حمل السلاح ، واشعال الحروب ، وكذلك بالرغم من فشل الجهود الدبلوماسية الرومانية في الوصول الى اتفاق على هذا الموضوع إلا أن فترات الهدنة والتي تجددت أكثر من مرة ، إلا أن السياسة الرومانية نجحت في اذكاء نيران العداء بين الفساسنة والحيرة التي وصلت الى حد مقتل المنذر الثالث ، العدو القوي ، والمحارب المحنك ، والواقع ان مقتل المنذر يخدم المصالح الرومانية ، وبغفس القدر والمفهوم للمصالح الرومانية سارعت بيزنطة بدفع فدية سنوية الى أبناء المنذر ، وبذلك أمنت عدم اعتداء عرب الحيرة ، على أراضي الامبراطورية في الفترة ما بين ٥٥٤ م الى ٥٦٢ م ، الى أن تم التوقيع على معاهدة سلام الخمسين عاما والتي نصت على « الا يحمل العرب حلفاء الفرس السلاح ضد الرومان » .

وهكذا يمكن القول ان جوستينيان نجح الى حد كبير في تأمين حدود الامبراطورية المتاخمة لشمال شبه الجزيرة العربية بأقصى ما استطاع ،

---

Zachariah, Op. Cit., p. 193, Michel Le Syrien, Op. Cit., (٤٠)

p. 184; Musil, Palmyrena, p. 28; Vasiliev, Justin, p. 274-280; Lebeau, Histoire 8, pp. 55-58; Vasiliev, « Notes on some Episodes Histoire, 8, pp. 56-58; Vasiliev, « Notes on some Episodes concerning the relation between the Arabs and Byzantine Empire from the Fourth to the Sixth Century », D.O.P. 10 (1956), p. 314.

Procopius, Wars, 1, p. 157. (٤١)

Procopius, Wars, 2, p. 249; Diehl, Justinien, p. 213. (٤٢)



وحافظ على وحدة أراضي الدولة في منطقة من أهم مناطق الامبراطورية وأقربها الى الفرس ، وذلك بفضل ممارسة كل أساليب الدبلوماسية التي درجت عليها الدولة الرومانية . كما حافظ على استمرار سير وتأمين الطرق التجارية التي كانت تربط جنوب شبه الجزيرة العربية بشمالها بفضل وجود امارة الغساسنة القوية وبفضل سياسته تجاه البحر الأحمر التي دار محورها حول تحقيق المصالح التجارية للدولة في كل علاقاته مع دول هذه المنطقة من العالم .

والواقع أن منطقة البحر الأحمر من أكثر المناطق أهمية للتجارة العالمية عامة ، وللرومان خاصة . لذلك حرص الرومان على تأمين هذا الشريان الحيوى مع اللجوء الى استعمال القوة منذ مطلع القرن الأول للميلاد ، عندما كانت اليمن في ذلك الحين تشكل بؤرة الاهتمام والتحدى في نفس الوقت الذي كان فيه العداء مستحكما بين الفرس والرومان (٤٣) . وإذا كان الرومان قد آمنوا مصالحهم التجارية بالقوة في اليمن الا أنهم

(٤٣) يرجع ظهور دور اليمن في التجارة الهندية مع البحر الأحمر الى القرن الخامس قبل الميلاد . وفي عهد الحميريين صارت عدن تحت سيطرتهم واحتكروا التجارة مع الشرق لصالحهم فحسب ، وذلك بمنع السفن الهندية من دخول البحر الأحمر ، ومنع المصريين من الخروج منه ، واستمر هذا الوضع حتى سنة ٣٠ ق.م بيد أن الرومان لم تقبلوا هذا الوضع وأرسلوا حملة بقيادة أليوس جالوس حاكم مصر الرومانية سنة ٢٤ ق.م لاحتلال اليمن غير أن هذه الحملة لم تحقق هدفها ، ثم تلتها حملة بحرية قوامها مائة وعشرون سفينة في عهد الإمبراطور أوغسطس ونجحت في الخروج من البحر الأحمر ، وكبر احتكار اليمن للتجارة . وبذلك يمكن القول أن القرن الأول للميلاد يعتبر بداية لفترة تمتع الامبراطورية الرومانية بتجارة الهند وشاطئ أفريقيا الشرقي . على أن اهتمام الرومان امتد لتشمل طريق القوافل من اليمن الى الشام عبر شبه الجزيرة العربية ، ولاهمية اليمن التجارية أطلق الرومان عليه « السوق الروماني » أو « اليمن السعيد » Arabia Felix على أن الطريق البرى بين اليمن والشام كان أكثر أمنا وغير محفوف بالمخاطر . ويبدو أن عناية الرومان بهذا الطريق جعلتهم يقيمون التحصينات للمحافظة عليه ، والتي اكدت جهود التنقيب عن الآثار وجود بعضها جنوب مدينة بصرى Bostra بحوالى خمسمائة كيلومترا ، انظر :

Hudson, Europe and China, p. 72; Holmes, The Age of Justinian and Theodora, Vol. I, p. 189; Bury, Later Roman Empire, Vol. II, pp. 317-318; Vasiliev, Justin, pp. 361-363 .

وعبد المجيد عابدين ، بين الحبشة بين الحبشة والعرب ، القاهرة ١٩٤٧م ، ص ٥ - ١٠ ، السيد محمد يوسف ، علاقات العرب التجارية ، ص ٧ ، ١٣ جورج حوراني ، العرب والملاحه ، ص ٧٥ ، جواد على ، المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ .

اتبعوا الأسلوب الدبلوماسي منذ بداية القرن الرابع للميلاد ، بعد أن انتقل مركز الثقل من اليمن الى الحبشة (٤٤) .

فمنذ ذلك الحين بدأ التبشير يلعب دوره في هذا المجال ، إذ أن الامبراطور قنسططينوس الثاني ( ٣٣٧ - ٣٦١ م ) لم يرسل سفيره ثيوفيلوس Theophilus الى عيزانا Ezana ملك الحبشة ، لمجرد هدف ديني فحسب ، وإنما لمحاولة طلب المساعدة في التخلص من الاحتكار الفارسي للتجارة البحرية (٤٥) .

على أن عهد انستاسيوس شهد تحركا تبشيريا ودبلوماسيا ، أكثر من ذي قبل حيث أرسل بعثة قامت برسامة الأساقفة ، وبناء الكنائس ، في عدة أماكن بالحبشة واليمن هذا من ناحية (٤٦) ، كما عمل الوفد السياسي الذي أرسله انستاسيوس على تحريض اليمنيين التابعين للحبشة على مهاجمة الحدود الفارسية من ناحية ثانية (٤٧) . والواقع أن الدبلوماسية الرومانية تجاه الحبشة منذ القرن الرابع الميلادي وحتى عصر جوستنيان دار محورها حول المحافظة على المصالح الاقتصادية للامبراطورية الرومانية على ضوء حرمان الفرس للسفن الرومانية من الوصول الى السواحل الغربية للهند وجزيرة سيلان ، وعلى ضوء تحكم الفرس الاقتصادي في تجارة الرومان البرية مع الشرق من ناحية ثانية (٤٨) ، ونجاح الحبشة في القيام بدور الوسيط التجاري في ميدان الملاحة مع

---

(٤٤) تربط بلاد اليمن بالحبشة صلات متينة وقوية منذ أقدم العصور بحكم الموقع الجغرافي وكشفت النقوش عن تبعية اليمن للحبشة في عهد « عيزانا » ملك الحبشة الذي ارتقى العرش في القرن الرابع للميلاد . وأن مملكته قد صارت المركز الرئيسي لتجارة هذا الجزء من العالم ، وأن ميناء « عدول » التجاري صار من أقوى الأسواق التجارية في العالم بعد أن سيطرت الحبشة على مدخل البحر الأحمر ، وعلى كل البلاد التي تقع على ضفتي هذا البحر - انظر : الحيمي الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ٤٦ - ٥٠ .

T. Dvornik, Origins of the Intelligence Services, New Jersey, (٤٥)  
1974, p. 169.

والحيمي الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، ص ٥٠ .

Dvornik, Origins, p. 169. (٤٦)

J. Milne, A History of Egypt Under Roman Rule, London, (٤٧)  
1913, p. 103.

Stein, Op. Cit., p. 102; Vasiliev, Justin, p. 361. (٤٨)

الهند ، ونقلهم السلع التجارية الى ميناء عدول (٤٩) الحبشية التي صارت سوقا عالميا للسلع التجارية الشرقية والافريقية من ناحية ثالثة (٥٠) .

غير أن اليهود باليمن استطاعوا السيطرة على الحكم بها ، عن طريق نجاحهم في تهويد (٥١) « ذونواس » (٥٢) وقومه ، واستطاعوا انتهاج سياسة اقتصادية ودينية لا يمكن للرومان أو الأحباش السكوت عليها ، بأية حال من الأحوال وذلك في الربع الأول من القرن السادس للميلاد .

فبالرغم من وجود حامية حبشية باليمن ، ووجود أكثرية عديدة للمسيحيين بها ، فإن ذانواس تمكن من الوصول للسلطة منتهزا فرصة حلول فصل الشتاء ، وعدم مقدرة ملك الحبشة على ارسال نجادات سريعة للحامية باليمن والتي كان ذو نواس قد أبادها عن بكرة أبيها (٥٣) .

---

(٤٩) ميناء « عدول » Adulis هي التي ذكرها بعض شعراء العرب في الشعر الجاهلي ، وهي ميناء الحبشة التجاري ، وهذا الميناء اندثر ، وما زالت آثارها باقية عند ضواحي ميناء زيلج Zulla بالقرب من خليج أنسيل .  
Lebeau, Histoire, 8, p. 46.

وعبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، ص ١٨ - ١٩ .

(٥٠) Heyd (Histoire du commerce de Levant Vol. I., p. 9;  
Hirth (China and Roman Orient, P. 178; Diehl, Justinien, pp. 390-391;  
Holmes, The Age of Justinian, Vol. I, pp. 186-187.

وجورج فضلو ، العرب والملاحه ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٥١) عن تهود ذي نواس وقومه وتركهم عبادة النار انظر :

الديثورى ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦١ ،  
الأزرقى ، أخبار مكة ، ( مكة ١٣٥٢هـ ) ، ص ٨١ .

(٥٢) ذكرته المصادر الحبشية باسم فتحاس Phinhas وهو من أسماء اليهود .  
وذكرته المصادر السريانية باسم مسروق . وهناك رأى يقول أن مسروق هذه ترجمة لاسم ذي نواس باللغة السريانية وأن ( سرق ) معناها سرح أو مشط الشعر ، لهذا أسماه مسروقا لصيغة مفعول العربية الشمالية . ثم جاء العرب وأخذوا القصة من السريان فترجموا مسروقا بلدى نواس ، وأما المصادر العربية فذكرته باسم زرة بن زيد ابن كعب وشهرته ذي نواس لوجود بعض الشعيرات التي تنوس ( تتذبذب ) على رأسه . وجعله بعضهم يوسف ذو نواس بن زرة بن تبع الحميرى . وبعضهم جعله زرة بن تبان أسعد ثم سعى نفسه يوسف ، انظر :

Moberg, The Book of Himyarites, p. CV.

وانظر الديثورى ، الأخبار الطوال ، ص ٦١ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٢٢ ، ص ١١١ ، وجود علي ، المفضل في تاريخ العرب ، ج ٣ ص ٤٦٩ ، عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ص ٤٤٠ .

Procopius, Wars, 1. p. 182.

(٥٣)

كما تمكن بالدهاء والخديعة من ذبح المسيحيين الذين كانوا بالكنايس في مدينة ظفار (٥٤) . وغيرها . وعلى ذلك لم يكن أمام الآخرين سوى اليهود أو الموت حرقاً (٥٥) .

غير أن أشد الأمور خطورة على الحبشة والرومان ، كان قطع ذى نواس لشريان التجارة بين الحبشة والرومان عن طريق قتله للتجار المسيحيين الرومان ، واستيلائه على بضائعهم ، ومنعه للقوافل التجارية بين الحبشة والامبراطورية الرومانية والتي كانت تمر بالأراضي اليمنية (٥٦) .

وعلى الرغم من محاولة ملك الحبشة معالجة الموقف الجديد باليمن ، بالطرق الدبلوماسية ، وذلك بإرساله الى ذى نواس رسالة موضحاً بها مدى الأضرار الاقتصادية المترتبة على منعه للقوافل التجارية الرومانية ، « لقد أخطأت التصرف بقتل التجار الرومان المسيحيين . ان هذا التصرف يضر بمملكتي أيضاً » (٥٧) فان ذا نواس لم يعر تلك الرسالة التفاتاً ، وإنما سار وفقاً للخطة التي رسمها لنفسه ، بشأن التعصب المقيت لليهودية ، واضهاد المسيحيين باليمن ، وضربه للمصالح الرومانية والحبشية في الصميم ، وأعلن عن تحديه لنجاشي الحبشة في رسالة عدائية تحمل معاني التهديد والوعيد (٥٨) .

على أن ذا نواس كان جادا في تهديداته ، اذ قام بمذبحة رهيبة في مدينة نجران (٥٩) راح ضحيتها الآلاف الذين ماتوا حرقاً في

---

(٥٤) كانت مارب عاصمة ملوك سبا ، بيد أن الحميريين نقلوا حاضرتهم الى ريدان ( ظفار ) ، حتى يكونوا أقرب الى البحر ، ولا سيما بعد أن أصاب بعض مدن الجنوب التخريب في حملة القائد الروماني اليوس بنالوس سنة ٢٤ ق م . وأصبح ملوك حمير يلقبون أنفسهم ( ملوك سبا وذى ريدان ) بعد أن كان السابقون منهم يلقبون أنفسهم ( ملوك سبا ) فحسب . انظر : عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، ص ٤ .

Moberg, Op. Cit., p. CV. (٥٥)

Michel Le Syrien, Op. Cit., II, p. 183. (٥٦)

Malalas Op. Cit., p. 432; Michel Le Syrien Op Cit, II, p. 184. (٥٧)

Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 184. (٥٨)

ويلاحظ أن المصادر العربية لم تذكر شيئاً عن المراسلات التي دارت بين نجاشي الحبشة وذى نواس .

(٥٩) كانت نجران في ذلك الحين تابعة لليمن ، وتدفع جزية سنوية لها ، وهي مدينة كبيرة على طريق القوافل ، وتبعد عن صنعاء بمسافة عشرة أيام على ظهور الابل ، وعن مكة بمسافة تقطعها الابل في عشرين يوماً ، انظر :  
Lebeau, Histoire, 8, p 54.

الأخايد (٦٠) ، والتي لم يسلم منها كبير المسيحيين بالمدينة وهو الحارث بن كلب البالغ من العمر سنة وتسعين عاما ، وكذلك زوجته رحمة ، وذلك في الرابع والعشرين من أكتوبر ٢٥٣ م (٦١) . وما أن نجح ذو نواس في تأمين موقفه في اليمن حتى بادر ببذل جهود دبلوماسية لصالح اليهود (٦٢) . في امانة الحيرة وفي بلاد الفرس ، وذلك بارساله سفارة الى المنذر الثالث ( ٥٠٥ - ٥٥٤ م ) أمير الحيرة ، وأخرى الى ملك الفرس ، مطالبا صراحة باضطهاد المسيحيين بهما ، ورعاية اليهود ، ففي رسالته الى المنذر : « وأما بخصوص اليهود الذين يعيشون في بلادك ، فأرجوك أن تعاملهم معاملة طيبة ، مع ابلاغى بذلك ، واني على استعداد لأي طلب في المقابل » (٦٣) .

تلك كانت الصورة السياسية والاقتصادية والدينية التي رسمها ذو نواس على خريطة العلاقات الدولية في وقت تحولت فيه العلاقات الفارسية الرومانية من حالة السلام المشوب بالحدر الى حالة الحرب الباردة ، على أثر نجاح الرومان في ضم اقليم لازيقا اليهم سنة ٥٢٢ م ،

(٦٠) الأخايد من حفر مستطيلة ، ومازال الأخدود موجودا حتى اليوم في نجران ويعرفه العرب هناك ، انظر :

Philby, The Background of Islam, p. 119.

Moberg, Op. Cit., pp. CX-CXVII, Zachariad, Op. Cit., pp. 192- (٦١)  
200; Lebeau, Op. Cit., 8, p. 55; Duchesne, Op. Cit., p. 200.

ورد ذكر حادثة نجران « أصحاب الأخدود » في القرآن الكريم ، في الآية الرابعة من سورة البروج . واجتهد المؤرخون المسلمون في تفسيرها ورصدها تاريخيا بما يتطابق مع المصادر السريانية المعاصرة للحادثة انظر : ابن هشام السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١١ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٢ ، البلخي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٦٣٧ .

(٦٢) شكل اليهود جالية هامة في امانة الحيرة ، وكانت لهم قرية قائمة بذاتها على مقربة من مدينة الحيرة ، كما كان يحدث دائما حيث اعتادوا الإقامة بالقرب من كل عاصمة وعلى كل طريق تجارى . وكانت قريتهم تقع بين طيسفون Ctesiphon وعاصمة الفرس والحيرة . وعرفت هذه القرية باسم ميتا ماسيا Metamahsia . انظر :

Nau, Les Arabes Chrétiens, p. 44.

(٦٣)

Zachariah, Op. Cit., p. 197; Carpentier, Martyrium Arethae, (Acta Sanctorum), Octobris, X (Paris, 1869), p. 742; (Stein, Op. Cit., p. 266.

ويلاحظ أنه لم ترد أية معلومات عن رسائل ذي نواس الى المنذر أو الى ملك الفرس في المصادر العربية .

والذى كان تابعا للفرس . والسؤال المطروح الآن ، هل تقبل الحبشة  
أو يرضى الرومان (٦٤) بما فعله ذو نواس ؟

على أية حال ، قاد أرياط الحبشى جيشا بلغ تعدادده ، حوالى سبعين  
ألف مقاتل للقضاء على ذى نواس (٦٥) ، ثم نقلهم على سفن رومانية  
تجارية من موانئ القلزم رايله ، وعتياب ( تيران ) ، وجزائر فرسان ،  
بعد أن تجمعت فى ميناء عدول الحبشية ، هذا بالإضافة الى السفن التى  
استأجرها النجاشى ، والقوارب التى صنعت على وجه السرعة فى الحبشة  
والتي تصنع دون استخدام الحديد ، ويستعاض عنه بنوع خاص من  
الحيال (٦٦) .

وبفضل التعاون الرومانى مع الحبشة استطاع أرياط نقل جيشه  
الى سواحل اليمن حيث دارت معركة فاصلة ، بالرغم من أن ذا نواس  
حاول منع جيش أرياط من الوصول الى أرض اليمن عن طريق التصدى  
للجيش الحبشى ، الا أنه لم يوفق فى خطته ، ودفع حياته ثمنا لخطته ،  
حيث مات قتيلا غريقا ، بعد أن هزم جيشه هزيمة منكرة . وفقا لما جاء  
بالمصادر العربية ، والسريانية وما أيده الكشف العلمى للدكتور /

---

(٦٤) المصادر العربية ذكرت أن دوس ذو ثعلبان - أحد المسيحيين من أهالى نجران -  
قام بدور كبير فى إبلاغ نجاشى الحبشة والرومان ، والعمل على اعداد حملة حبشية على  
سفن رومانية للقضاء على ذى نواس انظر :

الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٦٣٧ ،  
ابن هشام ، التيجان فى ملوك حمير ، ص ٢٩٩ ، البلخى ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ،  
ص ١٨٣ - ١٨٤ .

أما المصادر غير العربية ذكرت أن الرومان علموا بما فعله ذو نواس ابان وجود وفد  
سفارة رومانية فى ديار المنذر أمير الحيرة وتقابلت مع وفد ذى نواس ، انظر :  
Lebeau, Histoire, 8, p. 59, Re naud Relations Politiques et Commer-  
ciales de L'Empire avec l'Asie Oriental, p. 269.

(٦٥) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ،  
ص ٦٣٧ ، ابن هشام ، التيجان فى ملوك حمير ، ص ٢٩٩ ، البلخى ، البدء والتاريخ ،  
ج ٣ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، ابن الأثير ، الكامل  
فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

(٦٦) Re naud, Relations Politiques p. 269; Abel, «L'île de Jotabr»,  
Revue Biblique, 47, (1938), pp. 528-529; Lebeau, Histoire, 8, p. 6-;  
Vasiliev, Justin, p. 367. ; .

أحمد فخرى فى العاشر من مايو ١٩٤٧ م بمدينة مارب والذى يحمل نقشا حبشيا أكد صحة هذه المعلومات (٦٧) .

كان لنجاح حملة أرياط الناجحة ، والتي قضت على ذى نواس باليمن أثرها الكبير فى تقوية الصلات الحبشية الرومانية ، حيث بادر نجاشى الحبشة بإرسال وفد سياسى كبير ضم كبار رجال الدولة الى القسطنطينية لتبادل التهانى ، ولتعزيز العلاقات السياسية والتجارية والدينية ، والعمل على تكثيف نشاط الجماعات التبشيرية فى كل من الحبشة واليمن (٦٨) كما عادت اليمن الى تبعيتها للحبشة وعين النجاشى عليها السميفع أشوع Esimphaeus نائبا عنه - وهو من نصارى اليمن ، على أن يدفع جزية سنوية للحبشة (٦٩) .

وعلى ضوء العلاقات الدبلوماسية القوية بين الرومان وجنوب البحر الأحمر ( الحبشة - واليمن ) بذل جريستينيان جهودا كبيرة بغية تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ضد عاوه فى الشرق ( الفرس ) إبان حروبه الأولى معهم ، حيث أرسل سفيره جوليان Julian الى ملك الحبشة الى السميفع أشوع نائبه فى اليمن . غير أن هذه الجهود لم تحقق ما كان يتمناه جوستينيان . فعلى الرغم من أن الدبلوماسية الرومانية كانت تتوقع نجاح مساعيها عند السميفع أشوع باليمن ، الذى طلبت منه تعيين قيس شيخا على إقليم انجد ، وأن يقوم قيس هذا بأعداد جيش من العرب لمهاجمة الأراضى الفارسية ، فإن هذا المسعى لم يخرج الى حيز التنفيذ ، وذلك

---

Moberg, Op. Cit., p. CXXIV; A. Caquot, L'Inscription (٦٧)  
Ethiopienne de Marib», Annales d'Ethiopie, (Paris, 1965), pp. 223-226.  
وابن هشام ، التيجان فى ملوك حير ، ص ٣٠١ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٦٣٧ ،  
البلخى ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ،  
ص ١٢٥ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ١ ص ٤٣١ ، ابن خلدون ، المعبر ،  
ج ٢ ، ص ١١٤ .

Michel Le Syriens Op. Cit., p. 184. (٦٨)

Procopius, Wars, I, p. 189. (٦٩)

والسميفع أشوع هذا كان من الشخصيات المهمة باليمن ، استغلته السياسة الحبشية والرومانية مقابل المساعدات المادية فى القضاء على ذى نواس . ويوجد حاليا نقشا حيريا محفوظا فى متحف اسطنبول يتضمن العبارة التالية : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبأ » وفى آخر العبارة : « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب » ، ومن هاتين الجملتين دلالة واضحة على أن السميفع أشوع كان حاكما على اليمن ، وأنه كان مسيحيا ، وأنه هو الذى ذكره بروكوبيوس .

انظر : جواد على ، الفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .

لوجود ثأر بين السميعف وقيس هذا من ناحية ، ولصعوبة عبور جيش  
عربي أراضى شاسعة وصحراوية من ناحية ثانية (٧٠) .

على أن الرسائل الدبلوماسية بين جوستننيان ونجاشي الحبشة  
وجهود السفير جوليان في نفس السنة ( ٥٣٠ م ) ، كشفت عن قوة  
العلاقات والمصالح المتبادلة بين الطرفين ، إذ أرسل ملك الحبشة رسالة  
الى قباذ ملك الفرس يعلن فيها صراحة عداؤه للفرس وصدافته الرومان ،  
هذا في الوقت الذي حرض فيه عرب اليمن ضد الفرس ، بناء على طلب  
جوستننيان غير أن جهود الحبشة - بناء على طلب جوستننيان - والخاصة  
بمحاولة شراء الحرير من جزيرة سيلان ثم بيعه للرومان ، لم يكتب لها  
التوفيق لتفوق النظام التجارى الفارسى فى الأسواق بجزيرة سيلان التى  
ترسو بها السفن المحملة بالحرير حيث اعتاد التجار الفرس شراء كل  
حمولات السفن دفعة واحدة (٧١) .

وعلى الرغم من فشل جهود جوستننيان الدبلوماسية لعدم استطاعة  
الحبشة تحقيق الأهداف الاقتصادية المشتركة بخصوص تجارة الحرير ،  
فان ذلك لم يمنعه من ارسال سفارة دبلوماسية ثانية للحبشة برياسة  
السفير نونوسوس ، Nonnosus فر العام التالى ( ٥٣١ م ) ، وذلك  
فى محاولة لاقتناع أصحاب السفن التجارية بعدم دخول الخليج الفارسى ،  
والتوجه مباشرة الى الحبشة . ومرجع هذا الفشل الى التنافس الشديد بين  
التجار الذين كانوا على استعداد تام لشراء كل الحمولات وبأسعار عالية  
من ناحية ، ولرفض أصحاب السفن التجارية لطلب الحبشة من  
ناحية ثانية (٧٢) .

وهكذا أصبح من الواضح أن السياسة الرومانية فشلت فى عهد  
جوستننيان ، فى مقاومة الاحتكار الفارسى للتجارة العالمية سواء فى  
جزيرة سيلان ، أو فى الموانئ الفارسية ذاتها ، وكان على رأس هذه السلع  
التجارية الحرير الصينى .

على أن الدبلوماسية الرومانية واجهت موقفا جديدا فى اليمن ،

---

Procopius, Wars I, p. 193, Bury, Op. Cit., p. 325 ; (٧٠)

I., Kawar, «Byzantium and Kinda», Byzantinische Zeitschrift, 53  
(Munich, 1960), p. 61.

Procopius, Wars, I, p. 193; Malalas, Op Cit., pp. 457-458; (٧١)

Ure, Justinian, p. 67.

Heyd, Op. Cit., p. 6; Holmes, Op. Cit., p. 412. (٧٢)



عندما استولى أبرهة (٧٣) على السلطة بها ، وفى عهده صارت اليمن تابعة للحبشة من الناحية الاسمية فحسب ، بعد أن سلك أبرهة ( ٥٣٥ - ٥٧١ م ) سياسة شبه مستقلة عن الحبشة (٧٤) وذلك بعد فشل الحملات الثلاث التى أرسلها ملك الحبشة للقضاء على حكم أبرهة الأمر الذى جعل ملك الحبشة يقبل بسياسة الأمر الواقع ، وبخاصة أن أبرهة تعهد بدفع جزية سنوية اليه (٧٥) .

وعندما حاولت الدبلوماسية الرومانية الزج بأبرهة فى حلبة الصراع الفارسى الرومانى ، فإن جهودها باءت بالفشل ، بالرغم من الوعود العديدة التى قطعها أبرهة على نفسه للامبراطور جوستينيان (٧٦) وعلى ذلك لم يعد أمام السياسة الرومانية بالنسبة لليمن فى عهد أبرهة ، سوى العمل على استمالاته للمحافظة ، على أمن وسلامة طريق التوابل بين اليمن والشام فى وقت اشتدت فيه الصراعات السياسية والاقتصادية بين الفرس والرومان ، وذلك بعد أن تولت بيزنطة تأمين الجزء الشمالى لطريق القوافل عندما منح جوستينيان أبا كارب لقب المشيخة على عرب فلسطين الثالثة ، والذى استطاع بدوره السيطرة على واحتى تبوك وتيماء (٧٧) .

وعندما جند أبرهة ترميم سد مأرب ٥٤٢/٥٤٣ م سارعت الدولة الرومانية بإرسال وفودها للتهنئة ، كما أرسلت الحارث بن جبلة أمير الغساسنة ، وكذلك أبو كارب شيخ عرب فلسطين الثالثة ، وسلك الفرس نفس المسلك ، وكذلك حليفهم المنذر الثالث أمير الحيرة (٧٨) .

---

(٧٣) ذكرت المصادر العربية أن صراعا على السلطة حدث بين أرياط ، قائد الجيش الحبشى باليمن ، وأبرهة أحد رجاله ، وأن الأخير تمكن من الاستيلاء على السلطة بعد مبارزة بينهما نتج عنها مقتل أرياط ، واصابة أبرهة ، ولهذا سعى بأبرهة الأشرم ، انظر : المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، الكيعقوبى ، تاريخ البعقوبى ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٨٢ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٣٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

Philby, The Background of Islam, p. 122 (٧٤)

Procopius, Wars, I, pp. 191-193. (٧٥)

Ibid, p. 193. (٧٦)

Kawar, The Arabs in the Peace treaty of A.D. 561 p. 182. (٧٧)

Philby, The Background of Islam, pp. 121-122. (٧٨)

وليس يخاف أن حضور هذه الوفود باليمن ، لم يكن مجرد التهنئة  
فحسب ، حيث تحملوا مشقة السفر ، وقطع الصحارى ، الى أن وصلوا  
الى هذا الجزء من العالم ، وانما يبدو واضحا أن الغرض الحقيقي من  
حضورهم هو الاقتناع بمكانة وأهمية أبرهة نظرا لتحكمه فى هذه المنطقة  
الخطيرة من العالم فى وقت كان العالم فيه منقسما الى معسكرين معسكر  
شرقى ( الفرس ) وآخر غربى ( الرومان ) .

على أية حال ، اذا كان جوستينيان قد نجح نسبيا بفضل الجهود  
الدبلوماسية فى المحافظة على المصالح التجارية للامبراطورية فى البحر  
الأحمر ، بإقامة علاقات طيبة مع شعوبه التى آمنت المسيحية فانه اتبع  
أسلوبا دبلوماسيا وعسكريا فى البحر الأسود مكنه من تحويله الى بحيرة  
بيزنطية فى عهده بكل ما فى الكلمة من معنى ، بفضل نضاله المستميت ،  
ضد الفرس فى لاذيقا ، والذين فشلوا فى إيجاد موطئ قدم لهم على ساحل  
هذا البحر هذا من ناحية ، وبفضل جهوده الدبلوماسية والعسكرية التى  
مكنته من تحويل شبه جزيرة القرم كلها الى أراضى بيزنطية نظرا لأهميتها  
الاستراتيجية .

حققت دبلوماسية جوستينيان نجاحا جعل شبه جزيرة القرم كلها  
منطقة تابعة للنفوذ الرومانى فى عهده ، بعد أن كان قاصرا على مدينتى  
خرسون Cherson ( حاليا سفاستبول ) التى تقع فى أقصى جنوب غرب  
شبه جزيرة القرم ، وكذلك مدينة بوسبورس Bosphorus ( حاليا كرش ) ،  
والتي تقع على مضيق كرش الذى يربط بحر آزوف بالبحر الأسود (٧٩) .

ويرجع حرص الرومان على تبعية شبه جزيرة القرم لهم الى أهميتها  
التجارية ، حيث كانت مدينة خرسون بصفة خاصة سوقا عالميا للتجارة ،  
ومركزا لتجارة الفراء مع أواسط آسيا ، حيث توجد بها السلع التى  
تصدرها الامبراطورية الرومانية من توابل ، وحلى وملابس ، وكذلك مدينة  
بوسبورس التى تليها فى الأهمية فى تجارة البحر الأحمر مع البحر  
المتوسط (٨٠) .

على أن اهتمام الرومان بمدينة خرسون كان قد زاد فى عهد الامبراطور

Diehl, Justinien, p. 378.

(٧٩)

Heyd, Op Cit., p. 11; Diehl, Op. Cit., pp. 378-379.

(٨٠)

ولويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد  
عيسى ، ( القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ١٦ .

زنيون ، حيث عملت الدولة على زيادة العمران بها (٨١) . وذلك بعد أن انقطعت العلاقات بين الامبراطورية ومدينة بوسبورس على اثر غارات الهون عليها ، غير أن شعب هذه المنطقة طلب الحماية الرومانية ، والعودة الى أحضان الامبراطورية في عهد جوستين (٨٢) .

ولما كانت المعمودية من الناحية الواقعية ، مرادفة للاعتراف بالسيادة العليا للامبراطور جوستينيان ، لذلك نجحت الدبلوماسية الرومانية في اقناع جرود Gird ملك قبائل الهون الذين كانوا يعيشون في شبه جزيرة القرم بين مدينتي بوسبورس وخرسون ، بالذهاب الى القسطنطينية سنة ٥٢٨ هـ ، حيث تم تعميده هناك ، وعاد محملا بالهدايا ، بعد أن تعهد بالدفاع عن المصالح الرومانية في شبه جزيرة القرم (٨٣) . بيد أن جهود جوستينيان تجاه جرود أصيبت بنكسة عندما قام موجيل Mugel شقيق جرود بثورة أطاحت بجرود نفسه وكلفته حياته وحياة الحامية الرومانية هناك ، وإعلان العودة للوثنية ، لذلك كان من واجب جوستينيان - وهو الامبراطور المسيحي - أن يستعمل القوة في إخضاع الهون بشبه الجزيرة ، والانتقام لمقتل الحامية الرومانية ، والمحافظة على المصالح الاقتصادية ، والاستراتيجية بشبه الجزيرة ، وهو ما حدث بالفعل على يد قوات ضخمة تمكنت من السيطرة على الموقف بعد أن أشاعت الرعب والدعر هناك (٨٤) .

ولضمان أمن التجارة في مدينة خرسون ، ووضع فيها جوستينيان حامية قوية للدفاع عنها ومزودة بأسلحة قاذفة Ballistarii (٨٥) ، [ منجنقات ] .

ولكى يضمن استمرار الأمن وعدم توقف دولا ب التجارة في شبه جزيرة القرم ، فإن جوستينيان لم يطلب من أهالي مدينتي بوسبورس وخرسون الضرائب العادية المفروضة على باقي أقاليم الامبراطورية مقابل

(٨١) لويس ، نفس المرجع ، ص ١٦ .

(٨٢) Procopius, Wars, I, pp. 97-99; Cedrenus, Op. Cit., p. 644;

Bury, Op. Cit., p. 311.

(٨٣) Malalas, Op. Cit., p. 431; Theophanes, Op. Cit., p. 269;

Cedrenus, Op. Cit., pp. 644-645 I Bury, Op. Cit., p. 311.

(٨٤) Procopius, Wars, I, p. 281; Malalas, Op. Cit., p. 431;

Theophanes, Op. Cit., pp. 269-270; Michel Le Syrien, p. 182; Diehl,

Justinien, p. 379; Stein, Op. Cit., p. 304, Bury, Op. Cit., p. 311.

(٨٥) Diehl, Justinien p. 379; Bury, Op. Cit., p. 311; Stein, Op. Cit.,

p. 305.

الحماية ، وانما اكتفى بالزامهم بالمساهمة فى الدفاع عن الأسطول التجارى الروماني الذي كان يعمل فى البحر الأسود ، وشاركتهم لازيقا فى ضريبة السفن هذه بعد أن انضمت الى الامبراطورية (٨٦) . هذا فى الوقت الذى عمل فيه جوستينيان على تقوية دفاعات مدينة بوسبورس ( كرش ) ، وإعادة بناء أسوار خرسون وبناء قلعتين جديدتين فى جنوب شبه الجزيرة ، وبخاصة بعد أن علم أن كسرى أعد جيشا لاحتلال هذه المنطقة المهمة (٨٧) .

وإذا كانت سياسة جوستينيان قد حققت مصالح الامبراطورية فى جنوب شبه الجزيرة الشرقى والغربى ، الا أنه قد حرص أيضا على تبعية الجزء الشمالى من شبه الجزيرة للامبراطورية الرومانية ، وذلك بإقامة علاقات ودية مع بقايا القوط الذين كانوا يتركزون حول مدينة دورى Dory على الشاطئ الساحلى ، وبني هناك أسوارا طويلة فى بعض النقاط التى كانت معرضة للغزو ، بعد أن نجح فى استخدام هؤلاء القوط فى الدفاع عن المصالح الرومانية (٨٨) .

وعلى ضوء ممارسة أسلوب « فرق تسد » الذى كان أحد مبادئ الدبلوماسية الرومانية ، فان جوستينيان نجح فى ممارسة هذا الاسلوب فى شبه جزيرة تامان Taman المواجهة لمدينة بوسبورس - وبذلك اكتملت سيطرته على شبه جزيرة القرم كلها . وفى شبه جزيرة تامان - [ المواجهة للجزء الشرقى فى شبه جزيرة القرم والواقعة على مدخل بحر آزوف عند مدينة كرش ] - عاش شعب قوطى عرف باسم تيتراكسيت Tetraxites ، والذين كانوا تحت رحمة قبائل الأوتيجور Utigurs الذين عاشوا شرقهم مباشرة (٨٩) . كان شعب تيتراكسيت قد اعتنق المسيحية ، ونجحت الدبلوماسية الرومانية فى احضار وفد منهم الى القسطنطينية سنة ٥٤٨م ، لاجراء مقابلة سرية مع جوستينيان ، تمخضت عن تكليفهم بممارسة أساليب كفيلة بإثارة القلاقل والفتن والخلافات بين قبائل الهون (٩٠) .

Nov. 163, p. 348; Bury, Op. Cit., p. 311. (٨٦)

Procopius, De Bello Gotthico, IV, p. 480; Ibid, Buildings, pp. 215-217 ; Bury Op. Cit., p. 312; Dvornik, Origins of the Intelligence Services, p. 157. (٨٧)

Procopius, Buildings, p. 217; Bury, Op. Cit., p. 312. (٨٨)

Procopius, De Bello Gotthico, IV, p. 553; Diehl, Justinien, p. 378; Bury Op. Cit., p. 313. (٨٩)

Procopius, De Bello Gotthico, IV, p. 474 ; Diehl, Justinien, p. 379; Bury, Op. Cit., p. 312; Stein, Op. Cit., p. 305. (٩٠)

امتدت العلاقات الدبلوماسية لتشمل القبائل التي تعيش على السواحل الشرقية للبحر الأسود والتي اعتادت على أن يقوم الامبراطور الروماني بتعيين حكامها من بين سكانها وأشهرها شعبي زيخ Zichs ، وهيبان Hypanis ، غير أن الشعبين الآخرين كانت لهما أهمية ضئيلة . أما شمال سلسلة جبال القوقاز مباشرة فقد عاش شعب الأالن Alans الذي كانت تربطه بالامبراطورية الرومانية صداقة تقليدية قبل عصر جوستينيان وكذلك شعب سابير Sabirs الذي يلي شعب الأالن شرقا (٩١) .

على أن أشد الجبهات خطورة والتي أزعجت الامبراطور طوال عصره كانت جبهة الدانوب حيث دأبت القبائل المتبربرة على مهاجمة أراضي الامبراطورية الواقعة جنوب نهر الدانوب ، بل وصلت الى أسوار العاصمة ، وهي قبائل الأنتاي Antae والسلاف Slavs والبلغار Bulgarians الذين تعددت اغاراتهم بغية السلب والنهب والعودة سريعا الى شمال نهر الدانوب (٩٢) . على أن شدة ضراوة هذه الاغارات تكمن خطورتها في تعريض العاصمة ذاتها للسقوط في أيديهم ، وهو الأمر الذي تكرر في الفترة ما بين ٥٤٠ ، ٥٥٠ م .

فبالرغم من هجماتهم المكثفة في الفترة ما بين ٥٢٩ - ٥٣٠ م ، واجتياحهم الأقاليم الواقعة جنوب الدانوب ، فان قادة الجيش تمكنوا من ردعهم في النهاية ، وأجبروهم على عبور نهر الدانوب شمالا . وان كانت الدولة تكبدت الكثير من الخسائر في الأرواح ودفعت آلاف الارطال من الذهب فدية للأسرى في ذلك الحين (٩٣) . على أن جهود الدولة تجسأ هؤلاء المتبربرين حققت الأمن لمدة قاربت العشر سنوات ، اذ لم تحدث اغارات على الأقاليم الواقعة جنوب نهر الدانوب حتى سنة ٥٣٩ م .

غير أن أشد اغارات هذه القبائل خطورة كانت سنة ٥٤٠ م عندما اجتاحوا عدة أقاليم جنوب الدانوب ووصلوا الى السور الطويل للعاصمة بل وشقوا طريقهم عبر هذا السور ناشرين الذعر في كل أنحاء العاصمة ، ثم عودتهم الى شمال الدانوب بعد أن أخذوا معهم عشرات الآلاف من

(٩١) Procopius, Wars, 2, p. 533; Ibid, De Bello Gotthico IV, pp. 433-474; Zachariah, Op. Cit., p. 328; Bury, Op. Cit., II, p. 313.

(٩٢) Diehl, Justinien, p. 218; Zachariah, Les Slaves Byzance et Rome, (Paris, 1926), p. 3.

(٩٣) Procopius, Wars, 7, pp. 263-7; Theophanes Op. Cit., pp. 338-339; Malalas, Op. Cit., p. 437; Bury Op., Cit., II, p. 296.

الأسرى (٩٤) ويبدو أن هذه المحنة هي التي دفعت جوستينيان إلى أن يأخذ على عاتقه إقامة نظام دفاعي من التحصينات القوية حتى لا تتكرر هذه المأساة (٩٥) .

وإذا كان الغزاة قد حققوا مآربهم ، وعادوا من حيث أتوا ، إلا أنه سرعان ما دب النزاع فيما بينهم . وهنا لعب جوستينيان دوره التقليدي في العمل على توسيع شقة الخلاف بين تلك القبائل المتنازعة والمتصارعة . اذ سارع جوستينيان بالاتصال بقبائل الأنتاي Antae وعرض عليهم الإقامة الدائمة على الجانب الشمالي من دلتا نهر الدانوب ، ومنحهم اعانة مالية سنوية مقابل تصديهم للبلغار والسلاف ، وبذلك صارت قبائل الأنتاي حلفاء للامبراطورية (٩٦) .

وبالرغم من بناء جوستينيان لسلسلة التحصينات والقلاع ، فإن السلاف استطاعوا سنة ٥٥٠ م التوغل في أراضي الامبراطورية حتى وصلوا الى السور الطويل مهددين العاصمة - بيد أن الجيش الامبراطوري هزمهم في موقعة ادريانوبل Adrianople وأجبرهم على التراجع تاركين خلفهم ما كانوا قد غنموه (٩٧) .

تلك كانت غزوات السلاف على عصر جوستينيان والتي كانت بهدف السلب والنهب والعودة سريعا ، كمقدمة لاحتلال أراضي الحدود والإقامة بها بصفة دائمة ، وهو الأمر الذي حدث بعد وفاة جوستينيان بعشرين عاما .

على أن أخطر وآخر غزوات لقبائل المتبربرة على أقاليم جنوب الدانوب كانت على يد زابير جان Zabergan رئيس قبائل الكوتريجور Kotrigurs [ احدى قبائل الهون ] ، والذي قاد بنفسه سبعة آلاف فارس واتجه صوب القسطنطينية لاحتلالها سنة ٥٥٨ م ، بعد أن وجه قسما من جيشه لاحتلال خرسون ( سباستيوبول ) الواقعة جنوب غرب شبه جزيرة القرم باستخدام قوارب صغيرة يسع كل قارب أربعة من الرجال فحسب ، وقسما ثالثا من جيشه توجه صوب شبه جزيرة البلقان .

---

Procopius, Wars, 5, p. 293; Diehl, Justinien p. 218, Bury, Op. Cit., II, pp. 297-297; P. Charamis, «On the Slavic settlement in the Peloponnesus», Byzantinische Zeitschrift, 46 (1953), p. 92.

Bury, Op. Cit., p. 297.

(٩٥)

Procopius, Wars, 7, p. 273; Stein, Op. Cit., p. 522;

(٩٦)

Obolensky, The Byzantine Commonwealth, p. 47.

Bury, Op. Cit., p. 298 Stein, Op. Cit., pp. 523-525; Dvornik, (٩٧)

Slaves, p. 4. Obolensky, Op. Cit., p. 45.

غير أن مهارة بليزاريوس العسكرية ... والذي كان الامبراطور قد استدعاه بعد أن صار شيخا هرما - وحكته جعلته يلحق الهزيمة بعدو فباقة عددا وعدة . كما تمكن القائد الروماني جيرمانوس Germanus من القضاء ستمائة مقاتل من رجال زايرجان ، وأغرقهم بقواربهم بعد أن تصدى لهم في معركة بحرية بأسطوله البحري الذي ضم حوالى عشرين سفينة حربية مزودة بالرجال . كما تصدت القوات الرومانية فى شبه جزيرة البلقان للقسم الثالث من جيش زايرجان . وبذلك عادت قواته مدحورة الى ما وراء نهر الدانوب . وان كانوا قد استولوا على غنائم كثيرة ، وأحدثوا موجة شديدة من الذعر فى الأقاليم المجاورة للعاصمة حتى اضطرت فئات الشعب من أغنياء وفقراء الى نقل ما يمتلكون الى الشاطئ الآسيوى ، وكذلك فعلت الكنائس التى خشيت على ما بها من كنوز و ثروات (٩٨) .

واذ كانت شجاعة بليزاريوس ، ومهارته العسكرية قد ساعدت الى حد كبير على تحقيق النصر على الأعداء ، وإبعاد شبح الحصار الذى خيم على عقول سكان العاصمة بما فيهم الامبراطور نفسه فإن الفضل يعود الى جوستينيان فى مسألة القضاء التام على زايرجان وكل قومه بشكل نهائى .

ذلك لأن هذا الامبراطور الداهية أسرع فى مراسلة ساندليك Sandilich ملك قبائل اوتيجور Utigurs [ من قبائل الهون ] والذي كان على خلاف مع زايرجان وقومه . وفى نفس الوقت كان ساندليك حليفا للرومان ويتقاضى الاعانات المالية السنوية من الامبراطورية . وتلخصت رسالة جوستينيان الى ساندليك فى أن زايرجان قد استولى على كميات ضخمة من الذهب من أراضى الامبراطورية ، وأن القوات الرومانية كان فى مقدرتها التصدى لقوم زايرجان واجبارهم على العودة بخفى حنين . غير أن الامبراطور جوستينيان فضل ارسال هذه الكنوز الى ساندليك عن طريق زايرجان ، لمعرفة مقدرة ساندليك على التصدى لزايرجان والحصول على الذهب . وعلى أية حال نجحت خطة جوستينيان الماكرة فى الايقاع بين

(٩٨) Agathias, Op. Cit., pp. 301-303; Malalas, Op. Cit., p. 490; Theophanes, Op. Cit., p. 361; Diehl, Justinien, pp. 220-225; Bury, Op. Cit., pp. 304-307; Dvornik, Les slaves, p. 4; Stein, Op. Cit., p. 536; Manjlovic, «Le Peuple de Constantinople», Byzantion, XI, (Bruxelles, 1963), pp. 625-632; P. Charanis, «On the Slavic Settlement in the Peloponnesus», Byzantinische Zeitschrift, 46 (1953), p. 92.

القبيلتين وأفنى الطرفان بعضهما البعض وبذلك استفادت الامبراطورية من التخلص من خطرهما جميعا (٩٩) .

كانت جهود جوستينيان الدبلوماسية مع الآفار هي آخر جهوده تجاه القبائل المتبربرة شرق وشمال شرق البحر الأسود .

فبالرغم من ظهور الآفار على مسرح التاريخ كعنصر جديد من البرابرة شمال بحر قزوين له طموحاته العريضة فان ساروس Sarus ملك قبائل الألن Alans الحليفة التقليدية للرومان استطاع سنة ٥٥٨ م ، بالاتفاق مع حاكم لازيقا الرومانى ، اقناع كاندش Candich ملك الآفار بالذهاب الى القسطنطينية فى نفس العام ، حيث قابل الامبراطور جوستينيان مع وفد كبير من شعبه ، حيث أنعم جوستينيان على الوفد الآفارى بالعديد من المنح والهدايا ، والمفروشات والملابس والأساور الذهبية . وجرى مفاوضات على تحقيق كل مطالب الآفار المادية مقابل قيام كاندش ملك الآفار بتنفيذ مطالب جوستينيان وبالفعل حارب الآفار قبائل سابيرى Sabirs وقضوا عليهم ، وحاربوا قبائل أوتيجور Utigors وأخضعوا قبائل الأنتاى Antae بناء على أوامر الامبراطور جوستينيان (١٠٠) .

غير أن الآفار قويّت شوكتهم بعد أربع سنوات فحسب (٥٦٢ م) ، وبعد أن انتصروا على القبائل المذكورة ، واعتلى عرش الآفار بايان Baian خلفا للملك كاندش . وأرسل بايان سفارة الى جوستينيان يلزمه بحق الإقامة داخل أى اقليم من أقاليم الامبراطورية ولما كان حاكم لازيقا الرومانى قد نجح فى أن يستشف نية الغدر والخيانة عند الآفار ، إبان مرور الوفد الآفارى عليه للذهاب الى القسطنطينية لذلك بادر بإبلاغ جوستينيان بالموقف . فقابل جوستينيان الدهاء بدهاء أشد ، والمكر بالمكر وتعمد إطالة بقاء الوفد الآفارى بالقسطنطينية وبالح فى اكرام جميع أفراد الوفد وأعطاهم المنح والهدايا واشتروا ما أرادوا من سلاح من القسطنطينية ،

---

Agathias, Op. Cit., p. 330-335; Menander, excerpta de Legationibus Romanorum, p. 34E; Obolensky, Op. Cit., p. 47; Diehl, Byzantium, p. 56; Franzus, Op. Cit., p. 99; Bury, Op. Cit., p. 308; Stein, Op. Cit., p. 549. Malalas, Op. Cit., p. 489; Menander, Op. Cit., p. 344; Bury, (١٠٠) Op. Cit., p. 315; Stein, Op. Cit., pp. 542-543. L. Hautmann, «Les Rapports des Byzantines avec les slaves et les Avars pendant la seconde moitié du VI Siècle» Byzantion, 4 (Paris, 1929), pp. 148-49; Evagrius, Op. Cit., p. 425.



بيد انه أصدر تعليماته السرية الى حاكم لازيقا الرومانى بتجريد هذا الوفد الآفارى من سلاحه وكل ما يحمل أثناء مروره على لازيقا فى طريق عودته الى بلاده (١٠١) . ومنذ هذا التاريخ بدا العداء السافر بين الآفار والامبرطورية الرومانية والذي استمر ما يقرب من ستين عاما بعد وفاة جوستينيان .

تلك كانت سياسة جوستينيان تجاه الشعوب التى درج اليونان ومن بعدهم الرومان على تسميتهم بالشعوب المتبريرة .

على أن سياسة جوستينيان تجاه الفرس كانت ذات طبيعة مغايرة لسياسته تجاه الشعوب الأخرى المتبريرة ، ذلك لأن الفرس كانوا شعبا عريقا له حضارته ونظمه وتقاليده وكل مقومات الشعب المتحضر . وقد نظر الفرس بدورهم الى الرومان بنفس المنظار بيد أن وجود حضارتين مختلفتين ومتجاورتين لشعبتين عريقين لهما حدود مشتركة ومصالح متبادلة فى غالب الأحوال ، ومتعارضة فى بعض الأحيان ، أدى بالضرورة الى قيام منازعات بينهما ، عولجت فى معظم الأحوال بالأساليب الدبلوماسية وفى بعض الظروف باللجوء الى القتال فى حالة تعذر الوصول الى الحلول الدبلوماسية . وفى كل الأحوال تعود العلاقات السلمية بينهما لاعتراف كل منها بحق الآخر ، فى البقاء بتراثه وحضارته (١٠٢) .

غير أن العلاقات الرومانية الفارسية غلب عليها طابع الصراع ، فى عصر جوستينيان حول مناطق النفوذ ، وبخاصة فى المنطقة القوقازية ذات الموقع الاستراتيجى (١٠٣) ، والتجارى المهم لكل من القوتين العظميين من

(١٠١) Agathias, Op. Cit., p. 255; Menander Op. Cit., p. 345;  
Evagrius, Op. Cit., p. 42f; Bury, Op. Cit., p. 317; Stein, Op. Cit., pp. 544-545; Hauptmann, Op. Cit., p. 149.

(١٠٢) Procopius, Buildings, p. 147, Ure, Op. Cit., p. 60.

(١٠٣) المنطقة القوقازية هى الاراضى الواقعة جنوب جبال القوقاز مباشرة . وتمتد من بحر قزوين شرقا الى البحر الأسود غربا ، وبها منحدرات القوقاز ثم وادى كيروس Cyrus فوادى فازيز Phasis وكان يسكنها الالبانيون Albanians ، والايبيريون Iberians والشعب الازى Lazi or Colchians . وهى الافاليم التى تعرف حاليا ، بإقليم آذربيجان Azerbaijan ، وشرق القوقاز Transcaucasia ، وجورجيا Georgia . وشكلت شعوب هذه المنطقة دولا حاجزة فى مواجهة قبائل الهون الممتدة شمال جبال القوقاز حتى بحر آزوف Azov غربا لحماية الفرس والرومان على حد سواء ، هذا من ناحية كما أنها قامت بنفس الدور لحماية الرومان من الفرس والعكس صحيح من ناحية ثانية ، انظر :

Procopius, wars, 2, pp. 284-387; Agathias, Op. Cit., p. 104;  
Stein, Op. Cit., p. 267; Vasiliev, Justin, pp. 258-259;  
Ure, Op. Cit., pp. 63-64.

ناحية ، ومحاولات جوستينيان التخلص من الاحتكار الفارسي للتجارة وطرقها مع الشرق بحكم موقعها الجغرافي من ناحية ثانية .

فحالة الهدوء المشوب بالحذر بين الرومان والفرس منذ عقد معاهدة سلام سنة ٥٠٥ م ، تحولت الى حرب باردة ، تلتها حرب ساخنة ، بسبب نجاح الجهود الدبلوماسية الرومانية المبنية على مناهضة النفوذ الفارسي في المنطقة القوقازية وبخاصة بعد أن تحول عدد كبير من سكان كل من ايريا ولازيقا الى المسيحية بما فيهم ملكي هذين الاقليمين ، وذهاب كل منهما الى القسطنطينية اعلانا للولاء للامبراطور الروماني عامي ٥٢٢ ، ٥٢٣ م (١٠٤) .

على أن الامبراطورية الفارسية لم تقبل السكوت على هذا التحول في المنطقة القوقازية ، وهي التي حرصت منذ سيطرت الأسرة الساسانية على السلطة ، على أن تكون الممرات القوقازية تحت سيطرتها ، وأن تلزم الرومان معها في التعاون بالأموال لحماية هذه الممرات (١٠٥) . لذلك سارع الفرس باتخاذ الاجراءات المضادة انتقاما من الرومان ، ولاسيما بعد أن أعلن الرومان رفضهم دفع الاعانة السنوية التي كان يدفعها أنستاسيوس منذ سنة ٥٠٥ م والتي كان مقدارها خمسمائة رطل من الذهب سنويا (١٠٦) .

وبهدف استعادة الفرس سيطرتهم على اقليمى ايريا ولازقا استعان الفرس بزيلىجيبز Ziligibis ملك الهون البيض وقدم اليه الأموال للتعاون معه ، والذي أعد جيشا مزودا بالسلاح قيل أنه بلغ عشرين ألف مقاتل (١٠٧) .

*Chronicon Paschale*, pp. 713-614; *Malalas*, Op. Cit., p. 413; (١٠٤)  
*Cedrenus*, Op. Cit., pp. 638-639; *Lebeau*, Histoire, 8, pp. 39-42; *Diehl*, Justinien pp. 377-384; *Ibid*, Le Monde Orientale, p. 52; *Holmes*, Op. Cit., p. 311; *Vasiliev*, Justin, p. 269; *Toumdnoff*, «Iberia», Le Museon, 65, (1952), p. 31.

(١٠٥) الواقع أن مشكلة حماية ممر جبال القوقاز . والمعروف حاليا باسم ممر داريال Darial مشكلة قديمة وتعود الى عهد الاسكندر الأكبر الذى أغلق هذا الممر الضيق بالجواز الحديدية ليأمن خطر البرابرة . وظل هذا الممر تحت سيطرة الاغريق فالرومان منذ ذلك الحين . بيد أنه انتقل الى السيادة الفارسية ، مع الزام الرومان بالتعاون بالأموال مقابل تحمل الفرس مسئولية الحماية وحدهم بجيوشهم منذ معاهدة ٣٦٣ م ، على اثر هزيمة جوليان : - انظر

*Procopius*, Wars, I, pp. 79-83; *Holmes* Op. Cit., p. 311.

*Zachariah*, Op. Cit., p. 206; *Holmes*, Op. Cit., p. 311. (١٠٦)

*Malalas*, Op. Cit., pp. 414-415; *Chron. Pasc.* p. 61.5. (١٠٧)

غير أن الدبلوماسية الرومانية نجحت في فض هذا التحالف الخطير ، بل وفى القضاء التام على زيليجيز نفسه ومعظم جيشه ، وذلك باتباع عمل سياسى من شأنه توريث زيليجيز ، واتهامه بالنفاق حيث سارع الرومان بالاتصال به بمجرد علمهم بلفائه مع الفرس ، وأعطوه بدورهم أموالا بغية التعاون معهم . هذا فى الوقت الذى سارعوا فيه بإبلاغ الفرس بموقف زيليجيز ، فما كان من الفرس إلا أن قتلوا زيليجيز ولم ينج من جيشه إلا من استطاع الفرار (١٠٨) .

والواقع أن هذا التصرف السياسى من قبل الرومان كان أحد العناصر الرئيسية للدبلوماسية الرومانية ، حيث أن هذا العنصر قام على ممارسة الدس والشقاق بين الأعداء ، وخلق مشاعر الغيرة والحسد والضغينة وإثارة بعضهم على بعض .

على أية حال نجحت السياسة الرومانية فى القضاء على خطر الهون البيض هذا من ناحية ، وفى تخفيف حدة التوتر بينهم وبين الفرس من ناحية ثانية (١٠٩) . حيث لجأ الفرس على أثر تلك الحادثة الى الأسلوب الدبلوماسى لمحاولة علاج الموقف فى المنطقة القوقازية بل ومحاولة الحصول على موافقة جوستين ، على أن يكون وصيا على كسرى الابن الأصغر لقباز ملك الفرس . غير أن المفاوضات منيت بالفشل لاصرار الوفد الفارسى على عودة لازيقا للسيادة الفارسية ، ولاصرار الوفد الرومانى على أن يكون التبنى أو الوصاية وفقا للأسلوب الذى يتبعه الرومان مع القبائل المتبربرة (١١٠) .

كان فشل المفاوضات الرومانية الفارسية سنة ٥٢٥ م بمثابة لطمة شديدة لقباز وولده كسرى ، لذلك سارع الفرس باحتلال لازيقا بعد احتلالهم لاقليم ايريا ، بعد أن تذرع كسرى بتأديب ملك ايريا لرفضه التمسك بتعاليم الديانة الزرادشتية (١١١) لذلك كان احتلال الفرس

---

Malalas, Op. Cit., p. 415; Chron. Pasc. pp. 615-616; Stein, (١٠٨)  
p. 267; Vasiliev, Justin p. 264.

Chronicon Paschale, p. 616. (١٠٩)

Procopius, Wars, I, pp. 83-85; Zachariah, Op. Cit., p. 206; (١١٠)

Lebeau, Histoire, 8, pp. 31-34; Ure, Op. Cit., p. 63.

و كريستنسن ، ايران فى عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، ص ٣٤١ ،

والثعالبي ، تاريخ غرر السير ، ص ٥٩٤ .

Procopius, Wars, I, p. 93; Lebeau, Histoire 8, pp. 41-42; (١١١)

Holmes, Op. Cit., p. 316; Bury, Later Roman Empire, 2, p. 80; Stein, Op. Cit., p. 270.

لاقليمى لازيقا وابيريا - يعنى قيام الحرب بين القوتين العظيمين ذلك لان وجود قوات فارسية فى لازيقا يعطى الفرس الفرصة للتسلل الى البحر الأسود ، وتهديد الأقاليم الرومانية الواقعة على الساحل الجنوبى لهذا البحر بل وتهديد العاصمة الرومانية نفسها .

لذلك هاجمت القوات الرومانية أراضى أرمينيا الفارسية تحت قيادة سبتاس Sittas وبليزاريوس (١١٢) ، بيد أن السياسة الرومانية لم يكن هدفها احتلال الأراضى التابعة للفرس ، وإنما مجرد اظهار المقدرة على الرد على العدوان بالمثل ذلك لأن القوات الرومانية لم تحتل أرمينيا الفارسية مقابل احتلال الفرس لاقليم لازيقا ، وإنما اكتفت بالاغارة الخاطفة والعودة سريعا بالغنائم والأسرى (١١٣) .

انتقلت الجيوش الرومانية للعمل على الحدود الشرقية المجاورة للفرس وعملت على تقوية الحصون والتحصينات هناك ، ودخلت قوات بليزاريوس فى معارك هجومية غير أنها منيت بالفشل الأمر الذى جعلها تتخذ موقفا دفاعيا فى مدينة داراحتى سنة ٥٢٩ (١١٤) .

---

(١١٢) ولد بليزاريوس سنة ٥٠٥ م ، وهو من أهالى اقليم ايليريا Ildyrieum وعمل فى بداية حياته ضمن الحرس الشخصى لجوستينيان عندما كان قائدا عاما للجيش فى حياة خاله . وأظهر بليزاريوس مهارة فائقة فى استخدام الرمح ابان فترة تبينه حرس جوستينيان . وكان احتفاظ جوستينيان بحرس شخصى تقليديا لما كان متبعا فى حينه ، حيث درجت الشخصيات الكبرى على الاحتفاظ بعدد من الجنود ، بخلاف القوات النظامية للدولة ، واختلف عددهم طبقا لمكانة المسئول عنهم ، وكانوا جميعا من الحياالة الذين يحملون التروس والرماح . ومعظم هذا الحرس لم يكن قاصرا على سيدهم المسئول عنهم فحسب ، وإنما كانوا يقسمون يمين الولاء لسيدهم والامبراطور وجرى العادة الى مجالسة سيدهم لهم عند تناول وجبات الطعام وهم الذين عرفوا باسم الحياالة البوكليريان The mounted Buccellarian [ نسبة الى buccellum . أى الحزن الجاف لأنهم كانوا يخدمون مقابل جراياتهم ] . ويرجع تالى نجم بليزاريوس الى نجاحه فى مهاجمة ارمينيا الفارسية ، بالرغم من أنه كان فى العشرين من عمره ، حيث عاد ومعه آلاف من الأسرى . الأمر الذى جعل جوستينيان يركن اليه كفائد له المقدرة على تنفيذ المهام العسكرية بنجاح ، انظر :

Procopius, The secret History, p. 19, Ibid, Wars, 1, p. 1, p. 101, 3; p. 107, Lindsay, Op. Cit., p. 134; Baker, Justanian, Op. Cit., p. 79.

ونورمان بيتز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٣ .

Procopius, wars, I, I, p. 93, Holmes, Op. Cit., p. 316; Burn. (١١٣) Op. Cit., 80; Stein, Op. Cit., p. 271.

Procopius, Wars, I, pp. 103-107; Malalas, Op. Cit., pp. 441- (١١٤) 442; Zochariah, Op. Cit., pp. 273-274; Michel Le Syrien, Op. Cit. p. 287.

على أن جوستينيان فى ذلك الحين كان يفكر جديا فى تحقيق سياسته الاستردادية للقسم الغربى من الامبراطورية ، لذلك لم يكن راغبا فى مواصلة الحرب مع الفرس سواء فى الجبهة الشرقية المشتركة بين القوتين العظيمين أو فى المنطقة القوقازية . وعلى ذلك بادر بطلب اجراء مفاوضات سلام مع الفرس فى منتصف سنة ٥٢٩ م (١١٥) . وهنا لعبت الجهود الدبلوماسية دورا هاما حيث أظهرت الرسائل المتبادلة بين قباذ وجوستينيان أن نظرة الفرس الى الرومان كانت نظرة الند للند ، وأن هناك عدو مشترك للقوتين العظيمين ، وهم القبائل المتبريرة الذين أنهكوا الخزانة الفارسية ، وأن رفض الرومان التعاون مع الفرس ماديا لصدد تلك القبائل كان السبب الرئيسى فى دخول الحرب ضد الرومان ولإجبارهم على المشاركة المادية فحسب ، ولم يكن هناك تفكير فى ضم أراضى جديدة على حساب الرومان (١١٦) .

وبالرغم من أن رسالة قباذ احتوت على عبارات التهديد والوعيد ، والصلف والتعالى فإن جوستينيان ، قبل الاستمرار فى التفاوض بل أنه هروا تجاه الحل السلمى لانتهاء الصراع مع الفرس لأن قلبه وعقله ، فى ذلك الحين كان معلقا بالغرب ، باعتباره امبراطورا رومانيا بالقلب وبالقالب . لذلك رد على رسالة قباذ برسالة عبر فيها عن تلهفه لاتمام اجراءات السلام ، بعد أن بلغ كبرياءه ، اذ لم يرد فى رسالة جوستينيان

---

Theophanes, Op. Cit., p. 274; Holmes, Op. Cit., p. 396; Stein (١١٤)  
Op. Cit., p. 287.

(١١٦) جاء فى رسالة قباذ ردا على مبادرة جوستينيان للسلام ، « من قباذ ملك الملوك شمس الشروق الى فلافيوس جوستينيان القيصر قمر المغرب ، لقد ثبت لدينا بعد مطالعة ما فى خزانة دولتنا من وثائق ، أننا اخوة ، وأنه اذا احتاج أى منا الى رجال أو مال ، فعلى الطرف الآخر نجده . لقد تعرضنا الى هجمات العدو ، وأجبرنا على الاشتباك معه فى معارك ، وجعلنا البعض الآخر من الأعداء يعترفون بسيادتنا لقاء مبالغ من المال ، ولذلك فإن خزانتنا أصبحت خاوية . أضف الى ذلك أننا أبلغنا الامبراطور أنستاسيوس والامبراطور جوستين بذلك دون جدوى . وقد اضطررنا فيما بعد الى دخول المعركة ضدكم . ولما وصلنا الى مقربة من حدودكم قضينا على بعض من قاومنا ، مع أنهم أبرياء . وذلك نتيجة لعدم محافظتكم على العهد ، فارجعوا أيها النصارى رجالكم وادفعوا لنا بالأموال ، والا فاستعدوا للحرب ، وستهلكم عاما كاملا حتى لا يقال اننا أحرزنا النصر بالخدعة » انظر :

Agathas, Op. Cit., pp. 449-450.

أى شىء عن الحرب الدائرة ، بل أنه أشار فى رسالته أنه اعطى تعليمات للوفد الرومانى بعدم عرقلة مفاوضات السلام مع الفرس (١١٧) .

غير أن مفاوضات السلام توقفت فجأة وكان المسئول عن ذلك الجانب الفارسى الذى تذرع بضرورة عودة منجمين للذهب يقعان على الحدود بين أرمينيا الفارسية وأرمينيا الرومانية ، وكان الامبراطور انستاسيوس ، قد استولى عليها ، بينما يعود هذا التوقف الى جهود السامريين الذين أغروا قباز باحتلال فلسطين على أثر فشل ثورتهم ضد جوستينيان - بعد أن أوضحوا لقباز أن الكنائس فى فلسطين بها كنوز لاتحصى من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأنهم على استعداد للتعاون معه لاحتلال فلسطين بسهولة (١١٨) .

وهكذا نجح السامريون فى عرقلة جهود السلام بين القوتين العظميين ، وفى الانتقام لأنفسهم من الرومان الذين اضطهدهم فى فلسطين سنة ٥٢٩ م .

ولما كان بلزارىوس قد تحصن فى مدينة دارا التى حولها الى قلعة عسكرية قوية ، لذلك كان على الفرس تأمين حدودهم بالدخول فى معركة هجومية ضد بلزارىوس ، غير أن نتيجة هذه المعركة كانت فى صالح الرومان ولم يتمكن الفرس من هزيمة الرومان واقتحام دارا ، بفضل مهارة بلزارىوس العسكرية التى تجلت فى هذه المعركة التى دارت فى الأراضى الرومانية فى شهر يونيو ٥٣٠ م (١١٩) .

وبالرغم من النصر العسكرى الذى حققه جوستينيان على الفرس فإنه

---

(١١٧) من بين ما جاء فى رسالة جوستينيان الى قباز : « ان المندوبين الذين أرسلناهم اليكم أبلغونا عند عودتهم عن حسن نواياكم الأبوية نحونا . ونحمد الله على اتمام هذا العمل بفضلهم ، فالسلام سيفود علينا بالنفع والخير . ومن الواضح أن السلام أمر بالغ الأهمية ، ويستحق أن نشكر الله عليه ، وسيؤدى الى القضاء على أعدائنا جميعا . وسنزود مندوبنا اليكم بكل ما يلزم لوضع اجراءات السلام موضع التنفيذ ، وأملنا أن تحظى بمحبتكم على الدوام » . انظر :

*Malalas, Op. Cit., pp. 454-455.*

*Theophanes, Op. Cit., pp. 274-275; Malalas, pp. 455-456; (١١٨)*

*Lebeau, Histoire, 8, p. 130-131; Bury Op. Cit., p. 82.*

(١١٩) للوقوف على تفاصيل معركة دارايونية ٥٣٠م انظر :

*Procopius, Wars, 1, pp. 105-127; Zachariah, Op. Cit., pp. 224-5;*

*Theophanes, Op. Cit., pp. 277-278; Lebeau, Histoire, 8, pp. 131-137;*

*Holmes, Op. Cit., pp. 396-402; Diehl Justinian, pp. 211-212; Bury, Op.*

*Cit., pp. 83-85; Stein, Op. Cit., pp. 287-289; Ure, Op. Cit., pp. 65-66.*

كان يشوق الى انتهاء حالة الحرب معهم للاسراع فى ارسال قواته الى شمال أفريقيا للقضاء على الوندال . غير أن الفرس كانوا فى غاية الغضب، لذلك احتد قباز فى محادثاته مع السفير الرومانى ، الذى أرسله جوستينيان ووضع عدة شروط منها أن تكون مدينة دارا منطقة منزوعة السلاح ، وضرورة تقديم الرومان المساعدات المالية للفرس لحماية الممرات القوقازية . ويبدو أن قباز قد بيت النية على محاربة الرومان لأنه طرد السفير الرومانى دون التوصل الى اتفاق (١٢٠) .

على أية حال استطاع الفرس مسح عار الهزيمة ، وخاضوا معركة ضد بليزاريوس قرب مدينة الرقة Callinicum فى التاسع عشر من أبريل سنة ٥٣١ م . حيث هزموا بليزاريوس بالرغم من فداحة الخسائر لدى الطرفين (١٢١) .

على أن استئناف مفاوضات السلام بين الفرس والرومان حدث فى وقت كان فيه الفرس يحاصرون مدينة ماريتوروبوليس Martyropolis ( ميافارقين ) ، وبعد وفاة قباز مباشرة وتولية كسرى للعرش الفارسى بناء على وصية والده ، بالرغم من انه كان الابن الثالث لقباز ، وذلك فى الثامن من سبتمبر ٥٣١ م (١٢٢) .

على أية حال استغرقت مفاوضات السلام عاما ، الى أن توصل الطرفان الى وضع شروط معاهدة السلام « الدائم » فى شهر سبتمبر سنة ٥٣٢ م ، والتي أملت فيها الطرف الفارسى شروطه ، التى نصت على أن تكون مدينة دارا الرومانية ، منزوعة السلاح ، وعودة مناجم الذهب فى أرمينيا الرومانية الى السيادة الفارسية ، والتى تقع على حدود أرمينيا الرومانية ، وعودة قلعتى بولون Bolon ، وفارانجيون Pharangion اللتان تقعان على حدود أرمينيا الرومانية الى السيادة الفارسية وأن يدفع الرومان أحد عشر ألف رطل من الذهب سنويا ، مقابل حماية الفرس للممرات القوقازية ، وأن تكون أيبيريا تحت سيطرة الفرس ، مع عودة لازيقا للسيادة الرومانية (١٢٣) .

Procopius, Wars, I, pp. 141-145.

(١٢٠)

Procopius, Wars, I, p. 169; Zachariah, Op. Cit., p. 226;

(١٢١)

Holmes, Op. Cit., pp. 405-407; Stein Op. Cit., pp. 291-292.

Procopius, Wars, I, pp. 195-197; Zachariah, Op. Cit., p. 230;

(١٢٢)

Lebeau, Histoire, 8, pp. 169-170; Stein Op. Cit., p. 294.

Procopius, Buildings, pp. 133-135; Lebeau, Histoire, 8,

(١٢٣)

pp. 176-178; Diehl, Justinien, p. 211; Holmes, Op. Cit., p. 416; Stein, Op. Cit., pp. 294-195.

والواقع أن هذه المعاهدة مست السيادة الرومانية ، إذ إن اشتراط  
الفرس بأن تكون مدينة دارا منزوعة السلاح ، وهو بمثابة انتقاص من  
سيادة الرومان على أراضيهم ، لاسيما وإن هذه المعاهدة لم يرد بها شيء  
عن وجود منطقة منزوعة السلاح على الجانب الفارسي ، كما أن المبلغ الذي  
أصبحت بيزنطة ملزمة بدفعه سنويا كان باهظا ، إذ إنه زاد عن المبلغ الذي  
حدده معاهدة أنستاسيوس مع الفرس بعشرين مرة .

ولاشك أن جوستينيان قبل بكل هذه الشروط ولاسيما الجانب المالي  
لأنه كان متلهفا إلى إرسال حملة لتأديب الوندال هذا من ناحية ، كما أنه  
كان حريصا على عودة لازيكا بموقعها الاستراتيجي المهم في ناحية ثانية ،  
وبعد أن اقتنع بأنه لا قبل له على مواصلة الحرب ضد الفرس وحلفائهم من  
قبائل الهون ، الذين أحدثوا الدمار والخراب ، في الأقاليم الشرفية من  
الامبراطورية ، والقريبة من الحدود الفارسية من ناحية ثالثة .

على أن معاهدة السلام الدائم لم يكتب لها البقاء سوى سبع سنوات  
حقق خلالها جوستينيان العديد من الانجازات السياسية الضخمة في  
الشرق والغرب على حد سواء الأمر الذي جعل كسرى يرى ضرورة المبادرة  
بتوجيه ضربة موجعة لجوستينيان ، بعد أن أشارت كل الدلائل بأن  
الامبراطورية الفارسية ذاتها أصبحت معرضة للخطر إذا ما ظل الفرس  
يرقبون ما يجري على الساحة دون حراك .

فعلى الرغم من توقيع معاهدة السلام الدائم مع الفرس ، وما توقعه  
القادة والجنود الرومان من الحصول على فترات من الراحة من عناء الحرب  
فإن جوستينيان كان قد أخفى في جمبته قرارا بإرسال حملة عسكرية  
لتأديب جليمر Gelimer ( ٥٣٠ - ٥٣٤ م ) ملك الوندال الذي تبادل  
الرسائل العدائية مع الامبراطور ، بعد أن اضاع جليمر هذا جهود  
جوستينيان الدبلوماسية الناجحة مع هلدريك Hilderic ( ٥٢٣ - ٥٣٠ م )  
ملك الوندال الذي سجنه جليمر وسمل عيني اثنين من كبار أعوانه ، على  
أثر اكتشاف جليمر أن هلدريك يسير في طريق التبعية للامبراطورية  
الرومانية بخطوات عملية تمثلت في تبادل الوفود والسفارات والهدايا  
وفي اعتناق هيلدريك للمذهب الكاثوليكي ( ١٢٤ ) .

Procopius, Wars, 3, pp. 85-89; Martroye, L'Occident à l'Epoque Byzantine, (Paris, 1904), pp. 215-226.

كان جوستينيان قد استشاط غضبا عندما قرأ آخر رسالة أرسلها جليمر له حيث  
ورد بها ، « من الأفضل لك أن تتولى شؤون مملكتك دون تدخل في شؤون الآخرين  
باسلوب طفلي ، وإذا ما حاولت انتهاك المعاهدة وتهاجمنا فانتا سوف تصدى لك بكل  
قوانا » ، انظر : Procopius, Wars, 3, p. 91.



على أية حال نجحت حملة بليزاريوس ضد الوندال سنة ٥٣٣ م ،  
وقضى على دولتهم وزالت من صفحة التاريخ . وعاد هذا القائد المقتدر الى  
القسطنطينية ومعه جليمر أسيرا سنة ٥٣٤ م (١٢٥) .

على أن ما يعيننا في هذا الأمر أن كسرى أصابه شيء من الحقد  
والقلق والتخوف على أثر إبلاغه بنجاح جوستينيان في استرداد شمال  
أفريقيا ، لذلك أرسل اليه يبلغه بضرورة ارسال نصيبه في الغنائم  
الضخمة التي حصل عليها جوستينيان من الوندال . اذ اعتبر كسرى نفسه  
شريكا كاملا ، في تحقيق هذا الانتصار لسماحه لجوستينيان بعقد معاهدة  
السلام الدائم التي أتاحت له فرصة تأمين الجبهة الشرقية ونقل الجنود  
لفتح شمال أفريقيا . فما كان من جوستينيان الا الانصياع لطلب كسرى  
وأرسل اليه مبلغا كبيرا من المال على سبيل الهدية لمحاولة كسب رضا  
كسرى (١٢٦) .

ويبدو أن ارسال جوستينيان هذه الأموال ، التي كانت على سبيل  
الهدية كان لتحقيق هدف آخر ، الا وهو مطالبة كسرى باغماض عينيه عن  
نجاح جهود جوستينيان الدبلوماسية في اقليم ايبيريا . وذلك لأنه في نفس  
السنة التي احتفل فيها جوستينيان بالانتصار على الوندال ، ذهب الى  
القسطنطينية زامانازوس Zamanazus ملك ايبيريا ، الذي كان يدين  
بالمسيحية ، وكبار رجال دولته بهدف « إعادة عرى الصداقة والتحالف  
مع الرومان » حيث استقبله جوستينيان وغمره والوفد المرافق له بالهدايا  
والمناح الخاصة (١٢٧) ولاشك أن إعادة التحالف بين ايبيريا وبيزنطة

---

(١٢٥) تم عرض كل الغنائم التي استولى عليها بليزاريوس من حملته ضد الوندال ،  
في عرض انتصار **Triumph** ، حيث سار بليزاريوس على قدميه من منزله الى ميدان  
سباق الخيل ، حتى وصل الى المنصة التي بها جوستينيان وعرضت الغنائم : عروش من  
الذهب ، عربات خاصة بالملوك وزوجاتهم ، والعديد من المجوهرات المطعمة بالأحجار  
الكرينة ، والأواني الذهبية ، وأدوات مائدة الطعام الذهبية ، وسياك الفضة ، والكثير  
من الكنوز التي كان جزيريك قد سلبها إبان غاراته على روما . واشتمل العرض على بعض  
الأسرى من قادة الوندال ، وعلى رأسهم جليمر نفسه ، الذي قام الحرس الامبراطوري بتجريد  
من زيته الأرجواني عندما اقترب من منصة الامبراطور ، وأجبره الحرس على الركوع ، ثم  
السجود للامبراطور وكذلك ركع وسجد بليزاريوس للامبراطور ، انظر :  
Procopius, Wars, 4, pp. 279-283.

(١٢٦) لم يحدد بروكوبيوس مقدار هذا المبلغ ، انظر :  
Procopius, Wars, I, p. 253.  
Malalas, Op. Cit., 429; Theophanes, Op. Cit., p. 336; Lebeau, (١٢٧)  
Histoire, 8, pp. 282-283.

يناقض شروط معاهدة السلام الدائم التي نصت على أن تكون ابيريا خاضعة للسيادة الفارسية .

وإذا كانت المصادر الرومانية لم تذكر شيئاً عن رد الفعل لدى كسرى بخصوص ملك ابيريا وتحالفه مع الرومان ، فإن الباحث يتوقع حدوث شعور بالأسى عند ملك الفرس من جراء ذلك . ولا بد ان كسرى شعر بالمرارة عندما علم بتآمر جوستينيان ضده ، عن طريق دفع الأموال الى قبائل الهون للاغارة على الأراضي الفارسية (١٢٨) وأدهى من ذلك وأمر وقوع خطابات فى يد كسرى تدين جوستينيان بمحاولة استمالة أمير الحيرة - والصديق الوفى للفرس - الى الرومان ومعاهدة الفرس (١٢٩) .

وبالرغم من أن معاهدة السلام الدائم قد نصت على أن تكون مدينة دارا منزوعة السلاح وان ينتقل منها دوق اقليم ما بين النهرين الى مدينة القسطنطينية ، فإن هذه المعاهدة لم يرد بها شيء عن اقامة التحصينات الدفاعية سواء فى تلك المدينة أو فى غيرها من الأماكن التى درج الفرس على مهاجمتها قربها من أراضيهم . لذلك أصبح من حق جوستينيان اقامة ما شاء من التحصينات فى دارا نفسها ، وهى المنزوعة السلاح ، أو فى غيرها .

وهو الأمر الذى استغله جوستينيان على أكمل وجه (١٣٠) ، والذى على ما يبدو للباحث كان أحد أسباب اعتقاد كسرى بأن جوستينيان يخطط لأعمال عدوانية ضد الفرس والا فما هو الدافع الذى جعل الفرس يضعون شرطاً فى معاهدة السلام التالية ( معاهدة سلام الخمسين عاماً - سنة ٥٦٢ م ) ينص عن الامتناع عن اقامة أو تقوية أسوار المدن حتى لا يكون ذلك ذريعة لتجديد أى منازعات قد تطيح بمعاهدة السلام (١٣١) ؟

---

*Procopius, Wars, 2, p. 249; Ibid, Buildings, p. 163, Idem, (١٢٨)*

*The Secret History, p. 50.*

*Procopius, Wars, 2, pp. 281-283; Stein, Op. Cit., p. 486. (١٢٩)*

(١٣٠) أقام جوستينيان تحصينات دفاعية قوية عالية زاد ارتفاعها عن ثلاثين قدماً من أحجار صلبة من النوع الذى يستخدم فى الرمي للتصدى لهجمات الفرس بفيلهم الضخمة ، وقواعدهم التى تحملها تلك الفيلة ، الكثيرة العدد ، حول مدينة دارا ، وآمد فضلاً عن اثنى عشرة قلعة بين المدينتين السابقتين هذا بالإضافة الى العديد من القلاع الأخرى ، تدمر ، والرصافة ، وأنطاكية ، وقسطنطينية ، وقرقشاه ، والرها وغيرهم . هذا بالإضافة الى تقوية التحصينات التى بأرمينيا الرومانية ، انظر :

*Procopius, Buildings, pp. 191-201.*

(١٣١) انظر نصوص معاهدة السلام الدائم سنة ٥٦٢ م ، ومعاهدة سلام الخمسين عاماً ، سنة ٥٦٢ م ، بالمحق .

والواقع أن تلك الأسباب كافية لاتهام جوستينيان بأنه خرق معاهدة السلام الدائم هذا اذا ما أضفنا اليها النجداث العاجلة التي عبرت عنها شعوب أرمينيا الرومانية ولازيقا وإيطاليا : فأرمينيا الرومانية تحولت الى بركان هادر أطاح بروءوس ثلاثة من كبار القادة الرومان على التوالي على يد الثوار من أهالي أرمينيا الرومانية الذين ثاروا ضد تشريعات جوستينيان عامة ، والاعباء المالية الجديدة التي فرضها عليهم خاصة ، واستعمال جوستينيان ، أسلوب القمع مع شعب اشتهر بحبه للقتال . واثارة الاضطرابات والبهاء والتمرد على السلطة (١٣٢) كما أرسل شعب لازيكا وقدما الى كسرى يعلنون انضمامهم له ويطالبونه بتخليصهم من الاحتكار الاقتصادي الروماني ، الذي فرضته عليهم السياسة الرومانية ، وبخاصة أنهم كانوا شعبا فقيرا يعيش على الكفاف ، إذ إن أراضيهم لا تنتج قمحا أو عنباً ، ويقايضون انتاجهم من الجلود المدبوغة وغير المدبوغة والرقيق بالمواد الغذائية . وأوضحوا لكسرى أنه اذا وضع يده على بلادهم ، فإنه في استطاعته ان يسيطر على البحر الأسود ، وأن يقيم علاقات مع قبائل شمال جبال القوقاز ، بل وتصبح القسطنطينية ذاتها تحت رحمته (١٣٣) . وإبان مقاومة فيتينجيز Vittingis القائد القوطي بإيطاليا لجيش بليزاريوس أرسل رسالة الى كسرى يوضح فيها خطورة السكوت على جوستينيان ، ويطلبه بشن حرب وقائية ضد الرومان ، « لا يمكن أن تترك بلادك وكل شعبك تحت رحمة جوستينيان ، لأنه أصبح معروفا أن جوستينيان شخص متعطش للسيطرة وحب التملك ، وليس على استعداد أن يلتزم بأي نظام . إذ قد أصبح عبدا للرغبة الملحة في السيطرة على كل العالم وأصبح مولعا بأن يكون ملكا ومسيطرا على كل الدول . وإنه لمن الأفضل أن يسبق المرء خصمه في احباط محاولاته حتى يعيش في أمان قبل أن ينتظر الساعة التي يكون فيها تحت رحمة أعدائه (١٣٤) » .

على أية حال ، حرض كسرى ملك الفرس المنذر الثالث أمير الحيرة على الدخول في منازعات بشأن تبعية قطعة الأرض الواقعة بين تدمر ودمشق والتي كانت مرعى للماشية ، وأدت هذه المنازعات الى قيام

---

(١٣٢) Procopius, Wars, 2, pp. 279-283; Lebeau, Histoire 8, pp. 444-446; Holmes, Op. Cit., p. 585; Charanis, «Armenians and Greeks in the Byzantine Empire», in Armenian Review, 25 (Boston, 1972), pp. 28-30. (١٣٣) وانظر الفصل الثالث للوقوف على تشريعات جوستينيان تجاه أرمينيا الرومانية . (١٣٤) Procopius, Wars, 2, pp. 265-269.

حرب بين المناذرة والغساسنة بالرغم من محاولات جوستينيان لمعالجة الموقف بالطرق الدبلوماسية (١٣٥) .

على أن كسرى كان قد عقد العزم على فرض ارادته على جوستينيان ، وضرب قواته في المدن القريبة من الحدود الفارسية ، واحتلال المنطقة القوقازية ، وطرد الرومان ، ومحاولة إيجاد موطئ قدم للفرس على ساحل البحر الأسود ، تمهيدا لمد السيطرة الفارسية هناك ، ومحاولة ضرب عاصمة الرومان وهي خطة لو قدر لها النجاح لتغير وجه التاريخ في ذلك الحين .

كانت خطة كسرى فيما يتعلق بالمدينة القريبة من الحدود الفارسية تبيلور في فرض ارادته وذلك بتحصيل فدية كبيرة من كل مدينة تحاصرها القوات الفارسية . على أن يتم تدمير المدينة التي تبدي أية مقاومة . ولم يكن هدفه هو مجرد السيطرة على مدينة محددة لاستخدامها كورقة رابحة واداة للضغط وفرض الارادة الفارسية كما فعل والد قباض مع الامبراطور أنستاسيوس في مدينة آينه ( ٥٠٢ - ٥٠٥ م ) . فبالرغم من محاولات جوستينيان للمحافظة على معاهدة السلام الدائم الا أن كسرى كان قد أعد العدة لتنفيذ خطته ولم يتلطف مع السفير الروماني بل احتجزه عاما كاملا الى أن تم لكسرى الاستيلاء على كل الأموال التي بمدينة سورا Sura المجاورة لمدينة الرقة ، بعد ان خدع أسقفها الذي كان قد تعهد بدفع الفدية التي حددها كسرى . ولم يكتف كسرى بذلك وانما قتل العديد من أهالي تلك المدينة وأسر حوالي اثني عشر ألفا من سكانها ثم أشعل النيران بها وذلك في ربيع سنة ٥٤٠ م . وبعد أن حقق كسرى خطته طرد السفير الروماني (١٣٦) وأمره بإبلاغ جوستينيان بما شاهده (١٣٧) . ولاشك أن كسرى كان يعنى بذلك أن الحرب قد بدأت بالفعل بين القوتين العظيمين .

---

Procopius, Wars, 2, p. 249, Ure, Op. Cit., p. 68; Lebeau, (١٣٥) Histoire, 8, pp. 440-442; Holmes, Op. Cit., p. 588; Bury, Op. Cit., p. 92.

(١٣٦) كان السفير بين القوتين العظيمين في ذلك الحين يشابه وزير الخارجية في وقتنا هذا وحتى لا يتكرر ما حدث للمندوب الروماني نصت معاهدة سلام الخمسين عاما ، ( ٥٦٢ م ) على ضرورة معاملة هؤلاء السفراء بكل ما يستحقونه من الاحترام والاهتمام والثناء ، وأن يودعوا بمثل ما استقبلوا به من تكريم دون ابطاء - انظر ملحق معاهدة سلام الخمسين عاما .

Procopius, Wars, 2, pp. 295-303; Downey, «The Persian (١٣٧) Campaign in Syria in A.D. 540», Sepculum, 28, (University of Miching) p. 340.

على أية حال ، استدعى كسرى ملك الفرس الأسقف كانديدوس Candidus أسقف الرصافة Sergiopolis والتي تبعد ستة عشر ميلا عن مدينة سورا ، وأمره بغدية الاثنى عشر ألف أسير من أهالى سورا خلال عام من تاريخه مع التهديد والوعيد فى حالة عدم الدفع (١٣٨) .

وإذا كان كسرى قد تعامل مع أسقفى سورا والرصافة ، فإن هذا يدل على أهمية أسقف المدينة فى ذلك الحين ، والذي لم يكن مجرد أباً روحياً فحسب ، وإنما كان زعيماً سياسياً فى نطاق أسقفيته .

وللباحث ان يسأل : أين الجيش الرومانى ؟ الواقع أن موقف الجيش الرومانى فى الأقاليم الشرقية فى ذلك الحين لم يكن يسر صديق أو يرد كيد عدو ، ذلك لأن القادة والضباط ، الذين كانوا على مقربة من كسرى ، لم يكونوا على مستوى الكفاية أو الاقدام كما أن قواتهم لم تكن كافية لمواجهة كسرى وربما يرجع السبب الجوهرى لذلك هو غياب بلزارىوس عن الشرق ، اذ كان منذ سنوات يعمل فى ايطاليا . ولذلك تقع المسئولية على بوز Buzes قائد قوات الشرق ، الذى قبض فى مدينة منبج Hieropolis دون ان يحرك ساكناً عند احتلال كسرى لمدينة سورا . وإذا كان هذا القائد قد احجم عن ملاقاته كسرى لضعف قواته ، فإن هذا لا يعفيه من مسئولية التقاعس عن رد العدو واتهامه بأنه أثر السلامة ، عن التصدى للاعداء لحماية البلاد فى وقت الشدة (١٣٩) .

لم يقم بوز القائد الرومانى للشرق بالتصدي لكسرى عندما حاصر ملك الفرس مدينة منبج وإنما سبقه فى الانسحاب منها تاركاً بها حامية صغيرة ، كما أن هذا القائد الرومانى لم ينفذ خطته التى سبق أن أعلن عنها أبان وجوده فى منبج من أنه سيقوم بتطويق العدو ، اذا ما حاول مهاجمة منبج ، وكذلك لن يسمح للقوات الفارسية بالوصول على الامدادات . على أن كسرى اكتفى بفرض فدية على المدينة ولم تتعرض لأى أذى (١٤٠) .

على أن كسرى واصل عملية فرض الفدية على مدينة حلب Beroea دون اصابتها بأذى بفضل جهود أسقفها ميجاس Begas (١٤١) .

Procopius, Wars, 2, p. 203; Ure, Op. Cit., p. 69. (١٣٨)

Lebeau, Histoire, 9, pp. 10-11; Stein, Op. Cit., p. 487; (١٣٩)

Bury, Op. Cit., p. 95, Ure, Op. Cit., p. 70.

Procopius, Wars 2, pp. 309-311; Lebeau, Op. Cit., p. 12; (١٤٠)

Downey, The Persian Campaign, p. 345. Ure, Op. Cit., p. 70.

Procopius, Wars, 2, pp. 315-325. (١٤١)

غير أن مدينة انطاكية كانت المدينة الوحيدة التي تعرضت للدمار والحراب الشديد على يد كسرى بشكل لم يسبق له مثيل ، بعد أن استولى على كل ما بها من أموال . وذلك لأن الأهالي بها قاوموا القوات الفارسية ، وهي التي كانت أكبر وأهم المدن الرومانية بالشرق بعد القسطنطينية والإسكندرية ونقل من بقي على قيد الحياة من سكانها إلى بلاده (١٤٢) . بعد أن رفض أهالي الرها - بناء على تعليمات بوز Buzes الذي كان قابعا داخل أسوار الرها - دفع الفدية التي طلبها كسرى من الرها مقابل تسليم أسرى مدينة انطاكية (١٤٣) وفرض كسرى الفدية على مدينة قلعة المضيق Apamaa وكذلك قنشرين Chalcis (١٤٤) وفي طريق عودة كسرى إلى بلاده حاول كسرى اقتحام أسوار مدينة دارا المنيعة (١٤٥) ، غير أنه لم يتمكن من ذلك مما اضطر إلى طلب الفدية منها وبعدها عاد إلى بلاده في شتاء سنة ٥٤٠ م (١٤٦) .

تلك كانت جولة كسرى أنوشروان في بعض مدن الأقاليم الشرقية بالامبراطورية . ولا شك أنه لم يلق أية مقاومة يعتد بها . وأنه جمع ما شاء من الأموال ، بعد أن خرب مدينة انطاكية ولقن الامبراطورية درسا قاسيا .

على أن كسرى أراد تنفيذ الشق الثاني من خطته العسكرية ضد الرومان ، وذلك باحتلاله لإقليم لازيقا عن طريق أراضي إيبيريا وبذلك تمكن من أن يسيطر على إقليم هام للغاية بالنسبة للرومان من الناحية الاستراتيجية والتجارية . ذلك لأن سكان هذا الإقليم يقومون بحماية

---

(١٤٢) بنى كسرى لأسرى انطاكية مدينة بجوار مدينة طيسفون عاصمة الفرس وعرفت باسم « الرومية » ( أ ) أو « الماخور الجديدة » ( ب ) ، أو « زبرخسرو » ( ج ) انظر ( أ ) ، ميراخواند ، تاريخ ساسانيان ، ص ٢٤١ ، سعيد بن بطريق ، التحقيق ، ص ٢٠٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ١٠٣ . انظر ( ب ) ابن العبري ، تاريخ ابن العبري ص ١٤٩ ، أغابيوس ، العنوان ج ٢ ، ص ٤٣ . انظر : ( ج ) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٩ .

(١٤٣) Procopius, Wars, 2, pp. 313-373; Downey, The Persian Campaign, pp. 341-343.

(١٤٤) Procopius, Wars, 2, pp. 363-373; Ure, Op. Cit., p. 72.

(١٤٥) كان جوستنيان قد قام ببناء سور لمدينة دارا خارج سورها القديم الذي كان قد بناه الإمبراطور أنستاسيوس . وكان سور جوستنيان مبنيا من الأحجار الصلبة وله فتحات ضيقة لرمي السهام ، انظر :

Procopius, Buildings, p. 103.

(١٤٦) Procopius, Wars, 2, p. 381; Lebeau, Histoire, 9, p. 27;

Stein, Op. Cit., p. 492.

القسم الغربي من جبال القوقاز ضد قبائل الهون ، ويتبادل التجارة مع الرومان فضلا عن وقوعه على سواحل البحر الأسود . وكان ذلك سنة ٥٤١م وبناء على الدعوة السرية التي تلقاها من شعب لازيقا (١٤٧) .

غير أن حضور بليزاريوس من ايطاليا على عجل كان له اثرا واضحا في احداث توازن للقوى في الجبهة الشرقية ، بناء على استدعاء جوستينيان له ، والذي كان قد قدم على اثر سقوط أنطاكية . على أية حال انتهز بليزاريوس ، فرصة وجود كسرى بجيشه في لازيقا ، وحشد قوات من أهالي تراقيا واليريا ، وأسرى القوط ، والوندال ، والمور هذا بالإضافة الى قوات الحارث بن جبلة أمير الغساسنة وعمل على رفع معنويات المقاتلين (١٤٨) بالتوجه مباشرة الى قلعة دارا القريبة من الحدود الفارسية . واتخذ خطة هجومية بقيادة الحارث بن جبلة بعد أن أمده باثني عشر ألف مقاتل ، وبالفعل نجح الحارث في مهمته في غزو الأراضي الفارسية واحداث الخسائر بها في الأرواح والممتلكات وعاد بعد أن جمع الغنائم (١٤٩) وامتدح بروكوبيوس العرب في القتال قائلا : « ان العرب هم أمهر الرجال في مهاجمة الأعداء وجها لوجه » (١٥٠) على أن النصر الوحيد الذي استطاع بليزاريوس أن يحققه بعد أن اجتاز الأراضي الفارسية لأول مرة وآخر مرة كان في اقتحامه لقلعة فارسية صغيرة ، وأسر من كان بها بعد أن كان قد فشل في مهاجمة مدينة نصيبين (١٥١) .

غير أنه ما أن علم الحارث بن جبلة وبليزاريوس بأن كسرى في طريق العودة الى بلاده مسرعا من لازيقا ، بعد أن ترك بها حامية فارسية ، حتى انسحبت جميع القوات الرومانية بعيدا عن جبهة القتال وذهب الحارث الى موطنه . كما تم استدعاء بليزاريوس الى القسطنطينية ٥٤٢/٥٤١م (١٥٢) .

وبالرغم من حشد جوستينيان جيشا بلغ تعداده ثلاثين ألفا لمهاجمة

---

Procopius, Wars, 2, pp. 391-397. (١٤٧)

(١٤٨) كان الجنود الرومان يصابون بالنعر لمجرد سماع كلمة « الفرس » انظر :

Procopius, Wars, 2, p. 399.

Procopius, Wars, 2, pp. 385-421. (١٤٩)

Procopius, Wars, 2, p. 421. (١٥٠)

Procopius, Wars, 2, p. 421; Stein, Op. Cit., p. 495. (١٥١)

Procopius, Wars, 2, pp. 423-425; Ure, Op. cit., p. 75. (١٥٢)

القوات الفارسية التي لم تزد على أربعة آلاف مقاتل في إقليم أرمينيا الفارسية ، الا أن الفرس انتصروا عليهم وهزموهم هزيمة منكرة سنة ٥٤٣م (١٥٣) .

وإذا كان كسرى قد فشل في الاستيلاء على مدينة الرها سنة ٥٤٠م نظرا لقوة استحكاماتها ، (١٥٤) الا أنه أصر سنة ٥٤٤م على ضرورة الاستيلاء عليها ، ونقل سكانها الى بلاد الفرس بعد تدميرها . غير أن كل محاولاته العسكرية باءت بالفشل لقوة استحكامات سور المدينة وللمقاومة الصلبة التي أبدتها الأهالي بالمدينة الذين تعاونوا مع القوات التي كانت بداخلها . على أية حال اضطر كسرى لفك الحصار عن المدينة بعد أن فرض عليها مبلغا من المال دفعته المدينة عن رهبة وذلك سنة ٥٤٤م (١٥٥) . وازاء هذا الموقف المتدهور بالنسبة للرومان سواء في لاذيقنا ، حيث أصبح للفرس موطئ قدم على مقربة من شاطئ البحر الأسود ، أو في الأقاليم الغربية من الحدود الفارسية ، حيث نجح كسرى في جمع ما شاء من أموال القدية التي حددها على المدن المهمة والتي هدد بتدميرها ، كما حدث لأنطاكية التي قاومت ، أصبح واضحا أنه ليس للرومان المقدرة على دحر العدوان الفارسي ، وبخاصة أن الامبراطورية كانت تقاتل في الغرب سواء في شمال أفريقيا ضد المور ، أو في ايطاليا ضد القوط . لذلك كان من الأمور الحيوية أن يطلب الرومان من الفرس شراء السلام مقابل دفع ما يحدده الفرس الذين كانوا في موقف المنتصر ، ولهم اليد العليا .

على أية حال ، فرض الفرس ارادتهم بالزام جوستينيان بدفع الفى رطل من الذهب مقابل هدنة لمدة خمس سنوات اعتبارا من سنة ٥٤٥م ، والواقع أنها كانت هدنة مبتورة لأنها كانت قاصرة على الحدود الشرقية على الحدود بين القوتين العظيمين وعلى الحدود بين أرمينيا الرومانية وأرمينيا الفارسية ، بيد أن الفرس اشترطوا ألا تشمل الهدنة لاذيقا . وهي المنطقة التي ظلت منطقة صراع بين الدولتين (١٥٦) .

---

(١٥٣) Procopius, Wars, 2, pp. 473-489; Holmes, Op. Cit., p. 598.

(١٥٤) كان جوستينيان قد أعاد بناء سور مدينة الرها ضمن خطة بناء التجهيزات الدفاعية على الحدود الفارسية وغيرها ، انظر :

Procopius, Buildings, p. 147.

(١٥٥) Procopius, Wars, 2, pp. 126-131; Bury, Op. Cit., Op. Cit., pp.

110-111; Holmes, Op. Cit., pp. 598-599; Stein, Op. Cit., pp. 501-502;

Ure, Op. Cit., pp. 76-77; Lebeau, Histoire, 9, pp. 126-131.

(١٥٦) Procopius, Wars, 2, p. 517; Lebeau, Histoire,, 9, p. 133;

Ure, Op. Cit., p. 77.



وبالرغم من حالة العداء القائمة بين القوتين ابان الهدنة الأولى فان جوستينيان وافق على طلب كسرى بارسال أحد الأطباء المهرة لعلاج (١٥٧) وهذا يدل على حرص الدبلوماسية الرومانية على اقامة علاقات طيبة مع الفرس .

وبالرغم من قيام القوتين العظميين بارسال التعزيزات العسكرية لقواتهما في لازيقا فانه لم يحدث أن أحرز أحدهما نصرا حاسما وربما يرجع ذلك لأن الرومان أدركوا مدى خطورة سقوط لازيقا ، في أيدي الفرس . لذلك نشطت الدبلوماسية الرومانية واستمالت جوباز Gubazes ملك لازيقا ، الذي كان قد استدعى سكان لازيقا ، بل انهم أحرقوا الأخشاب التي كان قد أحضرها لبناء اسطول ليخوض به غمار البحر الأسود (١٥٨) .

على أن الهدنة الأولى تم تجديدها ، بعد مفاوضات استغرقت اثني عشر شهرا ، حيث أصر الجانب الفارسي على ألا تشمل الهدنة الجديدة لازيقا كما حدث في الهدنة الأولى . وأن يدفع الرومان ألفي وستمئة رطل من الذهب عن خمس سنوات (١٥٩) وبذلك يكون الرومان قد دفعوا للفرس أربعة آلاف وستمئة خلال أحد عشر عاما ونصف ما بين ٥٤٥ - ٥٥٦ م .

غير أنه بانتهاء الهدنة الثانية ( سنة ٥٥٦ م ) طلب الجانب الفارسي ، على غير العادة ، تجديد هدم الهدنة ، دون مطالبة الرومان بأية شروط مادية أو تحديد فترة زمنية لها ، وذلك لأنهم كانوا قد وصلوا إلى حد الانهك هذا من ناحية ، كما أنهم كانوا يرغبون في التصدي لقبائل الهون البيض من ناحية ثانية . ولما كان جوستينيان راغبا في انتهاء حالة الحرب مع الفرس الذين أشعلوها منذ البداية فان القوتين العظميين وافقتا على هدنة شملت في هذه المرة لازيقا . والتزم الطرفان بعدم التحرك من المواقع التي احتلها في ذلك الاقليم وتم توقيع هدنة سنة ٥٥٧ م (١٦٠) .

---

Zachariah, Op. Cit., p. 320; Bury, Op. Cit., p. 112; (١٥٧)

Lebeau, Op. Cit., p. 134.

Procopius, Wars 2, pp. 519-523; Holmes, Op. Cit., p. 601. (١٥٨)

Procopius, De Bello Gotthico. IV, pp. 586-587; Bury, Op. Cit., p. 117. (١٥٩)

Malalas, Op. Cit., p. 488; Agathias, Op. Cit., pp. 273-276; (١٦٠)

Bury, Op. Cit., p. 130.

وهكذا يمكن القول ان السلام الحقيقي بين الفرس والرومان في عصر جوستينيان بدأ سنة ٥٥٧م (١٦١) .

والواقع أنه ازاء فشل الفرس في السيطرة على الجزء الساحلى من لازيقا ، وعدم تمكنهم من الوصول الى مياه البحر الأسود بعد صراع مرير مع الرومان في لازيقا ، وازاء عدم مقدرة الرومان على التصدى للعدوان الفارسى على الأقاليم القريبة من الأراضى الفارسية ، ناهيك عن استحالة نقل الرومان للمعركة مع الفرس الى داخل الأراضى الفارسية ، ناهيك عن استحالة نقل الرومان للمعركة الى داخل الأراضى الفارسية نظرا للتفوق العسكرى للفرس ، ولوجود معظم الجيوش الرومانية بالغرب لاتمام الحركة الاستردادية ، لكل ما تقدم مال الطرفان الى عقد اتفاقية سلام طويلة الأمد ، وقبل الفرس التخلي عن لازيقا للرومان ، بعد اقتناعهم باستحالة الرومان في الدفاع عنها .

على أية حال ، دارت الجهود الدبلوماسية على الحدود بين القوتين العظميين قرب مدينة دارا . واستمرت المفاوضات فترة من الوقت حيث استغرقت عشرين جلسة بين الوفود الدبلوماسية للدولتين ، الى أن تم تبادل وثائق معاهدة السلام سنة ٥٦٢ م ، مدتها خمسون عاما ، تعهد فيها الرومان بدفع أقساط السنوات السبع الأول دفعة واحدة لمبلغ قدره ثلاثين ألف رطل من الذهب . وفى بداية السنة الثامنة تعهدوا بدفع أقساط الثلاث سنوات التالية دفعة واحدة ، مقابل التعهد بتسليم لازيقا للرومان ، وتحمل الفرس مسئولية حماية ممرات القوقاز ضد قبائل الهون والألن وغيرهم من القبائل المجاورة ، وعدم السماح لتلك القبائل باختراق الأراضى الرومانية . وألزمت هذه المعاهدة الجانب الرومانى بأن تظل مدينة دارا منزوعة السلاح « وهو الشرط الذى كان موجودا في معاهدة سنة ٥٣٢م وألزمت المعاهدة كلا من الفرس ، والرومان بضرورة أن يشنل السلام العرب الموالين للفرس (عرب الحيرة) والعرب الموالين للرومان (الغساسنة) وهو الشرط الذى لم يكن موجودا في معاهدة سلام جوستينيان مع كسرى (٥٣٢م) وتضمنت المعاهدة الجديدة عدة شروط تتعلق بالنظام الجمركى بين القوتين العظميين ، ورعاية أعضاء الوفود الدبلوماسية وضمانات لأمن الحدود (١٦٢) .

Agathias, Op. Cit., pp. 273-276; Bury Op. Cit., II, p. 130. (١٦١)

Menander, Excerpta de Legationibus Romanorum, pp. 359- (١٦٢)

363; Lebeau, Histoire du-Bas. Empire, 9, pp. 430-433; Bury, Op. Cit., pp. 121-122; Ure, Op. Cit., pp. 97-99.

ثم انظر نصوص معاهدة ٥٦٢م فى الملاحق .

وهكذا كانت سياسة جوستينيان تجاه شعوب الحدود الشرقية قائمة على المحافظة على مصالح الامبراطورية في شتى المجالات والسير وفقا لحطة دبلوماسية تقليدية لها أسسها الثابتة مع تميزها بالنشاط وسرعة الحركة من عصر جوستينيان ، الأمر الذى ضمن لها المحافظة على المصالح الرومانية فى البحر الأسود الذى تحول الى بحيرة رومانية آمنة تجوبه السفن التجارية الرومانية ، بفضل نجاح هذه الدبلوماسية فى استمالة كافة شعوب سواحل هذا البحر الى جانب الرومان بالرغم من محاولات النفوذ الفارسى للتسلل الى مياه هذا البحر . كما نجحت هذه الدبلوماسية الرومانية فى توسيع دائرة التحالف مع شعوب البحر الأحمر لسد الطريق على التدخل الفارسى هناك . وبذلك ظل البحر الأحمر ، بأهميته التجارية والاستراتيجية بحيرة رومانية .

ولا يخفى على الباحث أن الصراع التقليدى بين الفرس والرومان كلف جوستينيان الكثير من الأموال ، وإن كان جوستينيان لم يدخر وسعا فى التصدى لهم فى مناطق النفوذ ، والدخول فى معارك دفاعية فرضها عليه الفرس ، نتيجة لتعارض المصالح بين القوتين العظميين والصراع على مناطق النفوذ . وبرغم المعارك الحربية التى دارت بينهما فإن جوستينيان تمكن من المحافظة على أراضي الامبراطورية الرومانية دون أن يفقد شبرا واحدا من أراضيها . ويعود ذلك الى مهارة الدبلوماسية الرومانية التى تمكنت من عقد معاهدة سلام سنة ٥٣٢م أتاحت للامبراطورية فرصة التحرك بحرية كبيرة ، شرقا وغربا ، وبخاصة اذا ما عرفنا أن العشر سنوات التى تلت توقيع هذه المعاهدة كانت من أكثر السنين نشاطا ونجاحا فى عصر جوستينيان .

ويبدو للباحث أن جوستينيان حالفه التوفيق فى سياسته تجاه شعوب الحدود الشرقية بفضل وجود خزانة عامرة قادرة على الوفاء بكل الالتزامات المتعددة سواء فى المجالات العسكرية أو الدبلوماسية أو المجالات الأخرى فى الميادين الداخلية .

وأخيرا فليس أدل على نجاح جوستينيان فى سياسته تجاه شعوب الحدود الشرقية من أنه استطاع مواصلة حركته الاستردادية الى أن تمكن من إعادة البحر المتوسط الى بحيرة رومانية .

## الخاتمة

وعلى ضوء هذه الدراسة تبين للباحث أن الامبراطور جوستينيان انتهج سياسة تمخضت عن قيام امبراطورية يدين شعبها بالولاء له ، بعد أن فرض على شعبه معاملته لا على أنه امبراطور فحسب ، وانما على أنه « السيد » ولم تكن مظاهر هذه السيادة قاصرة على نواحي الحياة العامة فحسب ، وانما امتدت لتشمل الكنيسة أيضا ، اذ صارت القسطنطينية في عصره « كعبة » للبابوية بعد أن ذهب اليها أكثر من بابا ، وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل منذ اعتراف أباطرة الرومان بالمسيحية . وبذلك كان جوستينيان رئيسا أعلى للدولة والكنيسة ، ولا سيما بعد أن مرغ أنف البابا فيجيليوس في التراب .

وبفضل تشريعاته في شتى المجالات ، والتي جددت شباب الامبراطورية فانه يمكن القول ان الأمن والأمان تحققا الى حد كبير في الداخل ، اذا ما قارنا عصره بعهدى زينون وأنستاسيوس .

كما أن اعداته بناء البنية الاجتماعية ، وفقا لتعاليم المسيحية صادفتها عوامل التوفيق الى حد كبير نظرا للمتابعة النشطة لهذا الامبراطور ، الذي قيل عنه أنه لا ينام . ولأهمية تشريعات جوستينيان فانها ظلت المنهل الذي اغترف منه من خلفه من أباطرة بيزنطة ، بل وفي العصور الوسطى العالية والمتأخرة الى حد بعيد . كما أن المبادئ التنظيمية للأديرة التي صدرت في عصره ، صارت الأساس الذي اعتمدت عليه الحياة الديرية من بعده .

على أن الشيء الذي لا يصح اغفال ذكره هو أن جوستينيان لم يبدأ

بإعادة بناء الدولة في الداخل ثم النظر إلى الشئون السياسية الخارجية ،  
وانما أعطى كل اهتماماته الرامية إلى إقامة الامبراطورية العالمية كمحور  
دارت حوله الدبلوماسية الرومانية في عصره بمجرد اعتلاء خاله كرسى  
العرش .

وتبين للباحث أن هذه الدبلوماسية الرومانية النشطة ، حققت  
للإمبراطور سلامتها وقوتها أمام العدو التقليدى القوى ، وأعنى بهم  
الفرس ، كما خففت من حدة خطورة الشعوب الشرقية التى درجت على  
فرض إرادتها على أباطرة الرومان من قبله والتى كانت قد نجحت فى  
انقطاع الأجزاء الغربية من الامبراطورية والسيطرة عليها .

على أن نجاح جوستينيان الدبلوماسى شرقا ، ساعده إلى حد كبير  
فى استرداد معظم أراضي الامبراطورية بالقسم الغربى منها ، من أيدي  
الشعوب المغيرة التى عجز من سبقه من الأباطرة عن ردهم . وهكذا  
يمكن القول أن نجاح الدبلوماسية الرومانية تجاه شعوب الحدود الشرقية  
كان العامل الأول والأساسى فى إعادة البحر المتوسط إلى بحيرة رومانية ،  
بعد أن صارت معظم الأراضي المحيطة به شمالا وجنوبا وغربا خاضعة  
للإمبراطور .

وغنى عن القول أن المبادئ الأساسية لهذه الدبلوماسية الرومانية ،  
صارت الأصول العامة للعمل الدبلوماسى فى العالم الغربى بصفة خاصة  
حتى أيامنا هذه .

وإذا كانت الشخصيات المهمة فى التاريخ ، لا بد لها من إنجازات  
رائعة تحقق لها البقاء فى صفحات التاريخ ، فإن الإمبراطور جوستينيان  
أدى إنجازات متعددة : والنسبة للمسيحية باعتبارها الديانة الرسمية  
للدولة ، فإنه عمل على نشرها بقوة القانون ، لذلك اعتنقها الكثيرون عن  
رهبة لا عن رغبة وفقا لعقيدة « الثالوث الأقدس » على المذهب  
الخلقيدونى . ولم يكتف بذلك ، وانما تعقب الوثنية بهدف إبادتها ،  
بل أنه مارس عمليات سحق لكل الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب  
الدولة . وعلى ذلك تبين للباحث أن جوستينيان فاق الإمبراطور قنسططين  
نفسه الذى اعترف بالمسيحية كاحدى الديانات الرسمية فى الدولة .  
يلى ذلك محافظته على التراث الرومانى القانونى الذى مازال كنزا نفيسا  
لأكثر من مجال فى دراسات الحضارة الرومانية .

لذلك يبدو للباحث عدم المبالغة إذا ما قال انه لا يوجد مثقف  
واحد فى العالم أجمع لا يعرف من هو الإمبراطور جوستينيان .

على أية حال ، تبين للباحث أن جوستينيان كان آخر أباطرة الرومان الذين حققوا انجازات رائعة . وعلى ما يبدو أنه أكثر الأباطرة أهمية منذ أن صارت القسطنطينية عاصمة للامبراطورية الرومانية التي درج المؤرخون المحدثون على تسميتها بالامبراطورية البيزنطية .

واتضح للباحث أن جوستينيان نجح الى حد كبير في تحقيق هدفه الاسمي ، في اقامة امبراطورية قوية موحدة ، يحكمها قانون واحد ، وبها كنيسة واحدة تحت رئاسته .



(١)

« نص مثنى الامبراطور باسيليسكوس ( ٩ أبريل ٤٧٥ م ) » (١)

من الامبراطور القيصر باسيليسكوس ، التقى ، الظافر ، المنتصر  
السامى ، المبجل على الدوام ، المعظم ، ومن ماركوس القيصر ، العظيم  
الشهرة ، الى تيموثيوس رئيس أساقفة مدينة السكندريين العظيمة ،  
والموقر وحبيب الله .

انه لمن دواعى سرورنا ان تظل على الدوام القوانين الخاصة بالايمان  
الحقيقى والرسولى الصادر عن آباء الكنيسة الأتقياء الذين حافظوا على  
الطقوس الدينية المقدسة للثالوث الأقدس الأبدى ، وواهب الحياة ، نافذة  
على الدوام .

بل اننا نأمر أن هذه القرارات لها قوة القوانين التى تصدرها .  
ونعلن طاعتنا وتحمسنا فى عبادة الالهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الذى  
خلقنا وجعلنا ننعى بالتمجيد ، أمام كل الأمور الدنيوية ، وأبنا مقتنعين  
أيضا بأن الاتحاد بين رعية المسيح هو الحافظ لنا ولشعبنا ، وأنه الأساس  
والدرع الواقى لامبراطوريتنا . وعلى ضوء هذه الاعتبارات فاننا نعمل  
بحماس الهى مقدمين الى الالهنا ومخلصنا يسوع المسيح اتحاد الكنيسة  
المقدسة كاحدى الثمار الأولى لعهدنا . ونأمر أن أساس واستقرار سعادة  
البشر ، ونعنى بذلك الايمان المقدس للآباء المقدسين الثلاثمائة والثمانية  
عشر الذين اجتمعوا بحلول الروح القدس فى نيقية ، والذين على

*Evagrius, History of the Church, pp. 341-342.*



تعاليمهم تم تعميدها ، وتعتمد كل المؤمنين الذين سبقونا هو فقط الذى يجب أن يحظى بالقبول والتنفيذ بين الشعب الأرثوذكسى فى كل كنائس الله المقدسة ، على أنها القوانين الوحيدة للايمان الصحيح ، وكافية للقضاء التام على كل ( هرطقة ) ، واقامة الاتحاد الكامل بين كنائس الله المقدسة .

وبدون تعصب فاننا نؤيد قرارات آباء الكنيسة المقدسين المائة والحسين الذين اجتمعوا فى هذه المدينة الملكية ، والذين صدقوا على قرارات نيقية ، وأدانوا أولئك الذين جددوا على الروح القدس .

ونؤيد أيضا كل القرارات التى صدرت فى مدينة افسوس ضد نسطور الكافر ، وأولئك الذين ساروا على تعاليمه .

بيد أن الاجراءات التى أعاقت اتحاد نظام كنائس الله المقدسة ، وسلام العالم كله ، ونعنى بذلك ما يطلق عليه كتاب ليو ، وكل ما قيل وتم فى مدينة خلقيدونية من ( بدع ) تتعارض مع قوانين آباء الكنيسة الثلاثمائة والثمانية عشر المقدسين ، سواء عن طريق التفسير أو التعليم أو الحديث ، فاننا نأمر أن هؤلاء سيتم حرمانهم من شركة المؤمنين ، هنا ، وفى كل مكان ، على يد الأساقفة وسيكون مصيرهم الموت حرقا أينما وجدوا ، مثلما فعل سلفانا التقيان والمباركان قنسطنطين وثيودوسيوس الأصغر ضد كل المعتقدات ( الهرطوقية ) .

وسيطرد كلية من الكنيسة الواحدة الارثوذكسية الرسولية والكاثوليكية كل من نسخ القوانين الأبدية للآباء الثلاثمائة والثمانية عشر ، وقوانين الآباء المقدسين الذين اجتمعوا بقوة الروح القدس ، وأصدروا قوانينهم فى افسوس .

وباختصار ، لن يسمح لأحد سواء كان من رجال الدين أو العلمانيين أن ينحرف عن القانون المقدس ، ونجزم ( البسوع ) التى صدرت فى خلقيدونية ، ونجزم ( الهرطقة ) الذين لا يعترفون أن ابن الله الوحيد اتحد ناسوته بلاهوته بالحقيقة وصار بشرا من الروح القدس ومن العذراء الأبدية مريم المقدسة والدة الله .

(٣)

« نص منشور باسيليسكوس المضاد »

نحن الامبراطورين والقيصرين باسيليسكوس وماركوس ، نأمر أن الايمان الرسولى والارثوذكسى القائم بالكنائس الكاثوليكية منذ البداية ، وحتى عهدنا يجب أن يظل قائما ، فهو الذى بناه عليه تم تعميدها ، والذى

نؤمن به ، ويجب أن يعمل به دائما في كل كنائس الأرثوذكس الكاثوليكية والرسولية في كل مكان ، وأنه ليس هناك مجال لفتح باب الجدل (٢٧) .

وعلى هذا الأساس نأمر أيضا بإلغاء كل المراسيم التي صدرت في عهدنا سواء خطابات الاعلان أو غيرها ، أو أى قرار يتعلق بالإيمان أو القانون الكنسى .

وفي نفس الوقت نحرم نسطور وأوثيخا ، وكل ( الهرطقات ) وكل هؤلاء الذين يتمسكون بآراء مشابهة ، ومحظور عقد أى مجمع أو مناقشة فى هذا الموضوع ، وأن الصيغة الحالية يجب أن تظل دون مساس .

ونأمر أن كل الأقاليم التابعة لكبرى المدينة الامبراطورية العظيمة ، يجب أن تعود للتبعية تحت رئاسة أكايوس البطريرك المقدس ورئيس الأساقفة . ونأمر أن يسترد الأساقفة المحبين لله ، كراسيهم الأسقفية وأن حق تعيينهم يرجع الى الكرسى البطريركى للمدينة الامبراطورية العظيمة .

وأن أمرنا هذا المقدس له قوة أى قانون مقدس لا ريب فيه .

(٢٨)

بيان تفصيلي من النصائح وجهها أجاييتوس ، شماس كنيسة الله الكبرى المقدسة ( كنيسة الحكمة ) الى الامبراطور الأقدس والأبقى حوالى سنة ٥٣٠ (٢٩) .

An Exposition of Heads of Advice and Counsel.

Addressed of Agapetus «deacon of the great and most holy church of God (St. Sophia) to our most sacred and pious emperor Justinian.» (Circa 530).

### « نصائح أجاييتوس للامبراطور جوستنيان »

مولاي الامبراطور ، ان منزلتك السامية التي تفوق كل مظاهر الاجلال والاحترام ، انما مردها الى الله ، الذي منحك هذه المنزلة . فقد منحك السلطة الملكية على الأرض على مثال مملكة السماء ، بهدف أن تعلم الرعية الالتزام بكل حزم بأهداب الفضيلة ، وأن تسكت صيحات أولئك

Evagrius, History of the Church, p. 347.

(٢)

Ernest Barker, Social and Political Thought in Byzantium, (٣)  
translated with an introduction and notes by Ernest Barker, (Oxford, 1957), pp. 54-61.

الذين يثورون غضبا ضده الدولة ، لأنك يا مولاي ، ملتزم بقانون العدالة ، ومن الناحية القانونية ملك على أولئك الذين تحكمهم .

وكمثل الانسان المسك بقبضة دفة السفينة ، فان بصيرة الملك النافذة ، والقديرة على توخي عواقب الأمور ، لهى الحريصة على الدوام على التشبث بدقة تنفيذ القانون ، والقضاء على كل التيارات المخالفة للقانون ، بهدف ألا تضطرب سفينة دولة العالم بأمواج الظلم .

ان الدرس الأول الذى نتعلمه ، أيها البشر ، هل منكم من يريد أن يعرف نفسه ، لأن الذى يعرف نفسه يعرف الله : ومن يعرف الله سيكون الله معه . ومن يكن الله معه يرضى عنه . ومن يرضى عنه الله ، ولا يفعل الا ما يرضى الله ، فانه يتحدث كما يشاء الله ، ويفعل كما يريد .

لا تسمح لأى انسان يفاخر لانتمائه الى طبقة الاشراف بالميلاد . فكل البشر أصلهم من طين - بما فيهم الذين يفاخرون بالزى الأرجوانى والملايس الكتانية الرقيقة ، وهؤلاء الذين أضناهم الفقر والمرض ، وكذلك الذين يضعون التاج على رؤوسهم وأيضا رجال الحاشية بالقصر . ولذلك لا تسمح لنا بالتفاخر لأننا خلقنا من طين ، ودعنا نفاخر بالتقوى فى اعمالنا .

ان الله جعلك مقدسا للتقوى وكلما رآك الله جديرا بنعمه العظيمة كلما أفاض عليك منها . ولذلك فعليك بتقديم العرفان الى الله المنعم ، والذى يجازى بزيادة النعم . لأن الله دائما مانح النعم ، وينعم على من يقرضه قرضا حسنا . ان الله يريد منا أن نشكره بالأعمال الصالحة وليس بمجرد الكلمات والدعوات .

لا شئ يجعل الانسان يتمتع بسمعة طيبة مثلما كان قادرا أن يفعل ما يريد ، وأن يكون ما يريد ، ويفعله هو الأعمال الطيبة ( محبة الانسان Philanthropa وعلى ذلك طالما أن الله بمشيئته منحك السلطة وأنت بشعورك الودى تعمل من أجلنا ، فنطلب منك أن تكون راغبا فى القيام بالأعمال التى ترضى الله الذى أعطاك هذه السلطة .

ان فكر الملك ، مشغول بالعديد من الأمور ، لذلك يجب أن يكون فكرك صافيا كالمرآة ، حتى تتألق دائما بالالهام الالهى المقدس ، وبذلك تتمكن من معرفة كل الأمور ، لأنه لا شئ أقوى من صفاء ونقاء الفكر كى يرى الانسان الحق حقا .

وكما يحدث في الرحلة البحرية ، فإن خطأ بحار يسبب القليل من الضرر على ركاب السفينة بيد أنه عندما يفعل حاكم الدولة خطأ ، فإنه يلحق الأذى بكل الدولة . وبناء عليه فإنه يكون قد أهمل في أداء واجب مقدس ، لذلك يجب على حاكم الدولة أن يتكلم ويتصرف دائما بأقصى درجات الدقة والحرص الشديد .

إن تاج التقوى الذي يزين الملك فوق كل مظاهر الزينة الخاصة بالملكية . إن المال إلى زوال ، والشهرة إلى نهاية ، بيد أن مجد الحكومة التي على شاكله الحكومة الالهية يبقى أبد الدهر كما يظل ملوكها بعيدين كل البعد عن النسيان .

ويبدو إلى أنه أمر غريب جدا أن يعاني كل من الأغنياء والفقراء من أمور مختلفة : فلقد شكا الأغنياء من الإصابة بمرض التخمّة ، بينما أضنى الجوع الفقراء ، والأغنياء يمتلكون الأراضي التي يصعب حصرها . في الوقت الذي لا يمتلك الفقراء مساحة باطن أقدامهم من الأرض لزراعتها . ولكي يسترد كل من الفريقين لصحتهم ، فإن العلاج هو تطبيق عملية أخذ واعطاء حتى تحل المساواة محل الظلم الاجتماعي نتيجة لهذا التفاوت .

لقد ظهر في عصرنا أن عهد السعادة العظمى قد تحقق وهو الذي كتب عنه أحد كتاب النبوءات القديمة عندما يكون الفلاسفة ملوكا أو الملوك من دارسي الفلسفة فبعد أن درست يا مولاي الفلسفة أصبحت جديرا بالملكية وبعد شغلك منصب الملك فإنك لم تهجر دراسة الفلسفة والآن إذا ما كانت محبة الحكمة هي الفلسفة وإذا كانت بداية الحكمة هي مخافة الله - الذي تراه دائما حينئذ ما أقوله هو الصواب بعينه .

في الحقيقة اني أعدك ملكا لأنك تتمتع بقوة الملك بالسيطرة على عواطفك ولأنك تضع على رأسك تاج الاعتدال ، وترتدي زى العدالة الأرجواني ، فهناك نوعيات من السلطة جلبت لأصحابها النسيان ، بيد أن ملكيتك ستبقى في مأمن من العقوبة الأبدية .

وإذا ما رغبت في جني ثمار تمجيد كل الرعية لك ، عليك أن تكون المحسن للجميع ، لأنه لا شيء يجعل الرعية تشعر بالمحبة نحو حاكمها أكثر من نعمه التي يسبغها على المحتاجين ولأن الطاعة الناجمة عن الخوف ما هي الا تزلف كاذب وهي التي تخدع هؤلاء الذين يهتمون بالتمجيد الكاذب .

ان الملكية ممثلة فيكم هي بحق تطلق بالتبجيل ، لأنها كشفت عن قوتها للغدوار ، وجعلت الرحمة من نصيب الرعية ، فلقد قهرت الأعداء بقوة النضال ، بينما غلبك حبك لرغبتك .

بالنسبة للجسد فالملك شأنه شأن كل البشر ، بيد أنه من ناحية سلطانه المتعلق بمنزلته السامية فهو مثل الله الذي يحكم الجميع ، لأنه لا يوجد انسان على الأرض أسمى منزلة من الملك ، ولذلك كشبيهه بالله فيجب عليه ألا يفضب اطلاقا ، ومع ذلك كبشر عرضة للموت فعليته ألا يترفع في غرور لأنه اذا كان يحظى بالتمجيد على أنه رهب مقدس ، فانه أيضا ضمن البشر ومماثل لهم وعليه أن يعلم أنه مساو لهم .

افرض على نفسك الالتزام بمراعاة القوانين ، طالما أنه لا يوجد الانسان الذي في قدرته أن يلزمك باتباعه . وهكذا تضرب المثل على سلطان القوانين باحترامك لها عن أى شيء آخر وبهذا فانه سيكون واضحا امام شعبك أن أى مخالفة للقوانين لن تمر دون عقاب .

وبما أن الله عهد اليك بمتصب الملكية على الأرض ، فلا تستخدم الآثمين في اذانة الأمور لأن الذي يعطى الآثمين السلطة سيحاسب أمام الله عن أفعالهم الخاطئة . لذلك يجب أن يخضع التعيين في الوظائف الى فحص دقيق .

خذ الذين يؤدون عملهم بائزان ضمن اصدقائك المخلصين ، وليس هؤلاء الذين يمتدحون كل ما تقول ، وتمسك بأولئك الذين يبتهجون معك بخصوص ما هو حسن ، ويقطبون الجبين لما هو عكس ذلك لأنهم هم الذين يقدمون الدليل بحق على صدق صداقتهم .

لا تجعل القرارات الدنامية تتأثر بعظمة سلطتك الدينيوية ، لأنها سلطة الى زوال ، ولا تغير رأيك عند معالجة الأمور القابلة للتغيير . ولا تكن معجبا بنفسك في الأوقات التي تتطلب الهدوء والسكينة ، أو تبدو حزينا في أوقات المحن .

وكما يتغير شكل الذهب ، على يد الصانع الماهر ، حينما بطرقه وحينما بطريقة أخرى ، ويحوله الى أنواع مختلفة من الحلي ، ومع ذلك يظل الذهب كما هو ، ولم يحدث له أى تغيير وكذلك أنت أيها الامبراطور المقدس عندما تمارس سلطتك على هذا النحو أو على غيره متوقعا المجد في السموات ، فانك تظل كما أنت . وبرغم أنك تعالج أمورا مختلفة ، فعليك أن تظل ثابتا دون تغير بالنسبة لما تراه صوابا .

اعتبر نفسك ملكا بكل ثقة وصدق لأنك تحكم شعبك بموافقته

الاجتماعية ، لأن الشعب الذى لا يوافق بالاجماع يثور عندما تنحاح له الفرصة ، بيد أن الشعب المرتبط بملكه بروابط المحبة يظل صادق الزلاء ومخلصا فى طاعته اليه .

ولكى تظل محتفظا بالملكية ذات السمعة الطيبة ، أن تؤمن بالحقيقة القائلة بأن شعبك سوف يشعر بالنقمة عليك اذا ما فعلت خطأ لأن هذا الخطأ سيغضبهم لأنه ليس لدى أى انسان سلطة فى أن يأمر شخصا ، مثلما تتمتع أنت بسلطتك .

ان الذى وصل الى السلطة العظمى ، يجب عليه أن يتشبه بقدر ما يستطيع بالله الذى منحه تلك السلطة . واذا ما تمكن من أن يحمل صورة الله - الذى فوق الجميع ، واذا بفضل الله حكم الملك كل البشر ، فإن هذا الملك سيكون صورة لله بشكل أفضل اذا ما اعتقد أنه لا شيء يفوق الرحمة .

ان الملكية هي أسمى مظاهر التكريم ، وبصفة خاصة عندما لا ينزع الانسان الذى يتقلد سلطتها الى العناد والتشبث بالرأى ويظل متمسكا بتحقيق العدالة ومبتعدا عن الأعمال اللاانسانية بصفتها من الأمور الهمجية ، ومقدما على الدوام الدليل بأن الشفقة والحنان هما من سمات المتشبه بالاله .

وكما أن العين أحد أعضاء جسد الانسان ، فكذلك الملك عضو فى العالم ، وكلفه الله لتحقيق الخير والعدالة . ولذلك فمن واجب الملك أن يراعى كل البشرية كما لو كانوا أعضاء فى جسده ، بهدف أن يتقدموا فى الأعمال الصالحة لا الأعمال الطالحة .

ان وظيفة الشمس هي اضاءة الكون بأشعتها . وميزة الملك فى كونه رحيما بالمحتاجين . وبذلك تزداد شهرة الملك التقى . واذا كانت الشمس تفسح المجال لمجىء الليل ، فإن الملك لا يستسلم لهجوم الأعمال الطالحة ، بل على العكس ينحفض ما خفى منها بنور الحقيقة .

لقد زان منصب الملك ملوك سابقون ، لكنك يا مولاي جعلت هذا المنصب أكثر شهرة ، بعد أن عملت على زيادة عظمة السلطة برقتك ولطفك ، وأزلت الخوف من قلوب أولئك الذين اتصلوا بك لطيبتك وصلاحك وبذلك القى كل الذين احتاجوا الى الرحمة مراسيهم فى مرفأ

سكونك ، وآمنوا بفضلك من مغبة أمواج البؤس وقدموا تراتيل شكرهم اليك .

وبعد أن تفوقت على كل الآخرين في السلطة ، فجاهد الآن من أجل تفوقك عليهم في المآثر ، لأنه بالنسبة الى أهمية سلطتك فلا بد أن تتوقع مطالبتك بانجاز كل خير . وذلك حتى يظهر لك الله بتاج الملكية الذي لا يقهر . عليك أن تتحلى باكليل العمل الصالح الى الفقراء .

وقبل أن تأمر بما تريد ، تأكد بأنك تأمر بتدبير ما هو صحيح ، فاللسان عضو زلق ويجلب الخطر الشديد للمهمل ، بيد أنه اذا ما سيطرت على اللسان بالأفكار التقية ، فانه عندئذ يعزف كالموسيقى أعذب ألحان الفضيلة .

قد مملكتك هنا على النحسو الصالح ، حتى يكون لك سلم للمجد في السماء لأن أولئك الذين يحكمون بالعدل المملكة الدنيوية ، جديرين أيضا بالنعيم في المملكة السماوية ، والحكام الصالحون في المملكة الدنيوية هم الذين يعبرون عن حبهم الأبوى بشعوبهم ويحظون بالاجلال اللائق بالحكام الذين يمنعونهم من الوقوع في الزلل ، لا الذين يجلبون لهم المحن بتوقيع العقوبات عليهم .

وبعد أن تسلمت السلطة الملكية من الله ، فكر في كيفية الحصول على رضا الله الذي منحك السلطة ، والذي كرمك على كل البشر ، وسارع بتمجيد أكثر من الجميع . وما يراه أعلى تمجيد تقدمه اليه - هو أن يرعى الذين خلقهم على مثاله ، وأنجز أعمالك الصالحة كما لو كنت تسدد ديونا .

ان كل انسان يرغب في تحقيق الخلاص ، عليه أن يتلمس العون من السماء ، بيد أنه على الملك أن يفعل ذلك قبل كل الآخرين لأنه اذا كان يرعاية الله له ، فان سيتغلب على أعدائه ويحقق السلام لرعيته .

أقول ان سوء الخلق عند الشخص العادى يدفعه للقيام بما هو وضيع ، ويستحق العقاب ، بيد أن سوء تصرف الملك لعدم ممارسته ما هو خير ويساعده على الخلاص . ان الحاكم ليس معضوما من الوقوع في الخطأ ، لذلك فواجبه الالتزام بطوق الأعمال الحيرة التي تكون تاجا له ، لذلك عليه بتجنب ما هو سيء والتمسك بالعدالة .

ان الملك هو سيد الجميع ، بيد أنه أيضا مثل الآخرين ، فهو خادم لله ، وسوف ينطبق عليه اسم الملك اذا ما كان سيدها على نفسه .

وليس عبدا للملذات غير اللاتقة وعندما تحالفه التقوى ، فإنه ينتصر  
على أشد الاغواءات قوة بفضل درع الاستقامة .

جاهد الى الأبد أيها الملك المنتصر ، ومثل الذين يصعدون سلما ،  
لا تتردد في حركة صعودك حتى تصل الى الدرجات العليا وواظب في  
صعودك على أداء ما هو خير ، حتى تنعم بمملكة السماء . فليحفظ المسيح  
مملكته ومعك الامبراطورة زوجتك ، انه ملك الملوك وملك رعايا الملوك  
الى ابد الأبدين آمين .

## (٤)

### « نص قسم حكام الأقاليم قبل شغل المنصب » (٤)

أقسم بالله العلي القدير ، وبابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وبالروح  
القدس ، وبالطوباوية مريم البتول ، دائما وعلى الدوام ، وبالأناجيل الأربعة  
التي بين يدي ، وبالقديسين ميخائيل وجبريل رئيسي الملائكة ، أن أظل  
مخلصا لسيدى جوستينيان الجليل ، ولسيدتى ثيودورا عقيلته الفاضلة ،  
وأن أباشر ادارة الجزء الذى عهدا الى بادارته بكل أمانة ونزاهة .

وأقسم أن أظل على الايمان الكاثوليكي الرسول ، وأن أعمل على  
نشره فى كل الأوقات بأقصى ما عندى من جهد ، وألا أقبل غيره على  
الاطلاق .

وأقسم أننى لم ولن أدفع شيئا لأحد ، سواء من أجل الحصول على  
هذه الوظيفة التى كلفت بشغلها ، أو من أجل الحماية ، وأقسم أننى لم  
أحصل على وعد بالتعيين بالأقليم ، وأننى لم أدفع شيئا سواء باسم  
الامبراطور أو باسم الموارد المالية أو باسم الموظف المسئول عن الادارة ،  
أو الموظفين التابعين له ، أو الى أى انسان آخر .

وحيث أنى أتسلم وظيفتى دون أن أدفع شيئا ، فأنى أقسم أن  
أظل غفيفا وظاهر الذيل مع رعية جلالة الامبراطور والامبراطورة ، وأن  
أكون قائما بمرتباتى السنوية التى حددتها خزانة الدولة .

---

Les Nouvelles de L'Empereur Justinien, Traduites en français (٤)  
par M. Bereinger fils, de Valence Drôme, Tome Premier, (Paris,  
1811), Nouvel, viii, Titre, III, pp. 102-103.



وأقسم أن أبذل قصارى جهدى فى متابعة تحصيل الضرائب ، وأن  
أطالب المتراخين فى السداد بكل شدة ، وأن أكون صارما معهم ، مع  
اللجوء الى القسوة اذا ما تطلب الأمر .

وأعد ألا أطلب شيئا من أى كان ، أو أعطي شيئا الى أى كان بدافع  
الكرهية أو المحاباة وإنما أطل متحليا بالحكمة والاقتدار ، وأن أعامل  
رعية جلالة الامبراطور والامبراطورة بكل حنان أبوى ، وأن أبذل قصارى  
جهدى فى المحافظة على حقوق رعيتهما .

وأقسم أن أطل نزيها ومحيذا فى القضايا الخاصة ، كما فى القضايا  
التي تتعلق بمجموع الشعب . وأن ألزم كل سكان الاقليم المسئول عنه  
باتباع ما يحقق العدل ، وأن أطارد الجرائم بكل صورها ، وأن أراعى  
العدالة ، عند قمع تلك الجرائم وفقا لما يمليه على ضميرى . وأن أحافظ  
على سلامة المواطنين ، الصالحين ، كما أبذل كل جهدى فى ردع المذنبين  
وفقا للقانون .

وأقسم كما قلت سابقا ، ألا أنتهج أى نظام سوى العدل الذى تضمنته  
القوانين العامة والخاصة . وأن أتصدى بكل قوى لمن يعوقون تحصيل  
موارد الدولة المالية . وأن أتابع الموظفين الذين ساعينهم حتى يباشروا  
مهام وظائفهم بنفس الأمانة التى أبغيها فى أمورى الخاصة . وفى حالة  
اقتراف أحدهم أى عمل يتسم بالظلم ، فانى أعد بازالة هذا الجور ، مع  
طرد الموظف المذنب .

وإذا ما أضحيت حائثا لليمين ، فانى أقبل أن أعاقبه ليس فقط فى  
هذه الحياة ، ولكن أيضا عبر الأجيال القادمة ، فى محكمة مخلصنا يسوع  
المسيح المريعة ، وفى مشاركة يهوذا الاسخريوطى فى العذاب . ومن  
ناحية أخرى أعرض للعقوبات التى يفرضها على قانون جلالة الامبراطور .

(٥)

#### « نص مرسوم خطة العمل لإصدار الديجست » (٥)

من الامبراطور القيصر فلافيوس جوستينيان التقى الموفق الممجد  
هازم الأعداء المبتهج بالانتصار الأقدس على الدوام الى قسطنطين  
تريبونيان .

اننا نحكم امبراطوريتنا بتفويض من الله ، الذى منحنا لنا من فضله

Constitutio Deo Auctore in The Digest of Justinian, translated (٥)  
lated by C.H. Monro, Vol. I. (Cambridge, 1904), pp. xiii-xvii.

في علامه ، اننا نواصل الحروب بنجاح ، وننعم بالسلام ، ونبذل أقصى جهدنا لاعادة بناء الدولة ، ونشرجه بقلوبنا الى السماء مثوقين مساعده الاله الموجود في كل الوجود . ولذلك فاننا لا ننزع ثقتنا في جيشنا ، ولا في جنودنا ، ولا في قادتنا في الحرب ، ولا في براعتنا ، بيد أننا نعلق كل آمالنا على العناية الالهية للثالوث الاقدس ، فحسب ، خالق عناصر الحياة في كل أنحاء العالم التي منها تكونت الحياة على الأرض .

١ - انه لا يوجد شيء أجدر بالاحترام مثل سلطة القوانين ، لأنها تنظم الأمور التي تعود بالخير في كل ما يتعلق بالشئون المقدسة وكذلك الدينيوية ، انها تقضى على كل أنواع المظلم ، ومع ذلك فاننا نجد أن كل قوانيننا ، التي ورنناها منذ تأسيس مدينة روما ، ومنذ أيام رومولوس Romulus ، قد وصلت الى حد الارباك لأنها صارت في كثرتها غير محدودة ، وتفوق كل الطاقة البشرية عند محاولة استيعابها ، لذلك كانت رغبتنا الأولى أن نبدأ بالقوانين التي صدرت منذ عهد الأباطرة المقدسين ، والعمل على تنقيحها ، وترتيبها ، حتى يمكن جمعها في مجلد واحد ، ونحذف كل ما هو مكرر وغير ضروري ، وكذلك التي لم تعد صالحة للاستعمال .

٢ - وبعد أن تم انجاز هذا العمل وتجميعه في مجلد واحد في عهدنا الرابع ، ونحن نعمل على وجه السرعة مترفين عن كل تقصير وكل ما هو غير هام ، وانما نهذف بذلك الوصول بالكامل الى تنقيح التشريع الروماني وأن نقدم في واحد المؤلفات المبعثرة للكثيرين من رجال القانون وهو الأمر الذي لم يحاول أحد من قبل القيام به أو مجرد الرغبة في تنفيذه . ولقد بدا ذلك الأمر على أنه غاية في الصعوبة ، بل في الحقيقة كما لو كان أمرا مستحيلا . غير أننا نرفع أيدينا للسماء ، ونصلي من أجل المساعدة الأبدية ، لذلك أخذنا على عاتقنا تنفيذ هذا المشروع واثقين أن الله سيمدنا بعونه ورعايته لاكمال هذه الانجازات التي تبدو أمامنا وكأنها من الأمور المستحيل تنفيذها .

٣ - وعلى ذلك فاننا نأمل في خدمتكم الممتازة وشخصيتكم المخلصة وعهدنا اليكم دون الآخرين بهذا العمل الاضافي ، بعد أن ثبت لدينا بالأدلة على قدرتكم عند تجميعكم « مجموعتنا القانونية » ، ونأمركم أن تختاروا معاونين لكم من تروونه قادرا للعمل من بين الأساتذة الضليعين ، وكذلك علماء المحاكم الذين نالوا شهرة في عملهم . وكذلك الشخصيات التي رضيينا عنها وحضرت الى قصرنا وحازت قبولنا بناء على شهادتكم .

ولقد وافقنا على أن يعهد إليهم بانجاز كل الحطة . ومع ذلك يجب أن يكون معلوما أن يتم العمل كله تحت إشراف عقليتكم الراجعة .

٤ - وعليكم جميعا بناء على أمرنا أن تطالعوا وتبحثوا في الكتب التي تتعلق بالقانون الروماني التي كتبها فقهاء القانون القدامى الذين حصلوا على موافقة الأباطرة المقدسين عند كتابتها وتفسير القواعد القانونية ، حتى تكون كل المواد القانونية صادرة عنهم ، وعليكم التخلص من كل تكرار وكل تناقض بقدر الامكان ، وعلى هذا تقدمون لنا عملا واحدا وكافيا بدلا من المواد القانونية المبعثرة التي عفا عليها الزمن . وحيث أن ، من ناحية أخرى كتب بعض المؤلفين عن موضوعات تتعلق بالقانون ، بيد أن كتاباتهم لم تقبلها أو تستعملها أى سلطات فيما بعد ، فأنسأ لسنا مهتمين بأن تسمح لمؤلفاتهم أن تؤثر على قرارنا .

٥ - ومحتوى المجلد المطلوب ، والذي سيتم تصنيفه بمشيئة الله ، من الواجب اخراجه على أحسن صورة ، وبذلك يكون جديرا بتخصيصه كمحراب مقدس للعدالة ، وأن توزع كل القوانين بين خمسين كتابا لها عناوين مميزة ، على غرار المجلد الذى تضمن التشريعات الامبراطورية في مجموعتنا القانونية . وكذلك المراسيم الدائمة *Perpetual Edict* بقدر ما تروق ما تحقق الفائدة الكبرى ، حتى لا يترك شيء خارج هذا المؤلف ، بيد أن كل القانون القديم ، والذي صار مربكا لمروء حوالى أربعة عشر قرنا عليه . ونقوم الآن بتوضيحه ، ونريد أن نضعه فى اطار ، ولا نترك شيئا خارج هذا الاطار .

٦ - ومع ذلك ، يجب عليكم ، عند الموازنة بين عدد من المؤلفين ألا تحكموا على أن أعمال أحدهم هي الأفضل والأكثر دقة ، لأنه من الممكن بالنسبة لوجهة نظر أحد الكتاب والأقل شأننا ، أن يقدم ما يستحق التفضيل فى بعض النواحي ، بل ربما يكون ما قدمه أفضل من غيره يستحق التفضيل فى بعض النواحي ، بل ربما يكون ما قدمه أفضل من غيره من المؤلفين ، ولهذا السبب فإن الآراء المكتسوبة على الحواشى ، ومنسوبة الى أميلبيوس بابينيانوس *Aemilius Papinianus* ، والمأخوذة عن كل من يولييانوس *Ulpianus* وبولس *Polus* ولم تتحدث عن ماركيانوس *Marcianus* والتي لم يؤخذ بها فى وقت من الأوقات نتيجة للشرف الذى ناله بابينيانوس الشهير ، لا يصح على الإطلاق رفضها ، بيد أنه اذا ما رأيت أن أى معلومات عنهم ضرورية لتصنيف مؤلفات بابينيانوس العبرى أو تفسير كتاباته ، فيجب ألا تتردد فى اعتبارها .

صالحة كالقانون ، حيث يتضمن هذا المجلد كل مؤلفات هؤلاء العلماء  
التي سيكون لها قوة القوانين التي تصدر عن فمنا المقدس .

٧ - وهناك شيء آخر نطلب منك أن ترعاه وبغاية ، اذا ما وجدت شيئا  
في الكتب القديمة ليس مرتبا جيدا ، أو زائدا ، أو غير ضروري ، أو بحاجة  
الى تكملة ، فإن عليك أن تتخلص من الاطناب الذي ليست هناك حاجة  
اليه ، وأن تكمل أى نقص ، وإن تقدم المصنف كله فى صيغة ملائمة وعلى  
شكل جذاب . ويجب فى نفس الوقت أن تلاحظ ما يلى : اذا كانت هناك  
فى القوانين والتشريعات التي ذكرها الكتاب القدامى فى كتبهم تعبيرات  
غير صحيحة فعليك بتصحيحها فى كتبهم واعادة صياغتها ، حتى يكون  
كل ما تختاره وتكتبه ، أصيلا وحقيقيا ، وأفضل النسخ المعدلة للنص  
الأصلى ، وحتى لا تكون نسختك عرضة للانتقاص من قدرها اذا ما حاول  
أى شخص مقارنتها بالنص الأصلى . وأضعا فى الاعتبار بأن التشريعات  
القديمة والمسماة Lex Regia وكل ما يتعلق بالسلطات التشريعية  
للشعب الرومانى أصبحت جميعها إرثا للحكومة الامبراطورية ، واننا لن  
نسب لأنفسنا التبعية لها ، بيد أننا نرغب فى أن تكون هي تابعة لنا ،  
اذ كيف تتعارض قوانين العصور القديمة مع تشريعاتنا ؟ وفى الحقيقة  
اننا نرغب فى استمرار القوانين التي ظلت سارية المفعول ، بيد أنه اذا  
ما ظهر شيء يتعارض مع عملنا ، فانه يجب اعادة صياغته وفقا لرغبتنا  
ومشيئنا .

٨ - وبهذه الوسيلة ، ففي كل أجزاء مجموعتنا القانونية السابقة  
لن يكون هناك مجال لأى تناقض - وهو التعبير المستعمل منذ القدم ،  
والتأخوذ من اللغة اليونانية - بيد أنه يجب أن يكون اتساق كامل ،  
وتناسق تام ، ولا مجال لأى شخص لاثارة أى موضع للجدل .

٩ - وكما قلنا من قبل ، فيجب ألا يكون هناك تكرار عند تصنيف  
الديجست ، لأننا لا نسمح بمجرد وجود فقرة واحدة من قوانيننا المقدسة  
المدونة فى مجموعتنا القانونية أن تذكر فى الديجست على أنها جزء من  
القوانين القديمة ، لأننا نرى أن أى صيغة لقوانيننا المقدسة كافية تماما  
لاضفاء الشرعية عليها ، الا اذا كان ذلك بهدف ايضاح الفرق أو بهدف  
التكملة أو بهدف تصحيح النص ، وحتى هذا فيجب أن يكون فى أضيق  
الحدود .

١٠ - ومرة ثانية ، واذا ما كان هناك قواعد قانونية فى الكتب  
القديمة لم تعد تستعمل فى وقتنا هذا فاننا نسمح لكم بتدوينها ، لأننا

نرغب في المحافظة عليها على أنها كانت سارية المفعول في النظام القضائي ،  
وأنها أقرتها مدينة روما المبجلة ، بحكم سريانها لفترة طويلة ، طبقا  
لمصنف سالفوس جوليانوس Salvius Julianus الذي لفت الأنظار  
الى ضرورة أن تتبع كل المدن مدينة روما ، زعيمة العالم ، لا أن تتبع روما  
المدن الأخرى . ويجب أن تضع في اعتبارك أن روما ليست المدينة القديمة  
فحسب ، بيد أنها مدينتنا الملكية أيضا ، التي بمشيئة الله أقيمت على  
أزوع مظاهر البشر والحشرات .

١١ - وبناء على ذلك ، فإننا نأمر أنه يجب أن يسير العمل في  
أطار المجلدين التاليين ، أولهما التشريعات الامبراطورية ، والآخر كتاب  
القوانين Just enculeatum الذي لا لبس فيه ، ومنهما يخرج المصنف  
الجديد ، مع تصنيف كتيب كمدخل للدراسات القانونية Institutiones  
وذلك لتزويد طلاب الدراسات القانونية المبتدعين بالقواعد التي تمهد  
للتعمق في الدراسات الأعلى .

١٢ - وعملنا الكامل ، الذي ستقومون بانجازه بمعونة الله ، نأمل  
أن يحمل اسم الديجست Digest أو البندكت Pandects ، ولن نسمح  
في المستقبل لأى انسان عالم بالقانون القيام بإضافة أى تفسير خاص به  
حتى لا يفسد خطته ، كما حدث في الماضي عندما ظهرت الآراء المتناقضة  
للمفسرين ، وتحول القانون كله الى حالة من الاضطراب ، بيد أنه مسموح  
باجراء القليل من التصحيحات ، وذلك عن طريق اللجوء الى الحواشى ،  
واستخدام العناوين البارة ، وبذلك نتجنب أى مجال للشكوى التي يمكن  
أن تظهر من التعود على تقديم التفسيرات .

١٣ - ومخافة أن تكون طريقة الكتابة نفسها باعثا على الغموض  
فيما بعد ، فإننا نأمر بالا يكتب متن الديجست باستخدام طريقة الشفرات  
والاختصارات مما يسبب الحيرة والتناقض في القوانين ، كما أننا لا نسمح  
باستخدام طريقة الأرقام العددية عند كتابته . وعلى ذلك فمن الواجب  
الكتابة باستخدام الحروف الأبجدية المألوفة .

١٤ - وبمعونة الله ، فإن عليك وعلى أعوانك انجاز كل هذه الأعمال  
وعرضها علينا على أحسن صورة ، وفي أقصر وقت ممكن ، حتى يكون  
الكتابة الكامل ، والمكون من خمسين جزءا له ذكرى قوية وخالدة ، تتناسب  
مع عظمة عهدنا وكذلك جهودكم .

صدر في الثامن عشر غرة يناير ( ١٥ ديسمبر ٥٣٠م ) في  
القسطنطينية في عهد قنصلية لامباديوس Lampadius وأوريستيز  
Orestes

## « كلمة جوستينيان الى طلبة الدراسات القانونية » (٦)

باسم ربنا يسوع المسيح

من الامبراطور القيصر فلافيوس جوستينيان ، قاهر الألمان ،  
والقوط ، والفرنجة ، والجرمان ، والأنطيين ، الألايين ، والوندال ؛  
والأفارقة ، التقى ، المبتهج ، الشهير ، المنصور ، المظفر ، الأقدس على  
الدوام ، الى الشباب الراغب فى دراسة القانون .

ان السلطة الامبراطورية لا يمكن لها أن ترقى للمجد بالأسلحة  
فحسب ، ولكن أيضا بتدعيم القوانين ، وبذلك تسير دفة الأمور فى الدولة  
على ما يرام فى وقتى السلم والحرب . وعلى هذا لا يكون الامبراطور منتصرا  
فى ميدان الحرب فحسب ، ولكن أيضا يكون قادرا ، بفضل كل الوسائل  
القانونية على التصدى لجرائم الخارجين على القانون ، وتحقيق العدالة  
والنصر على الأعداء .

١ - وبنعمة الله تحقق لنا هذا الهدف المزدوج ، نتيجة لجهودنا  
المضنية والمتواصلة وحرصنا الشديد . فالألم المتبربرة التى قهرناها ،  
أقرت ببسالتنا فى ساحة الوغى ، وتشهد أفريقيا والعديد من الأقاليم  
الأخرى بذلك ، تلك الأقاليم التى عادت الى السيادة الرومانية والى  
امبراطوريتنا ، بفضل الانتصارات التى منحها الله لنا . وبالإضافة الى  
ذلك أصبحت هذه الشعوب خاضعة للقوانين التى أصدرناها .

٢ - اننا بعد أن أعدنا تنسيق هذه الأعداد الهائلة من القوانين  
الامبراطورية التى أضحت مدعاة للارتباك ، وجهنا اهتمامنا نحو هذا  
الحضم العجاج المتلاطم بمجلدات القوانين القديمة التى لا تحصى ولا تحصر ،  
وبمشيئة الله ، أنجزنا عملا كان يبدو بعيد المنال .

٣ - وبعد انجاز هذا العمل بمشيئة الله ، استدعينا ذكركم الرجل  
القدير ، وصاحب المقام الرفيع ، ومستشار قصرنا المقدس والقسطور  
السابق ، تريبونيان وكذلك الاستاذين ثيوفيلوس Theophilus  
ودوروثيوس Dorotheus ، بعد أن برهن ثلاثتهم فى كثير من المناسبات  
على تبجرهم فى القانون ، وإخلاصهم فى تنفيذ أوامرنا وكلفناهم بصفة  
خاصة بتصنيف « مجلد لتعلم القانون » Institutes تحت رعايتنا ،

The Proem of the Institute of Justinian, translated into (٦)  
English by T.C. Sandars, Ninth Edition, (London, 1878);  
pp. 1-3.

حتى لا تتعلموا مبادئ القانون الأولية من مصادر قديمة وغير دقيقة .  
وانما تتعلمونها من حكمة الامبراطور الملهم . ولن تسمعوا شيئا خطأ  
أو عفا عليه الزمن ، ولكن كل ما يعرض عليكم هو المفيد في الحياة  
اليومية . واذا كان أمهر الطلبة فيما مضى لم يكن في مقدرة ، بعد مضى  
ثلاث سنوات في الدراسة ، أن يقرأ القوانين الا بشق الأنفس ، فانكم  
ستشعرون بالجدارة والسعادة عندما تتلقون القوانين من أولها الى آخرها  
من فم الامبراطور .

٤ - وبعد أن تم تصنيف الديجست أو البندكت Digesta seu  
Pandectes المحتوى على خمسين كتاب - بجهد تريونيان القدير  
ومعاونيه المشهورين - والذي تضمن كل القانون القديم ، فاننا أمرنا  
بتقسيم الانستيتوشن Institutiones الى كتب أربعة لتكون المبادئ الأولى  
لكل علم القانون .

٥ - وفي هذه الكتب الأربعة تجدون ملخصا للقوانين القديمة ،  
وأيضا التي أغفلت بتقادم العهد عليها ، بيد أنها عادت الى العمل بها  
بفضل اصلاحاتنا القانونية .

٦ - وهذه الكتب الأربعة ، صنفناها على شاكلة غيرها من الكتب  
التعليمية القديمة ، وبصفة أساسية من مؤلفات عالمنا جايوس Gaius  
وكتابه « ماجريات الحياة اليومية » ، وأيضا من العديد من المؤلفات  
الأخرى ، التي عرضها علينا رجال القانون الثلاثة القديرين المشار اليهم  
بعاليه . وبعد أن فحصناها بدقة وامعان أمرنا بأن تكون لها قوة قانونية  
شأنها شأن مراسيمنا .

٧ - فعليكم بقبول قوانيننا بكل شغف وادرسوها بكل عناية ،  
وجدوا وكدوا ، حتى يتحقق لكل الأمل النبيل في المشاركة في حكم جزء  
من امبراطوريتنا بعد انتهاء دراستكم القانونية بنجاح .

صدر في القسطنطينية في الحادى عشر قبل غرة ديسمبر في عهد  
القنصلية الثالثة للامبراطور جوستينيان الاقدس على الدوام .

( ٢١ نوفمبر ٥٣٣ م )

(٧)

نص رسالة الأساقفة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين  
أعادهم جوستينيان من المنفى وذهبوا الى القسطنطينية (٥٢٩م) (٧)

أيها الملك المنتصر المتوج بالتمجيد ، ان العديد من الرجال يمجدونك  
لايمانك ، هؤلاء الرجال الذين ينتهزون الفرصة للكتابة عن فضائلك  
نحوهم . واننا لتتقدم بوافر الشكر والثناء ، ونعلن أنك جدير  
بالتمجيد .

وابان وجودنا في الصحراء ، التي في نهاية العالم ، كنا نعيش  
في سكينه وندعو لك بالخير ، ونسأل الله الرحيم merciful God  
أن يغفر خطايانا . ان تواضعك جعلنا نميل الى التواضع ، وخطاباتك  
المؤمنة هي التي جعلتنا نأتى اليك .

والشيء الذى يثير الدهشة لنا أنكم لم تقابلوا طلبنا بالاحتقار ،  
بيد أن ردكم جاء وفقا للكرم الفطرى الذى جبلت عليه ، وتعاطفكم معنا ،  
لكى ترفعوا عنا كاهل الألم والأسى .

ولما كان من واجبنا طاعة أوامر جلالتك ، لذلك شددنا الرحال  
وغادرنا الصحراء فى الحال ، وأتيننا أمام قدميك .

وندعو الله الكريم الوهاب

لجلالتكم بالهناء وللملكة بوافر النعم ، وأن ينزل عليكم السكينه والسلام ،  
وأن يجعل كل عاص لكما ، مدحورا تحت قدميكما .

اننا آتيننا لتقدم توسلنا لجلالتكم معلنين ايماننا الحقيقى ، غير راغبين  
فى اقامة أى جدل مع أى انسان فى أى موضوع غير مفيد ، حتى لا نثير  
مضايقات لجلالتكم ، لأنه من الصعب على أى انسان أن يقنع أشخاصا  
يميلون للمشاكسة مع أنه فى قدرته اظهار الحقيقة .

ونرفض أن ندخل فى جدل مع المشاكسين ، الذين لم تتح لهم  
فرصة التعليم على يد المتفقيين فى الدين .

اننا أيها الملك المنتصر نؤكد اعلان حرية عقيدتنا مع أننا ابان وجودنا  
فى الصحراء ، وعندما تسلمنا أمركم عن طريق الدوق ثيودوتوس  
Theodotus كتبنا ، وأعلنا ما نعتقد ، وتشفعم بدعوتنا للحضور  
الى القسطنطينية .



وحيث اننا نحظى بنعم الله ، لذلك فاننا نتوسل ابلاغ جلالتك  
بمعتقدنا القويم الذى بنعمة الله تلمسناه من آباءنا منذ طفولتنا وشبنا  
عليه .

ونعتقد بما قاله آباء الكنيسة الأول ، وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر  
الذين صاغوا ( قانون ) الايمان ، draw up the faith ( فى مجمع  
نيقية ٣٢٥ م ) ، وكذلك الآباء المائة والخمسون الذين صدقوا عليه هنا  
( فى القسطنطينية فى المجمع المسكونى الثانى ٣٨١ م ) ، والأساقفة  
الأتقياء الذين اجتمعوا فى افسسوس ( ٤٣١ م ) . ونعارض نسطور  
الكافر .

وعلى هذا الايمان ، وهو ايمان آباءنا الأوائل ، تم تعميدنا ، وعليه  
نقوم بالتعميد ، وهذا الايمان المنقذ الراسخ فى قلوبنا ، وهو الايمان  
الوحيد الذى نعترف به ، ونرفض غيره ، لأن ايماننا كامل من كل الوجوه  
ولن يصيبه الهرم أو يحتاج الى تجديد .

ونعترف بعبادة الثالوث الأقدس فى طبيعة واحدة ، الاله المعروف  
فى ثلاثة أقانيم ، لأننا نعبد الآب ، وابنه الوحيد ، كلمة الله ، الذى ولد  
منه ولادة أبدية قبل كل الدهور ، ومعه دائما دون تغير والروح القدس  
الذى انبثق من الآب ومن جوهر الآب والابن .

ونؤمن أن أحد الأقانيم لهذا الثالوث الأقدس تجسد من الروح  
القدس والعذراء المقدسة مريم أم الاله ، فى آخر الزمان ، من أجل خلاص  
البشر ، فى جسد ، وبروح عاقلة مفكرة ، تفوق جوهرنا ، وصار بشرا  
ولم يتغير جوهره .

ولذلك فهو اله كامل ابن الله الذى لم يتغير . ، صار بشرا كاملا ،  
وضحى من أجل خلاصنا . وليس كما يقول أبولينار Apollinaris  
الأحمق ، الذى يقول أن الناحية الانسانية فى كلمة الله ، لم تكن كاملة ،  
وطبقا لرأيه ، فانه يحرمنا من نواحي لها أهميتها الرئيسية فى خلاصنا ،  
لأن عقلنا ليس متحد معه ، وفقا لقوله على نحو مناف للعقل ، وحينئذ  
ليس لنا خلاص .

والحقيقة أن الاله الكامل صار بشرا كاملا دون تغيير ، من أجلنا وأن  
كلمة الله لم يترك أى شئ تحتاجه الناحية الانسانية ، وليس مجرد صورة  
مثالية لله ، كما تصور ماني الكافر أو اوتيوخا Eutyches الآثم .

ونؤمن أن المسيح لا يعرف الكذب أو الخداع لأنه اله الحقيقة ،  
وأن كلمة الله أصبح ذا طبيعة وشكل جسدى بالحقيقة وليس فى الشكل .  
ونؤمن أن له انفعالات طبيعية وصادقة ، لأنه برغبته ، ومن أجلنا تجسد  
وذاق الموت ، ووهبنا الحياة ، ببعث يناسب اله ، ونؤمن بأن جسده غير  
قابل للفساد وأبدى بالنسبة لطبيعته الانسانية .

(أ)

« نوفلا ٤٢ لسنة ٥٣٦م ضد قطبى أتباع الطبيعة الواحدة »

انثيموس وساويرس (أ)

المقدمة :

عندما تصدر هذا القانون ، فاننا نقوم بعمل من صميم سلطتنا  
الامبراطورية ، ففى كل مرة يترك فيها الأمر لرجال الكنيسة نجد أن  
جهودهم قد وضعت على الكرسي الأسقفى رجالا غير جديرين بهذا المنصب  
المقدس ( مثل نسطور Nestorius وأوتيوخوس Eutychus وأريوس  
Arius ومقدونيوس Macedonius وأونوميوس Eunomius  
وآخرين لا يقلون عنهم ضللا ) ، هذا فى الوقت الذى ظلت فيه السلطة  
الامبراطورية تؤيد وتدعم منصب الكهانة ، مستهدفين أنه وفقا لتقدير اتنا  
الصحيحة ، فانه بالإمكان اقامة تناسق واحد يشمل السلطة الدينية  
والسلطة العلمانية .

ومن بين هؤلاء ما حدث من أنثيموس Anthimus الذى أجبره  
قداسة أجاييتوس Anthimus طيب الذكرى ، أسقف أقدس الكنائس  
فى روما القديمة ، على النزول من فوق العرش الأسقفى لهذه العاصمة  
[ القسطنطينية ] . وذلك لأن انثيموس ، دنس كل القوانين المقدسة ،  
واغتصب العرش الأسقفى بلا أدنى حق ، ولأن أنثيموس ابتعد عن التعاليم  
الصحيحة وطرح جانبا المعتقدات التى تظاهر بالإيمان بها ، ومقدما العديد  
من الدعاوى ، على أنه يسير وفقا للمجامع الأربعة المقدسة [ للأساقفة  
الثلاثمائة والثمانية عشر فى نيقية ٣٢٥م ، والمائة والخمسون فى  
القسطنطينية ٣٨١م ، والمائتين فى افسوس ٤٣١م ، والستمائة والخمسون  
فى خلقيدونية ٤٥١م ] ، مع أنه فى الحقيقة لم يقبل قوانين هذه المجامع  
أو ينتهز فرصة كرمنا وتصرفاتنا الحكيمة التى أبديناها من أجل تأييد  
خلاصنا جميعا .

## الفصل الأول :

ولهذه الأسباب جميعها ، وواضعين فى الاعتبار ، قرار عزل أنثيموس الذى أصدره السنودس المقدس ، وفقا للقوانين المقدسة ، ولأنه استولى على المقاعد المقدسة فى هذه المدينة الامبراطورية ، ولابتعاده على الايمان الصحيح ، لذلك كله فان سلطتنا الامبراطورية تعلن أنه منشق ونصدر ضده القانون التالى :

اننا نمنعه من الإقامة فى هذه المدينة السعيدة [ القسطنطينية ] ، أو فى دائرة اختصاصه ، أو أى مدينة كبيرة أيا كانت . ونأمره بالتزام الهدوء والصمت فى حياته ، وأن يعيش بين أولئك الذين سيطرت الضلالات على نفوسهم على ألا يتصل بأحد من رعايانا ، أو أن يحاول تعليمهم معتقداته الدينية الملعونة .

١ - ونصدق أيضا على الحكم على كل الكراسى البطريركية أو الحبرية ( ورؤساء الرهبان ) ، الذين يعترضون على لعن ساويرس الذى بمخالفته للقوانين المقدسة للكرسى الأسقفى فى أنطاكية ، وهو المسئول الى حد كبير عن افساد كل الأمور والذى أتاح الفرصة الى قيام الاضطرابات الشديدة التى أحدثت فتنة كبرى وشنيعة بين الكنائس المقدسة . وشهدت الجهود السابقة ، التى تفوقنا عليها ، صدور حكم اللعنة ضد الشخص السالف الذكر ( ساويرس ) بسبب البلبلة التى أثارها ، وهجومه على مبادئ الايمان الصحيح ، كما صدرت أيضا اللعنة ضد أولئك الذين يؤمنون بالأراء الضالة ، والمبادئ الخارجة على الكنيسة الرسمية ، وهم اتباع نسطور وأوتيجا . وهذه المعتقدات بالرغم من تعارضها مع بعضها البعض ، الا أنها مشتركة فى نفس الأهداف الضالة . وتشير على نفس النهج ، ملتزمة بأراء أريوس وأبولينار Appollinaire وكلاهما يسيران فى نفس الطريق المؤدى الى هلاك الروح ، وأن الذى يعتنق مبادئ أحدهما يقع فى الضلال ، ويصبح آثما سواء اعتنق مبادئ نسطور أو أوتيجا .

٢ - ونتيجة لذلك ، فان ساويرس سيظل موصوما باللعنة ، التى أصدرها ضده المجلس البطريركى العالمى والحبرى والديرى ، وسيظل مطرودا من كنيسة أنطاكية ، ومرفوضا من كرسىه الاسقفى ، الذى جلس عليه دون حق شرعى ، والذى احتله فى نفس الوقت الذى كان فيه سلفه موجودا أيضا بالكنائس المقدسة ، وأنه قام بطرد سلفه واحتل مكانه الأسقفى .

وحيث أن ساويرس لم يتوقف عن الاستمرار فيما حاولنا ارجاعه

عنه ، وبالرغم من وقوعه تحت طائلة اللعنة العامة من الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية إلا أنه ملأ دولتنا بعدد لا حصر له من المؤلفات التي احتوت على تهجم بغیض على الايمان المسيحي . ولذلك فاننا نمنع كل رعايانا من اقتناء مؤلفاته . وفى نفس الوقت ليس من المسموح اقتناء الكتب المخطوطة الخاصة بنسطور ( ولقد توسع أسلافنا من الأباطرة فى هذا الأمر ، وشملوا أيضا حظر أحاديث ومقالات بورفير Porphyre ضد المسيحيين ) ، وفى نفس الوقت أى مسيحي لا يجوز له اقتناء كتابات ساويرس ، التى سوف ينظر اليها على أنها كتب مدنسة وتتعارض مع الكنيسة الكاثوليكية . وسوف يتم احراق كل من يحتفظ بكتابات ساويرس مالم يسرع فى التخلص منها .

واننا نحظر نسخ وكتابة مؤلفات ساويرس على يد أى من النساخ والعقوبة التى حددناها ، لذلك هى قطع اليد اليمنى ، واننا نرغب فى عدم اذاعة هذا الخروج الشنيع على الايمان المسيحي فى المستقبل .

٣ - وأخيرا فاننا نأمر بمنع ساويرس من دخول هذه المدينة الملكية ( القسطنطينية ) ونمنعه من دخول دائرة اختصاصه الاسقفى ، وكذلك كل المدن الكبرى ونلزمه أن يعيش فى عزلة فى أى مكان ، وأن يلتزم الصمت وألا يحاول افساد المؤمنين ، وألا يجرحهم الى المقولات التى تتعارض مع الايمان المسيحي ، وألا يبتكر مرة ثانية آراء مخالفة لآراء غالبية المسيحيين ، مستهدفا اشاعة الفوضى والبلبلة بين كنائسنا المقدسة .

(٩)

« نوفلا ١٤٦ لسنة ٥٥٣م ، عن السماح لكل اليهود »  
باستعمال الترجمة اللاتينية أو اليونانية لكتبهم المقدسة (٩)

المقدمة :

على أولئك الذين يؤمنون بالكتب المقدسة العبرية ألا يتمسكوا بالمعنى الحرفى فحسب ، بيد أنه يجب عليهم أيضا أن يتفكروا مليا فى النبوءات التى تضمنتها هذه الكتب ، والتى بشرت بيسوع المسيح مخلص البشرية . ان اقرار اليهود للترجمات الغير دقيقة الى وقتنا هذا ، أدى الى أن ضلوا سبيل المبادئ الصحيحة للعقيدة ، كما ظلوا فى نزاع فى هذا الصدد . واننا لا نريد أن يستمر هذا الأمر زمنا طويلا ، وبخاصة أنهم عرضوا علينا أنهم لا يعرفون اللغة العبرية ، مع رغبتهم فى تلاوة كتبهم

المقدسة ، وأصبحوا فى حيرة من أمرهم لذلك فاننا نعتقد أن من واجبنا السماح لهم بتلاوة هذه الكتب ليس فقط باللغة اليونانية ، ولكن أيضا بكل اللغات الأخرى التى يعرفها المستمعون لها .

## الفصل الأول :

اننا نسمح لليهود ، فى كل مكان ، بتلاوة كتبهم المقدسة مع الأشخاص المجتمعين معهم فى معابدهم باللغة اليونانية ، أو اللاتينية أو أى لغة أخرى ، شريطة ألا يوجد خلاف بين ما يقرأ فى مكان عن مكان آخر ، لكى تكون تلاوة كتبهم المقدسة مفهومة للجميع .

غير أننا لا نسمح للمترجمين من اللغة العبرية الى اللغات الأخرى بتحريف النص ، وإخفاء تزويرهم تحت ذريعة عدم معرفتهم لكثير من الشخصيات .

وعلى أولئك الذين يتلون الكتب المقدسة باللغة اليونانية ، استعمال الترجمة السبعينية Septuaginta ، التى يمكن اعتبارها الأكثر ضوابة والأفضل ، حيث أن من قاموا بترجمتها ، برغم عدم ارتباط بعضهم ببعض لأنهم عاشوا فى أماكن متفرقة الا أننا نتفق معهم فى الترجمة التى وضعناها .

والواقع أن ترجمتنا لن تكون مئثار دهشة لهؤلاء القوم ، وان كانت تفوق فى الإشارة الى التنبؤ بقدوم مخلصنا يسوع المسيح ، وهذه الإشارة قدمت البشارات المذكورة فى الكتب المقدسة ، كما هى موضحة ، وكأنها تمت بنعمة الكشف عن المستقبل .

ودون أن نستبعد الترجمات الأخرى ، فاننا نأذن لليهود باستعمال ترجمة أكوليوس Aquilius بالرغم من غموضها ، وأنها لا تتشابه مع الترجمة السبعينية فى بعض المواضع .

بيد أننا نمنع منعا باتا استعمال الترجمة التى يطلق عليها اليهود النسخة الثانية لأنها ليست فى عداد الكتب المقدسة ، فهى ليست على ما جاء به الأنبياء والرسل ، وهى من صنع بنات أفكار هؤلاء القوم الذين لا يتحدثون الا عن الأمور الدنيوية .

وعلى اليهود تلاوة الكلام المقدس ، وعدم قبول الترجمات التى لا نوافق عليها ، وعدم الاحتفاظ بكل ما هو غير صادق وحقيقى ، من المأثورات الشفوية وغير المكتوبة وألا يبتكروا ما فيه الهلاك الأبدى للضعفاء والسذج .

على أنه لكي لا يكون أولئك الذين يترجمون الى اللغة اليونانية أو اللغات الأخرى ، في حالة قلق بسبب الحق الذي منحناه لهم ، وحتى لا يتمكن كائن من كان من منعهم من الانتفاع بما منحناه ، لذلك فأننا نمنع ما يسميه اليهود ، ( كبار الأحرار أو السادة ) ، من صب اللعنات على الذين يترجمون كتبهم المقدسة الا اذا لم يعبأون بالتعرض الى العقوبات البدنية ومصادرة أموالهم ذلك لأننا نأمر بما هو خير وبما يرضى عنه الله .

## الفصل الثاني :

واذا ما تجرأ ، بعض الأشخاص ، وكان في حوزتهم مخطوطات وثنية ، أو أنكروا البعث ، أو يوم الحساب ، أو وجود الله ، أو أنكروا أن الملائكة من مخلوقاته ، فأننا نأمر بطردهم من كل مكان ، ومنعهم من ترديد هذه الأقوال ، ونأمر بتنفيذ عقوبة الاعدام ، لاستئصال مثل هذه الآثام من بين اليهود الذين لا يعترفون بالاله الحق .

## الفصل الثالث :

اننا سمحنا لليهود باستخدام كل اللغات عند تلاوة كتبهم المقدسة على النحو الذي يعلمهم التعاليم التي احتوتها هذه الكتب وأن يحرزوا تقدما سريعا نحو الخير والفضيلة ، بعد أن يكونوا قد نظروا الى المعنى المقدس في النص ، دون الالتزام بالمعنى الحرفي ، حتى لا يقعوا في الخطأ ، ويرتكبوا الآثام في الأمور الغاية في الأهمية ، ونعني بها ، الأمل في الله .

(١٠)

« نوفلا ١٣٢ لسنة ٥٥٤م بشأن حظر الطوائف الدينية »

المخالفة لمذهب الدولة من عقد الاجتماعات (١٠)

اننا نعتقد أن الايمان بالدين المسيحي هو أول وأعظم النعم لكل الجنس البشري ، اذ أنه حق ولا ريب فيه ، ونعتقد أنه اذا ما تعاون الكهنة المقدسون في كل أنحاء العالم ، وبشروا بالايمان المسيحي الأرثوذكسي ، فان كل دعاوى ( الهرطقة ) تصبح باطلة وغير ذي معنى .

ان هذه هي سياستنا التي أفصحنا عنها في كثير من القرارات والقوانين التي أصدرناها .

ولما كان ( الهرطقة ) ، ليس لديهم أى احساس بمخافة الله ،  
أو التفكير فى العقوبات الصارمة التى أصدرناها ضدهم ، ومازالوا  
يصرون على اطاعة الشيطان والتغريب ببعض البسطاء من الناس ،  
والاستمرار فى عقد الاجتماعات السرية التى تتعارض مع كنيسة الله  
الكاثوليكية المقدسة والرسولية ، وممارسة التعميد المحظور فأننا نعتبر  
أنه من واجبتنا المقدس ، أن نحذر هؤلاء الآثمين ، لعلمهم يكفون عن جنونهم  
وألا يؤدى مكرهم الى هلاك الأرواح ، فى الوقت الذى يتعين عليهم  
الانضواء تحت كنيسة الله المقدسة ، حيث التعاليم الصادقة .

ونعلن أن كل ( الهرطقات ) ، بكل مؤيديها موقع عليهم الحرمان  
الكنسى [ اللعنة ] .

ويجب أن يكون معروفا للجميع أنه من الآن فصاعدا ، اذا ما وجد  
أى شخص يدعو الى عقد هذه الاجتماعات المحظورة ، أو حضر هذه  
الاجتماعات التى يدعو اليها هؤلاء ( الهرطقة ) فأننا لن نسمح بحدوث  
مثل هذا الأمر بأية حال على الاطلاق ، مع توقيع العقوبات المنصوص عليها  
فى قوانيننا السابقة على هؤلاء جميعا بكل الطرق الممكنة .

صدر فى القسطنطينية فى الرابع عشر من أبريل ، فى عصر  
الامبراطور جوستينيان العلى الشأن على الدوام ، أثناء قنصلية باسيلئوس .

( ١١ )

« نوفلا ١٢٩ لسنة ٥٤٢م عن السامريين » (١١)

المقدمة :

من بين الجرائم التى يقتربها رعايانا ، لا يوجد أخطر من تلك التى  
لا نستطيع قمعها . وان بغضنا لأولئك الذين استسلموا للآثام حملنا  
على الانتقام ، وفى هذه الأثناء لم نقم بمعالجة الموقف بأسلوب التحذيرات  
لمرتكبي الجرائم ، وانما حولنا غضبنا الحق ، الى عفو ورحمة ، وكرسنا  
أنفسنا للعمل الطيب ، وذلك باصدار هذه الرسالة القانونية .

لقد ابتلينا فيما مضى بالعديد من النكبات على أيدي السامريين ،  
الذين كانوا فى ذلك الحين ألد أعداء المسيحيين والذين كانوا فى غاية  
الكبرياء والتعالى ، ولذلك فأننا حرمانهم من حق عمل الوصايا ، التى  
تنتقل الى ورثتهم الا اذا كانوا ورثة شرعيين ، ويعتقدون الايمان المسيحي

الحق • ومنعناهم من الوصايا بالهبات أو التبرعات أو نقل الملكية مهما كانت ثروتهم طالما لم يعلن المستفيد من الارث عن اعتناقه للايمان الكاثوليكي • وبالرغم من أننا أوضحنا هذه العقوبات فى قانون شامل ، الا أننا لم نلجأ الى نفس العنف عند تطبيقه لأننا لم نكن نعانى على الإطلاق من حاجتنا الى الأموال ، وأن هذا ذكر صراحة فى قانون •

## الفصل الأول :

والآن فان تصرفنا باعتدال تجاه السامريين ، نعتقد أنه كان فى غير موضعه ، عندما تركنا تنفيذ نفس العقوبات ضد هؤلاء القوم الذين لم يعودوا ضمن رعايانا بعد سبب ضلالتهم •

ونؤيد التماسات وشكاوى القديس الطاهر سيرجيوس . Sergius أسقف مدينة قيصرية ( بفلسطين ) ونقر ما جاء بها ، بدليل أننا نشهد لصالحها وفضلها فى عودة الهدوء من أجل المستقبل •

اننا أصدرنا هذا القانون المقدس من أجل أن نسمح للسامريين ، فى العمل منذ اليوم ، فى تنفيذ الوصايا ، وفى التصرف فى ثرواتهم ، ملتزمين بالقوانين الأخرى ، والقانون الحالى • وعند وفاة أحدهم دون وصية ، فأننا نسمح لهم اقتداء بالرجال الآخرين الذين لهم ورثة شرعيون مع الالتزام بالاستثناءات المذكورة فى قانوننا الحالى •

واننا نمنح السامريين الحق فى اعطاء التبرعات وفى منح وتقبل الهبات بالوصية وممارسة الأعمال الأخرى المشابهة بكامل الحرية لأنه طالما أننا سمحنا لهم بكتابة الوصية والتصرف فى ثرواتهم بالكامل ، فكيف نرفض لهم الحق فى التصرف الجزئى ؟ •

على أننا لا نضع ورثة المسيحيين وورثة السامريين فى نفس المرتبة ، وانما نمنح ميزة لأولئك الذين يعلنون عن ايمانهم الأفضل [ يقصد المسيحية ] • وفى حالة وفاة سامرى دون كتابة وصية ، وترك أبناء يؤمنون بالاله الحق ، فان هؤلاء لهم الحق فى الميراث ، أما أولئك الذين ظلوا على ضلالتهم فليس لهم الحق فى الميراث مما ترك المتوفى •

ونطبق هذا الحكم القانونى ليس فقط على الأبناء ، ولكن أيضا على الأقارب الآخرين ، والذين يمتون بصلة للمتوفى ، بحيث نفضل هؤلاء الذين يؤمنون بالايمان المسيحى على أولئك الذين لا يؤمنون •



### الفصل الثالث

اننا لا نحرم الورثة من ممارسة سر التوبة لأنه اذا كان هؤلاء محرومين من الارث بسبب ضلالتهم ، وأرادوا اعتناق المسيحية ، فانه يحق لهم الحصول على الميراث ، بنفس القدر الذى يحق لأولئك الذين كانوا يعيشون دائما وفقا للدين الحق [ المسيحية ] ، الا اذا كانوا محرومين من حقهم فى الميراث ، وحدث ذلك منذ تاريخ وفاة المتوفى .

واذا كتب أحد السامريين وصية ، فاننا نأمر أن يكون لها الصلاحية القانونية . غير أنه اذا كان الابن أو أحد من الأعقاب ( أو من نفس الأسلاف ) الذين ذكرتهم الوصية ، من بين أولئك الذين يعتنقون الضلال مثل الوالد ، فاننا لا نسمح لهم بالحصول على شيء من الثروة التى يحصل عليها الذين يدينون دين الحق . ونتيجة لذلك فاننا نسمح فى كل الأحوال بحصول الذين يعلنون عن ايمانهم بالدين الحق [ المسيحية ] بنصيبهم فى الوصية دون منازع من الأسلاف أو الأخلاف .

### الفصل الرابع :

اننا نسمح للسامريين بعمل وثائق الهبات والتصرف فى العبيد وابرام العقود المتبادلة على ألا ينسخ هذا القانون أيا من الأحكام القانونية التى أصدرناها بخصوص خزانة دولتنا ، وكذلك ما يتعلق بالضرائب العامة على الشركات ، والأموال التى فى حوزة السامريين مهما كانت قيمتها . وأصدرنا هذه الأحكام القانونية ، ليس فقط من أجل المستقبل ولكن أيضا باثر رجعى ، وذلك لصالح خزانة دولتنا ، ولحصر ثروة السامريين .

وأصدرنا هذا السماح للسامريين ابتغاء تقديم الشكر لله ، وتحقيقا لمطلب قداسة سرجيوس .

(١٢)

« نوفلا » ١٤٤ لسنة ٥٥٦ م عن السامريين « (١٢)

### المقدمة :

اننا نكرس وقتنا باستمرار من أجل العمل على انتشال السامريين من ضلالتهم ، ومن أجل علاج أنفسهم التى أفسدتها هذه الآثام ، تشبها بالملك التقى والدنا [ يقصد خاله جوستين ] .

غير أننا لم نحقق بعد الغاية التي حددناها لأنفسنا ، لأن كثيرا من الناس قد استسلموا للضلال ، بعد أن كانوا قد نعموا بالمعمودية المقدسة ، ولذلك عادوا الى غيهم ، الذي كانوا قد نجوا منه ، بل وأنهم استمالوا اليهم الآخرين الذين لم يخشوا عواقب مشاركتهم في ضلالهم بنفس القدر من التهور والاندفاع .

### الفصل الأول :

ولهذا فأننا نحرّمهم من حق الوراثة بالوصية أو بالطريق الشرعى ، ونحرّمهم من الحصول على الهبات وألا يحصلوا على شىء اطلاقا تحت اسم وثيقة هبة . ويسرى هذا الحظر على السامريين ، وعلى كل ( الهراطقة ) بصفة عامة ، وعلى أولئك الذين يتظاهرون باعتناق عقيدة المسيحيين الحقّة ، على سبيل النفاق والخداع ، دون الالتزام بالمبادئ الأساسية للمسيحية . ولن يحق لهم جميعا كتابة الوصايا ، أو الهبات ، أو منح العطايا ، الا اذا كان مستحقها قد صح إيمانهم .

واذا لم يكن ورثة السامريين يدينون بالمسيحية فأننا نأمر من الآن فصاعدا ، بأنه عند وفاة أحدهم تصبح كل ثرواته حقا للخزانة المقدسة . وينجم عن هذه التنظيمات القانونية أن الصيغة المقدسة التى قد أصدرها والدنا [ يقصد خاله جوستين ] بهدف التسامح مع السامريين ، والتى لها قوة القانون ، حيث أعطاهم الحق فى قبول وانتقال الارث ، كما يتم فى الهبات والوصية والمسموح بها للآخرين ، فإنها تصبح لا غنية وغير ذات موضوع من الآن فصاعدا .

وهؤلاء الذين استسلموا للضلال من السامريين ، لم يحاولوا العودة للاستفادة من قانوننا ، لذلك فإنهم سيحرمون أنفسهم من رحمة الهنا وربنا يسوع المسيح ، وسنحرّمهم من الخيرات التى كنا فى الماضى نمنحها لهم ، لكى يعضوا بالنواجذ على العقيدة القويمة .

### الفصل الثانى :

ونستثنى من هذا القانون الحالى ، الأقنان الذين اعتنقوا ضلالات السامريين ، ليس مجرد اسداء الجميل لهم ، وإنما لأنهم يفلحون أراضى التراكات التى تحمل منها الايرادات والضرائب الى خزانة الدولة ، ولأن سداجتهم تساعد على اضلالهم .

ونسبح لهؤلاء الأتقان - برغم اقامتهم شعائر السامريين - بتعيين الورثة أو الموصى لهم بكل الثروة أو المال ، الى درجة الأسلاف أو الأخلاف ، أو الأقارب ، شريطة أن يستمروا فى فلاحه الأرض ، على غرار ما كان يفعل ساداتها ، وذلك بانتاج أفضل المحاصيل وسداد كل الضرائب لحزنة الدولة .

ولنفس السبب نسمح للأتقان بأن يصيروا ورثة بلا وصية ، ونود أيضا أنه فى حالة وفاة أحد الأتقان دون أقارب فانه على المشرف على التركة جنى المحصول وتسليمه الى الدولة بمعرفته .

اننا نمنع تكليف السامريين بأى أمر يسمح لهم بالوصول الى الادارات المدنية ، أو المشول أمام القضاء أولقاء الأحاديث الدينية أو تعليم الصغار .

ان السامريين الذين نعموا بالمعمودية ، ثم ارتدوا الى ضلالهم السابق ، وتم ضبطهم يراقبون ظهور القمر ليلا فى محفل السبب Sabbatha أو يقيمون بعض الشعائر الأخرى ، والذين ثبت أن تعميدهم لم يكن الا من قبل الخداع والنفاق ، فاننا نأمر بإبعادهم ونفيهم مدى الحياة .

كما نطبق نفس العقوبات على المتسترين عليهم . غير أنه يبدو لنا ، أن أولئك الذين يطلبون التعميد المقدس لا يصح أن يتم قبولهم جزافا ، وانما نريد أن تجرى لهم اختبارات وأن يتم تلقيهم أصول العقيدة فى فترة المسارة ratio-initiation [ وهى احتفالات كانت تقام لايقاف عضو جديد على بعض أسرار الديانات القديمة ] .

وكذلك نأمر أن أولئك الذين استطاعوا أن يتفهموا العقيدة الصالحة [ يقصد المسيحية ] يجب عليهم أن يتعلموا مبادئ الايمان لمدة عامين ، وأن يدرسوا الكتب المقدسة أولا ثم بعدئذ يتقدمون للتعميد المقدس من أجل الخلاص ، وبذلك ثمرة السر ، بعد هذه الفترة الطويلة من التوبة والندم . على أن هذا الشرط لا ينطبق على الأبناء الصغار لأن سنهم لا يسمح لهم بتفهم الايمان المقدس ، ومن ثم يتم تعميدهم دون قيد أو شرط .

ونأمر بأنه لا يجوز لأى سامرى أن يقتنى عبدا مسيحيا ، واذا ما اشترى عبدا مسيحيا ، فإن هذا العبد يعتق فوراً ، واذا ما اعتنق عبد مملوك لأحد السامريين الايمان المسيحي ، فإن هذا العبد يجب أن يحصل على الحرية الرومانية .

« نوفلا ٥ لسنة ٥٣٥م عن الرهبان » (١٣)

#### المقدمة :

ان الحياة الرهبانية حياة مثالية لأنها تتيح للانسان الذى يعتنق الرهبنة ، أرغد الحياة مع الله ، وتطهر الراهب من كل الخطايا الانسانية ، وتجعله طاهرا ، ولين العريكة ، وواسع المعرفة ، ومترفعا عن الكبائر والآثام .

واذا ما أراد أى شخص الانخراط فى سلك الرهبنة عليه بالاستتماع الى العلوم اللاهوتية ، والتحلل بالاستقامة ، وبدخوله الدير يصبح أهلا لهما معا .

ونعتقد أنه من الواجب علينا الاهتمام بالرهبان ، وأن نضع لهم خطة العمل المقدس لأن هدفنا من القانون الحالى ألا نألوا جهدا فى تدبير كل ما يعينهم ، بعد أن قمنا بتنظيم كل ما يتعلق بالأساقفة المقدسين والكهنة الموقرين .

#### الفصل الأول :

اننا نأمر بأنه لا يجوز لأى شخص ، فى أى زمان وفى أى مكان ، بناء دير قبل ابلاغ أسقف الأبرشية الذى يقوم بتكريسه ، ووضع رمز الخلاص ( الصليب ) ورافعا يديه الى السماء ، ومحددا رئيسا لهذا الدير ثم يبدأ العمل فى اقامة المبنى وفقا لأصلح قواعد البناء .

#### الفصل الثانى :

وبالنسبة لحالات الالتحاق ، فانه يحق للعبد كما يحق للحر الانضمام الى الدير ، حيث لا يصح أن يكون هناك فرق بين الرجل والمرأة بسبب العبادة ، ولا بين الحر والعبد ، فالكل سواء فى المسيح . وعلى ذلك فان الذين يبلغون عن رغبتهم فى التعبد وفقا لقوانين الرهبنة المقدسة لا يسمح لهم رؤساء الأديرة بارتداء الثوب الديرى على الفور ، وانما عليهم الانتظار ثلاث سنوات متتالية سواء آكانوا أحرارا أم عبيدا ، ليتعلموا خلالها علم اللاهوت ، ثم يقام لهم أكليل الرأس [ دائرة مخلوقة فى قمة رأس رجل الاكليروس ] ، وأن يعرف منهم رؤساء الأديرة ان كانوا أحرارا أم عبيدا وعن الدافع الذى حدا بهم الى الانخراط فى البسلك الديرى .

وبعد التأكد من عدم وجود دافع جنائي حملهم على الانخراط فى سلك الرهبنة ، يسمح لهم بالانتقال من عداد المبتدئين فى الرهبنة الى الحياة الجديدة للرهبان حيث الصبر والاستقامة ، والمعاناة الكثيرة .

١ - وبعد ثلاث سنوات من المثابرة من قبل المبتدئين فى الرهبنة ، فانهم سيظهرون أفضل بكثير من الرهبان القدامى ، وأكثر قدرة على التحمل . وحينئذ يكونون مؤهلين لارتداء ثوب الرهبنة ، واكليل الرأس . واذا كانوا أحرارا فعلى رئيس الدير قبولهم دون تعقيدات وأما اذا كانوا عبيدا فانهم يقبلون وفقا للسيادة العامة لكل البشر وتسقط عنهم العبودية ، اذ ان المشيئة الالهية شاءت ان يتحرر هؤلاء العبيد بقوة القانون وحده .

غير أنه اذا ما حدث خلال فترة سنوات التجربة الثلاث ، أن طالب شخص ما باعادة عبده اليه ، والذي يتعلم أصول وقواعد الرهبنة . ففي هذه الحالة اقترح علينا المحب لله زوزيموس Zosimus من ليسانس Lycia وهو رجل مبجل فى الرهبانية ، وناظر العشرين بعد المائة ، ومازال يتمتع بكل قواه الروحية والجسدية ، والذي على يديه أغلق الله علينا من نعمه .

انه اذا ما تقدم شخص ما ابان فترة الترهين [ حالة الراهب قبل التثبيت ] ، من أجل اعادة أحد أولئك الذين أصروا على التشبث بالانخراط فى الحياة الرهبانية الى حياة العبودية مرة ثانية على رغم أنه لجأ الى الدير هروبا من جرائم ارتكبها فاننا لا نريد أن يتم القاء القبض عليه على الفور ، بل يجب أن يثبت سيده أولا أن المترهين عبد تابع له ، وأنه مذنب بجريمة السرقة أو الحياة الفاسدة ، أو ملطخ بالذيلة ، وأن هذه الجرائم هى التى حملته على اللجوء الى الدير .

واذا كان الاتهام صحيحا ، وظهر أن العبد تظاهر بالرغبة فى الحياة الرهبانية واتضح مؤخرا بالدليل القاطع أنه تهرب من حياته الاجرامية ، وأنه لم يكن فى الحقيقة راغبا فى ارتداء ثوب الرهبنة المقدس ، حينئذ يجب اعادته الى سيده ، واعادة كل الأشياء التى سرقها ، اذا كانت موجودة فى الدير . وأن يقسم السيد عند استلام هذا العبد على حسن معاملته له دون أن يصيبه بأى أذى .

٢ - غير أنه اذا لم يقدم الشخص الذى أكد أنه سيد للعبد الدليل الحقيقى ، واذا ما اتضح أن العبد كان مستقيما وعلى خلق مع زملائه من الرهبان الجدد ، واستطاع أن يثبت بالأدلة أنه ابا ن وجوده عند سيده ،

أنه كان مطيعا وصالحا ، ففي هذه الحالة ، وبرغم عدم اكماله لفترة الثلاث سنوات الخاصة بالترهين ، فانه سيبقى فى الدير ، وينجو من المطاردات التى تستهدف اخراجه منه .

على أنه اذا أكمل العبد ثلاث سنوات الترهين ، وثبت أنه جدير بالانضمام تحت شرف الرهبنة فلن يستطيع أحد اخراجه منه لأنه على افتراض أنه مارس الرذائل فى مستهل حياته ( اذ أن النفس البشرية جبلت على الشر ) ، فان السنوات الثلاث من المعاناة والمشقات ستكون كافية للتكفير عن ذنوبه ، وتأصل الطهارة فى نفسه .

غير أنه يتعين إعادة كل الأشياء المسروقة بمعرفة الراهب العبد ( اذا كانت موجودة فى الدير ) ، الى سيده القديم .

٣ - واذا ما سولت نفس العبد المترهين الهروب من الدير واختيار نمط آخر للحياة بعد هروبه من سيده ، فاننا نسمح لسيده باسترداده ، بعد التحقق من حالته . لأن عند عودته الى حالته الأولى ، سيلقى لعنة أقل خطورة عن تلك التى سيتعرض لها عند الله اذا ما هرب من عبادته . وهذه هى أوامرنا تجاه كل من يرغب فى الانخراط فى السلك الديرى .

### الفصل الثالث :

اننا لا نريد أن يقام دير فى أى جزء من الامبراطورية ومكونا من قليل أو كثير من الرهبان الذين يكونون شيعا منفصلة عن بعضها البعض ، مستخدمين مباني خاصة بهم ، وانما نريد أن يتبادلوا طعامهم معا ، وأن يناموا معا فى نفس المبنى ، وأن يضم الرهبان دير واحد .

وفى حالة ما اذا كان المبنى كافيا لاستيعاب عدد كبير من الرهبان ، فعندئذ سيتم توزيعهم على ديرين أو أكثر على ألا يفصل الرهبان ويعيش كل بمفرده ، وانما يجب أن يعيشوا دائما عيشة جماعية ، لكى يكونوا شهداء على عفتهم وطهارة نفوسهم بالتبادل . وطهارتهم وعفتهم فى منامهم ، وأنهم لا يفكرون فى المنفعة المادية لثلا يستنكر أحد ما تصرفاتهم .

ويستثنى من ذلك الراهب الذى يلجأ الى مضيعة دينية hospitus لكى يعيش فى حالة من التأمل والاستغراق الدينى ، ويعزل نفسه عن الناس ( مثل أولئك الذين يطلق عليهم الزاهدون أو النسّاك ، أو المتعبدون .، ونعنى بهم ، الممارسون لحياة العزلة والانفراد ، أو الذين يعيشون فى سلام متجنبين التعامل مع الناس حتى يكونوا أكثر صلاحا ) .

ونريد أن يجتمع كل الرهبان فى جماعة واحدة ، وأن يعيشوا فى المكان الذى يطلق عليه « دير » وهو التعبير الذى يطلق على المكان حيث يعيش المرء فى جماعة .

وبهذه الطريقة فإن حميتهم تجاه الفضيلة ستزداد ولا سيما عند صغار الرهبان ، الذين يكونون يدا واحدة مع الرهبان الكبار فى السن ، لأنه فى مجتمع كهذا سينصلح حال الرهبان الصغار بدرجة كبيرة .

وبذلك يكون الرهبان متآلفين فى الدير ، ومطيعين لرئيسهم ، وسراعون النظام الذى يضعه لهم بكل دقة .

#### الفصل الرابع :

إذا نذر شخص ما نفسه للحياة الديرية ، وارتدى ثوب الرهبان ثم أراد أن يعتزل الدير ويمارس الحياة الخاصة ، وهو الذى يعلم أن الحياة الديرية ستهىء السبيل لرضى الله ، وتحقق كل ما يتمناه ، عند انضمامه الى الدير يظل معروفا لدى كل رهبان الدير حتى لا يحاول تكرار عودته مرة ثانية للدير .

#### الفصل الخامس :

اننا نأمر الذين يريدون أن يندروا أنفسهم لله ، أن يتصرفوا أولا فى ثرواتهم بالطريقة التى تحلو لهم . ذلك لأن ممتلكات كل من ينخرط فى السلك الديرى تصبح ملكا للدير ويفقد صاحبها حق تملكها ، بالرغم من أنه لم يعلن صراحة عن ذلك فى هذا الصدد .

وفى حالة اذا ما كان الشخص الذى أصبح راهبا وله أطفال ، وحدث أنه كان قد ترك لهم جزءا من ثروته على شكل هبات ante nuptas أو على شكل بائنة ، وأن ما تركه لأطفاله يمشسل ربع الميراث الشرعى abintestat فلا يحق لأطفاله المطالبة فيما بعد بباقي ثروته .

غير أنه لم يعط الوالد لأبنائه شيئا أو ترك لهم أقل من ربع ثروته ، قبل أن يزهد فى الدنيا ، عليه أن يقر بين الرهبان ، ان هذا الربع سيظل دائما من حق الأطفال أو الجزء الذى يكمل ربع الثروة ، اذا ما كانوا قد خصص لهم أقل من الربع .

وأخيرا اذا ما كان لشخص ما زوجة وتركها ودخل الدير ، فإن هذه الزوجة يحق لها مهرها وكل المزايا التى ورد ذكرها فى عقد الزواج .

التي تستفيد منها فى حالة وفاة زوجها ( كما ذكرنا من قبل فى قوانين سابقة ) .

كما أن كل النصوص المذكورة بهالیه ، والمتعلقة بالرهبان ، يجب مراعاتها بالنسبة للنسوة الراغبات فى دخول الأديرة .

### الفصل السادس :

إذا ما لجأ أحد الرهبان الى مغادرة ديرہ بغية التطوع فى الجيش ، أو اختيار نمط حياة آخر ، فان كل ثروته تصير حقا مكتسبا للدير ( كما ذكرنا من قبل ) ، من وضعه تحت مراقبة موظفى حاكم الاقليم لتابعة تصرفاته ، ومحاكمته إذا ما صدر منه ما يسىء الى الحياة الكهنوتية المقدسة .

### الفصل السابع :

إذا ما ترك راهب الدير الذى كان يعيش فيه مع جماعة من الرهبان الى دير آخر ، فان ثروته تظل حقا مكتسبا للدير الأول الذى نقل اليه تلك الثروة عندما زهد فى الدنيا .

ولا يجوز لرؤساء الأديرة الآخرين قبوله ، لأن الحياة الرهبانية لا يسمح فيها ، بالتساهل أو أن تكون علامة الانحلال الدائم ، أو اشارة الى الروح القلقة التى تبحث عن موضع لم تجده على الاطلاق .

وعلى الأساقفة المقدسين ، ورؤساء الأديرة رفض قبوله وعليهم المحافظة على النظم الديرية المقدسة من أجل صيانة المجتمع الديرى .

### الفصل الثامن :

إذا ما أراد أى راهب أن يرسم كرجل من رجال الدين ، فان عليه مراعاة نظام الطائفة الدينية التى ينتمى اليها بكل طهارة وعفة ، وان من يصبح كاهنا ، واستغل الثقة التى وضعت فيه وتزوج ( يوجد درجات كهنوتية بين رجال الدين لا يحرم أولئك الذين يتزوجون مثل المنشدين والقراء ، بمقتضى القوانين المقدسة فان القانون يحرم على كل رجال الدين الآخرين الزواج أو اتخاذ المحظيات ، أو ممارسة حياة الفجور والدعارة ) فانه يتم استبعاده كلية من عداد رجال الدين ، لأنه جلب الحزى لحياته الأولى القائمة على العزلة والتدين مع باقى الرهبان ، ويصبح على الفور



إنسانا عاديا ( بلا منصب ديني ) ، ولن يستطيع مباشرة أى عمل مهما كان ، دون تعرضه للعقوبات التى أصدرناها منذ عهد بعيد .

وأخيرا فإن الراهب الذى يتزوج انما يحط من قدر نفسه فحسب ، هذا الوقت الذى يتحتم عليه أن يحظى برضاء الله عليه وفقا لسلوكه .

### الفصل التاسع :

إننا لا نريد أن تتم رسامة رؤساء الأديرة ( حيث أن أحد الأديرة ضل الطريق القويم ) وفق نظام الأقدمية المطلقة للرهبان المحترمين ، وإنما على قداسة الأسقف اختبار الرهبان الواحد بعد الآخر ( مع عدم اللجوء الى نظام الأقدمية المطلقة أو النظام الذى يضعه الدير لنفسه ) ، وإنما على قداسة الأسقف أن يختار الأكثر احتراما وروعا من بين رهبان الدير ليكون رئيسا على الدير .

والسبب فى ذلك يرجع الى أن الطبيعة البشرية تعترض على أن يكون رؤساء الأديرة قاصرا على الرهبان الذين ناهزوا أرزل العمر أو من بين الرهبان الذين فى مرحلة الصبى .

وأن يكون اختيار الأسقف لرئيس الدير من بين المتقدمين لشغل هذا المنصب مع مراعاة المفاضلة على أساس درجة الكفاية ، والمقدرة ، والتحل بالفضيلة ، والأكبر سنا ، لأنه لابد أن يكون معروفا عند الرهبان بمكانته العالية .

### (١٤)

« نوفلا ١٣٣ لسنة ٥٣٩م عن حياة الرهبان » (١٤)

#### المقدمة :

إن الحياة الرهبانية حياة مقدسة ، فهى تجعل الأرواح متصلة بالله ، ولها فائدة عظيمة ليس فقط لأولئك الذين ينخرطون فى سلكها ، ولكن أيضا لكل الرجال الآخرين ، بفضل طهارة الرهبان وبفضل صسلواتهم لله العلى القدير . إن أحوال الرهبنة تقوى باهتمام أسلافنا ، وقمنا بأنفسنا بإصدار العديد من التشريعات الرامية الى تكريم وتبجيل الرهبان . ونحن فى ذلك نقف على أثر قوانين الرهبنة المقدسة ، والمبادئ التى وضعها الآباء الأول ، والتى وفقا لها لا يصح أن يكون هناك شئ يشغل الامبراطور عنها ، لأنه تسلم مهمة رعاية الرعية من الله .

كما قمنا بإصدار مرسوم امبراطورى ، حرم على الرهبان التجمع بأعداد كبيرة ، كما حرمنا عليهم اللجوء الى المساكن الخاصة أو الحصول على الأموال بصفة فردية أو المعيشة كل على انفراد . وأمرنا أنه من الواجب عليهم أن يأكلوا معا ، ويناموا معا ، وأن يعيشوا حياة فاضلة ، وأن يكونوا شهداء على بعضهم البعض فيما يتعلق بطهارة النفس . وأن يحترم صغار الرهبان كبارهم الذين من واجبهم متابعة تصرفاتهم . وفى نفس الوقت على صغار الرهبان السهر على مراقبة كبارهم خشية أن يرتكب أحدهم أى اثم ، أو أى عمل شائن أثناء نومهم ، وعلى كل راهب أن يصون طهارته وعفته عند النوم .

### الفصل الأول :

على أن المفاصد الأكيدة التى وصلت الى مسامعنا والتى تطلبت معالجتها بالقوانين ، وقدمنا وسائل العلاج بإصدار القوانين ، من أجل الإصلاح ، ومن أجل تكملة المرسوم الامبراطورى السابق .

لقد أصدرنا القانون الحالى الذى فيه منعنا بشدة الرهبان من المبيت فى منازل أو اتخاذ صوامع خصوصية ، الا اذا لم يوجد سواهم .

اننا نأمر أن يكون لكل دير رئيسين . وأن يعيش الرهبان فى تعفف وهذوء وسكينة . واذا ما تجمع الرهبان فى أعداد كبيرة ، فيجب أن يعيشوا حياة مشتركة سواء أكانوا مقتنعين أو سواء كانوا راضيين . لأشباع حاجاتهم الطبيعية ، لكى لا يرتكبوا أى اثم . وأن يكونوا بعيدين عن كل الاتهامات . وأن يأكلوا ويناموا معا .

واننا نأمر ألا تكون هناك ملكية خاصة للراهب ، وأن يكونوا معا باستمرار بحيث يكون فى الامكان المراقبة أثناء الليل والنهار ، لأنهم ينامون جميعا فى وقت واحد ، وحتى لا يرقى الشك الى أحد عندما يغلب النعاس البعض فلا بد من وجود فريق يظل ساهرا لمراقبة سلوك من غلب عليهم النعاس . وعلى الرهبان مراقبة تصرفات بعضهم البعض بالتبادل .

ومن الثابت أنه اذا ما التزم الرهبان بالتشريعات فانهم سيكونون بعيدين عن كل أنواع الآثام بيد أنه اذا ما صدر من أحد هؤلاء الرهبان أى سفاهة بالاقدام على مخالفة تشريعاتنا ، فانه سيعاقب بمعرفة رئيس الدير . لاننا نريد أن يكون النظام الديرى أكثر قوة فى المستقبل .

واننا نمنع الزيارات العديدة للدير . ونريد ألا يدخله سوى شخص أو اثنان على الأكثر من الكبار فى السن ، ومن لهم سمعة حسنة

للقوف على باب الدير ، لمنع الرهبان مع الخروج دون موافقة رئيس الدير لأنه يجب عليهم أن يحافظوا على كل ما يحرك حماسهم نحو الله ، وأن يتجنبوا كل ما يحول دون ذلك ) . وعلى الرهبان أيضا منع دخول الدير بالنهار والليل ، أولئك الذين لا يلتزمون بنظام الرهبان الأجلاء وقفا لنظامهم ، وسيحاط كل دير بأسوار قوية ، حتى لا يستطيع أى شخص من الخارج الدخول سوى من الأبواب .

## الفصل الثانى :

وإذا لم يكن هناك كنيسة فى الدير ، فانه لا يليق أن يكون ذلك ذريعة الرهبان للخروج للنزهة تحت ستار مباح ، ومن أجل الثروة مع أشخاص معينين .

ونأمر أن يخرج الرهبان الى الكنيسة فى أوقات الطقوس المقدسة ، فى صحبة رئيس الدير ، ورؤسائهم ، وكبارهم فى السن وبعد تأدية الطقوس ، عليهم أن يعودوا جميعا الى ديرهم . ليعبدوا الله العلى القدير . وينكبوا على دراسة الكتب المقدسة .

وبناء ذلك سيكون هناك فى الأديرة عدد كبير من هذه الكتب ، لكنى يستطيع كل راهب أن يطهر قلبه وأن يروى ظمأه من كتابات القديسين ، لأنه عند قراءة كتابات القديسين باستمرار ، فانهم لن يتعرضوا فى المستقبل للشعور بخيبة الأمل ، وسكونون بعيدين عن كل الاهتمامات البشرية .

وسيتم إلحاق أربعة أو خمسة من الرهبان الأكبر سنا بكنيسة الدير . الذين يتسمون بالعفة . الجدارة الواجب توافرها فى رجال الاكليروس ، والشمامسة وباقى رجال الدين . وسيكون هؤلاء الرهبان مسئولين عن تعليم وإرشاد باقى الرهبان كل ما يتعلق بالكتب المقدسة ، كما يتولون رعاية كنيسة الدير . على أن يحافظوا على الفضيلة بكل قوة وحزم ، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد دائما للتصدى لمن يتجاوز حدود الاعتدال .

## الفصل الثالث :

ولن يسمح للنساء بدخول دير الرجال ، ولا للرجال بدخول دير النساء بحجة الوفاة ، أو ماتم أحدهم أو تحت أى عذر آخر ، حتى ولو ادعت المرأة أن لها أخا فى دير الرجال ، أو ادعى الرجل أن له أختا فى دير

النساء ، أو أحد أفراد الأسرة لأنه لا توجد قرابة فى حياة الرهبان ، الذين يتفكرون فى الحياة السماوية : ومن جهة أخرى ماذا سيكون هدف أولئك الذين يودون دخول أماكن مقدسة كذلك ، اذا لم يكن من أجل اقتراف ما هو محرم ؟ • مادام من المسموح للرجال بمباشرة كل التصرفات بأنفسهم فيما يتعلق بأديرتهم وأن نفس الحق ممنوح للنساء وفى أديرتهن •

ولن يسمح لأى فرد من كلا الجنسين [ الرهبان والراهبات ] بادخال أحد ، حتى ولو قدم الدليل القاطع على أنه شقيق ، أو شقيقة ، أو قريب ، أو قريبة للراهب ، أو الراهبة •

وإذا ما قضينا كذلك على كل أسباب ارتكاب الانحرافات الخلقية ، وإذا ما منعنا ، بالمتابعة ، الأشخاص الذين لم يسموا بأنفسهم عن الاغراء الذى أصبح شيئا عاديا فى طبيعتهم ، فإن الرهبان سيتمكنون من المعيشة بطريقة أكثر استقامة ، وسيقاومون الشهوات بسهولة أكثر • وسيلاحظون بناء على أنه يكون ثمة قبور للرجال فى أديرة النساء ولن تدفن النساء موتاهن فى أديرة الرجال • ولنفس السبب فإن أعمال النساء لا تتفق مع أعمال الرجال •

لا نريد أن يكون هناك اختلاط معيب للجنسين ، تحت ذريعة جنازات الموتى ، أو ينتج عن ذلك حدوث عمل سيئ وبذلك يفتح باب الفساد ، اذ لا يجوز دخول أى فرد عند الرهبان دون احتشام ، لأن ذلك يؤدى الى الاستخفاف بالأمور المقدسة ، والقليل والقال تحت ستار الورع ، أو بدافع القرابة من الذين لا يفكرون فى الانضمام الى حياة العزلة •

وبناء على ذلك سوف يظل الأفراد القائمين على المقابر ، ممنوعين من دخول الدير ، ولا سيما القراء ، والمناطق اليهم حفر الاحاد : غير أن هذا النص يخص أديرة الرجال ولا ينطبق على أديرة النساء •

١ - كذلك نأمر أنه فى حالة دفن راهبة بدير النساء ( ونظرا لأننا لن نسمح على الإطلاق بوجود رجل عند اللحد ) ، فعلى الراهبات الموقرات أن يقرن فى صومعتهن ، وأن تساعد حاجبة الدير رئيسته ، اذا طلبت الأخيرة منها ذلك عند الدفن • وعلى من يقمن بمهام الجنازة تأديتها بقداسة • وأن يحفرن القبر ، ثم يوارين الجثة التراب • وأن يعدن على الفور دون زيارة الراهبات المحترمات ودون أن يسمح لاحداهن بالزيارة •

ومحظور دخول الرجال أديرة النساء أو العكس ، تحت ذريعة تأدية الصلوات المعتادة عند الجنازة ، ولن يكون هناك عزاء بمناسبة مرور اليوم الثالث أو التاسع أو الأربعون أو العام الأول على الوفاة . وإذا ما التزم الراهبات والرهبان بأوامرنا فلن تحدث الوقاحات والسفاهات التي عانينا منها بالأديرة .

#### الفصل الرابع :

على أنه ، طالما أن نصوص القوانين لا تراعى بكل دقة ، وأن الاهتمام بالمحافظة على التنفيذ لم يعهد به الى أحد . فإننا نأمر كل رئيس دير ، بمتابعة تنفيذ قانون الرهبنة ونظام ديريه بصفة مستمرة ، وعليه معالجة الانحرافات البسيطة على الفور وبحزم ، وألا يسمح بتفشي الرذيلة ، وألا تتعرض الأرواح الى الابتعاد عن السلامة ، وتسقط في الهلاك .

وتتقضى الضرورة في هذه المدينة السعيدة [ يقصد القسطنطينية ] أن يكون هناك رئيس عام للأديرة ، مهمته ، متابعة النظام الديرى بكل عناية . وأن يرسل مندوبين عنه للأديرة بالعاصمة والمناطق المجاورة لها ، وعليه بردع أى تصرف إجرامى داخل الدير بكل الاجراءات الملائمة والعادلة .

ونأمر أن يشرف أسقف كل مدينة ، والبطريرك أو رئيس الأساقفة بإرسال المدافعين المحترمين الى الأديرة لدرء المفسد والمحافظة على قانون الرهبنة والتصدى للأمور المخلة بالآداب وردع القلاقل والاضطرابات .

وسوف تخضع الأديرة لتفتيش قداسة بطريرك العاصمة السعيدة . على أن يقوم بتعيين المدافعين المسئولين عن كنيسة الحكمة الالهية (أياصوفيا) للإشراف على الأديرة والفصل فى المنازعات بمنتهى الأمانة والاستقامة وكذلك التصدى لكل الجرائم بالعقوبات الصارمة ومراعاة تنفيذ القانون الديرى على أكمل وجه .

#### الفصل الخامس :

على أنه يجب أن يخضع كل دير لرئيسه وأن يكون لكل دير مندوبين للتفتيش ، ( كما سبق أن قلنا ) من بين الذين يكونون طاعنين فى السن ، وأن يحافظوا على تطبيق النظام الديرى ، غير مباليين بالاهانات التى قد يتعرضون لها على أيدي الرهبان ، وأن يعتنوا بشئون ومصالح الدير .

وفي أديرة النساء ، سيكون عندهن مندوبون للتفتيش أيضا في حدود اثنين أو ثلاثة ، بقدر المستطاع ، على أن يكونوا من الحسيان أو الطاعنين في السن . ومن بين الذين لهم سمعة حسنة في العفة وطهارة النفس . وسيقوم هؤلاء المندوبون بمتابعة سير العمل في الدير ، وإعطاء القدوة المثالية في تناول القربان المقدس ، عندما يحين ميعاده إبان وجودهم في دير النساء .

وإذا أراد مندوبو أحد أديرة النساء التشاور في أحد الأمور التي تخص مصلحة دير النساء ، أو عن إحدى الراهبات المحترمات ، فانهن سوف يتحدثون الى رئيسة الدير فحسب ، وبحضور الراهبات الحارسات لباب الدير ، لأنه يجب على النساء المعينات لحراسة الأبواب الاشراف على الدخول والخروج من الدير ، وأن عليهن منع أى رجل من الرجال باستثناء المندوبين .

وبناء عليه سيتوجه المندوبون الى حارسات الدير اللاتي سيقمن بالإبلاغ عن قدامهم . وعند إحاطة رئيسات الدير علما فانهن سوف يتوجهن اليهم . على أن يكون حديث رئيسات الأديرة مع المندوبين عن النواحي الإدارية في الأديرة إذ أنه الموضوع الذى من أجله تم اللقاء وبهذه الكيفية سوف تدار شئون الأديرة بكل طهارة وعفة .

وإذا ما ارتكب أحد الرهبان ذنبا طفيفا ، ولأن البشر من الممكن إصلاحه ، كما أنه لا يوجد الشخص القادر على مقاومة الطبيعة البشرية والذى لم يقترب ائما ، ( إذ أن الكمال لله وحده ) فعلى المندوبين إنذاره ، ومنعه عن أعمال درجته الكهنوتية ويأمره بتكريس وقته في الندم والتوبة لكني يستلك سلوكا أفضل وأن يعود الى نفسه وألا يضيع ثمرة أعمالهم .

غير أنه إذا ما اقترب الراهب ذنبا أو ائما عظيما فعلى المندوبين معاقبته العقاب المناسب لبشاعة جريمته ويفرضون عليه توبة أكثر شدة . وإذا استطاع المندوبون انتشال الراهب المنحرف من مواطن الزلل وممارسة الرذيلة ، وإذا ما نجحوا في إعادته الى طريق العفة والفضيلة ( وهذا الأمر الذى نأمر به يخص الرهبان ، كما يخص الراهبات ) ، فإن هؤلاء المندوبين سيقدمون الشكر لله العلى القدير وستفرح الملائكة في السماء عندما يتخلص أحد البشر من خطاياہ .

بيد أنه إذا اقترب راهب ائما خطيرا بدرجة كبيرة ، وبدا من المستحيل تقويمه فانه يجب أن يطرد من الدير لتخليه عن الفضيلة وإنزاله الى تيار الرذيلة ليعيش وحده في فسقه وفساده ، حتى لا يصير

مفسدا للرهبان الآخرين مثل الحيوانات المصابة بمرض الطاعون  
أو بالوباء .

ولا تقبل أن يحدث تهاون عند متابعة الرهبان ، وحيث أنه من  
الضرورى معاقبة الراهب المذنب فمن الضرورى أيضا مراعاة تنفيذ القانون  
لأن مثل هذا الراهب لن يخف سخطه على رئيس الدير أو على أسقف  
المنطقة أو على المدافعين عن الكنيسة .

والواقع أنه اذا ما ابتهلت هذه الشخصيات المقدسة ، الى الله من  
أجل رفاهية الامبراطورية بأيديهم الطاهرة وأرواحهم الصافية ،  
فمما لا شك فيه أن جيوشنا ستنتصر ، وسنحكم مدننا بطريقة أفضل .  
ولن نتعرض لغضب الله علينا ، وانما ننعم برعايته ولم لا ننعم بالسلم  
العام ، وبخلاص شعوبنا بالكامل ، وستقدم لنا الأرض خيراتها ، وسيمدنا  
البحر بكل ما يزخر من نعم الله ، وستجلب صلواتهم رضى الله على كل  
الامبراطورية . ومن ناحية أخرى فسيكون الرهبان أكثر توفيرا ،  
وستكون حياتهم أكثر طهارة ، ويتألقون عفة وطهارة ، ولن يكون هناك  
لديهم رغبات ذاتية ، اذ أن كلهم جميعا سيعملون سويا لهدف واحد  
نبيل ، ولن تجد الآثام سبيلا لها عندهم ، لأنها ستخلى السبيل لممارسة  
الواجبات الدينية المقدسة ، والسلوك الملهب . وهذا هو الهدف من  
اصدارنا القانون الحالى الذى نعتبره مفيدا للغاية .

### الفصل السادس :

ونأمر بأنه اذا ما ضبط أحد الرهبان يتردد على أماكن اللهو وتعاطى  
الخمور والرذيلة فيجب تسليمه الى المدافعين المسئولين عن الرهبان على  
الفور أو الى رؤساء حكام الأقاليم وفقا للمدينة التى حدثت بها الجريمة  
بعد اقتناعهم بارتكاب الراهب الجريمة وأن ينقل هذا الراهب دون اذى  
الى رئيس دير ، وابلاغه بما فعله الراهب ثم يطرده رئيس دير كعقاب  
له لتخليه عن الحياة الملائكية وانزلاقه الى الحياة الفاسدة .

وعلى الرهبان ممارسة العمل المزدوج والخاص بدراسة الكتب المقدسة  
وتقوية أبدانهم ( من خلال الأعمال اليدوية ) وعن طريق التفكير والتأمل  
والعمل لأن العقل الذى لا يعمل لا تقدم شيئا مفيدا .

اننا أصدرنا هذا القانون لصالح الرهبان ويجب على الجميع مراعاة  
أحكامه فى العاصمة وفى كل أقاليم الامبراطورية وسنبعث به الى كل  
البطارقة للتأكد من تنفيذ أحكامه وعليهم بدورهم ارساله الى رؤساء

الأساقفة التابعين لهم وعلى رؤساء الأساقفة اطلاع الأساقفة عليه ، وعلى الأساقفة إبلاغه الى كل الرهبان وكذلك الى رؤساء الأديرة .

واننا نفوض رؤساء الأديرة والأساقفة وقداسة البطارقة وقداستكم ( يقصد منياس Menas بطريرك العاصمة ٥٣٦ - ٥٥٢ م ) فى وضع أحكام هذا القانون موضع التنفيذ .

وفى حالة وجود مخالفة تستحق العقوبة الشديدة ، فانها تترك لحكم هذه الشخصيات المقدسة واننا نعهد الى حكام الأقاليم بمراعاة تنفيذ هذا القانون فى أقاليمهم وإبلاغ القضاة عن طريق الأساقفة المحبين لله عن حدوث خرق لهذا القانون .

### (١٥)

« قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣ م » (١٥)

#### النص الأول :

من لم يعترف أن الآب ، والابن والروح القدس ليسوا سوى طبيعة واحدة ، أو جوهر واحد وخاصية واحدة ، ومشئنة واحدة ، وأنهم ثلوث متحد فى الجوهر ، اله واحد معبود فى ثلاثة أقانيم أو كائنات فليكن محروما . لأنه ليس هناك سوى اله وآب واحد ، فاطن السموات والأرض ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به كانت كل المخلوقات ، وروح قدس واحدة موجودة فى كل الوجود .

#### النص الثانى :

من لم يعترف أن لكلمة الله ميلادين : الميلاد الأول قبل كل الدهور ، من الآب ، ولادة أبدية ، وغير مادية ، والثانية ، فى آخر الزمان ، وأن كلمة الله هو الذى نزل من السموات وتجسد ، وولد من مريم القديسة والدة الله والعدراء على الدوام ، فليكن محروما .

#### النص الثالث :

من قال ان آخر غير كلمة الله هو الذى قام بالمعجزات ، وأن آخر غير المسيح هو الذى تألم فى الجسد أو أن كلمة الله اتحدت بالمسيح المولود من امرأة ، أو أن كلمة الله تشبه أى كائن آخر ، وأنه ليس الا ربنا

---

Chronicon Paschale, pp. 659-674; Hefele, Histoire de conciles, Tome III, Première Partie, (Paris 1909), pp. 107-130. (١٥)



يسوع المسيح نفسه ، كلمة الله ، الذى تجسد وصار بشرا ، واليه تنسب المعجزات والآلام التى عاناها فى الجسد باختيساره ، فليكن محروما .

#### النص الرابع :

من قال أن بنعمة الله أو بفضله ، أو بسلطان مميز ، أو بقدرته ، أو بصلة ، أو برابطة ، أو بمقدرة ، هى التى صنعت اتحاد كلمة الله مع الانسان ، بمعنى أن كلمة الله أظهرت أعمالها الخيرة من أجل الانسان كما أصر على ذلك ثيودور ، أو أن بالمجانسة وفقا لما قاله النساطرة مطلقين على كلمة الله اسم يسوع والمسيح ، وبذلك فصلوا الانسان الى المسيح والابن ، مصرين صراحة على وجود شخصين فى المسيح ، ومؤكدين على عدم الحديث عن شخص واحد ، وعن مسيح واحد ، بناء على تسميتهم ، وتمجيدهم وتكريمهم وعبادتهم : بدلا من الاعتراف بأن اتحاد كلمة الله مع الانسان الحى بروح عاقلة ومفكرة مكونة أقنوما واحدا كما علم بذلك الآباء القديسون ، وبناء على ذلك من لم يعترف بأقنوم واحد فى ربنا يسوع المسيح أحد الثالوث الأقدس ، فيكن محروما . لأن هذا الاتحاد مفهوم بأساليب كثيرة ، الا أن البعض وهم شيعة أبولتيار Appolinaire الكافر ، وأتباع أوتيجا Eutychés يزعمون إخفاء عناصر هذا الاتحاد ، وأنهم يعلنون الاتحاد بهدف احداث الغموض والخيرة ، ويؤيد تلاميذ ثيودور Theodore ونسطور Nestorius الفصل فى المسيح الا أنهم يقدمون اتحادا نسبيا ، وغير مطلق ، بينما ترفض كنيسة الله المقدسة لأن الاتحاد فى الجوهر هو اتحاد أقنومى ، وهو فى الواقع من أسرار المسيح .

#### النص الخامس :

من أقر بأن الأقنوم الواحد فى ربنا يسوع المسيح ، قابل للتفسير والفهم بأنه عدة أقانيم وحاول تقديم أقنومين للمسيح ، أو شخصين ، ولم يقل انه واحد من ناحية الكرامة ، والمجد ، والعبادة ، كما جاء فى الكتابات الضالة لثيودور ونسطور . ومن افترى على مجمع خلقيدونية المقدس ، ومن لم يعترف أن اتحاد كلمة الله مع الانسان الحى هو اتحاد أقنومى ، وبالتالي فإن أقنومه أو شخصه واحد ، وأن فى هذا المعنى فإن مجمع خلقيدونية قد أعلن بوحدانية الأقنوم فى ربنا يسوع المسيح ، فيكن محروما . لأنه بتجسد أحد أقانيم الثالوث الأقدس ، كلمة الله ، فإن هذا الثالوث الأقدس لم يتحد مع أى شخص أو أقنوم .

## النص السادس :

من قال عن القديسة المجددة والعذراء على الدوام شيئاً يحيد عن الصواب ، ويبعد عن المعنى الحقيقي ، فى أنها تسمى والدة الله ، أو بدل الاسم بمعنى أنها ولدت انساناً عادياً ، وأنه ليس كلمة الله التى تجسدت منها ، وأن ميلاد هذا الانسان هى الصفة التى لازمتها ، ثم حلت عليه كلمة الله ، واتحدت بهذا الانسان المولود : ومن افتترى على مجمع خلقيدونية المقدس بالقول بأنه بهذا القبول لتصور الكفر الذى أحدثه ثيودور عندما أعلن أن مريم والدة الله ، والتى أطلق عليها مريم والدة الانسان أو مريم والدة المسيح ، بمعنى أن المسيح ليس هو الله ، بدلا من أن يقول مريم والدة الله بالمعنى الحقيقى بكل حق وصدق لأن الله الكلمة ولد قبل كل الدهور ، وصار جسداً فى آخر الزمان ، ومن لم يعترف بكل احترام واجلال بمجمع خلقيدونية الذى أقر بأن مريم والدة الله ، فليكن محروماً .

## النص السابع :

من استعمل تعبير « من طبيعتين » ولم يعترف أن ربنا الوحيد يسوع المسيح معترف له بالألوهية والبشرية ، لكى يبين الفرق فى الطبيعتين المتحدتين فى المسيح دون اختلاط باتحاد تفوق الوصف ، ودون أن تدوب كلمة الله فى الطبيعة ، ولا الطبيعة البشرية تسامت الى قدر طبيعة الكلمة ( لأن كل طبيعة ظلت محتفظة بخصائصها بعد أن تحقق اتحادهما كالأقنوم الواحد . غير أنه اتخذ صورة مشابهة لنا وتخص أسرار المسيح ، بمعنى جزء فى كل ( ازدواج ) الطبيعة ، وهو نفسه ربنا الوحيد يسوع المسيح ، كلمة الله ، تجسد ، وأنه لم يأخذ نظرية الفارق بين الطبيعتين ، وهو فارق لم يلغيه اتحادهما ، وهو يتكون من جوهرين ( لأن واحد من اثنين فالكل واحد ) ، بيد أنه من يقل بوجود طبيعتين منفصلتين لكل منهما أقنومها الخاص بها ، فيكن محروماً .

## النص الثامن :

من اعترف أن الاتحاد تكون « فى طبيعتين » وهما الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية ، أو من تحدث عن « طبيعة واحدة » لله الكلمة المتجسد ، ولم يتأمل هذه التعبيرات وفقاً لعقيدة الآباء المقدسين ، بمعنى أن الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية حدث لهما اتحاد أقنومى ذات مرة ، وأن المسيح واحد : بيد أنه حاول استخدام هذه التعبيرات كوسيلة للقول بطبيعة

واحدة ، أو جوهر واحد لالوهية أو بشرية المسيح ، فيكن محروما • لأنه في التأكيد على الكلمة الوحيدة المتحدة كالأقنوم ، فإننا لا نقوم بوجود اختلاط أيا كان للطبيعتين في المسيح : اننا ندرك بالأحرى أن الكلمة اتحدت بالناحية البشرية وكلا الطبيعتين ظلت كما هي • ولهذا فان المسيح الواحد ، اله وبشر فهو في نفس الوقت من جوهر الآب من الناحية اللاهوتية ومن جوهرنا من الناحية البشرية : لأن الكنيسة ترفض وتحرم أيضا أولئك الذين يفصلون أو يقسمون الناحية اللاهوتية عن الناحية الانسانية ، وكذلك أولئك الذين يتحدثون عن الاختلاط في الطبيعتين •

### النص التاسع :

من أعلن أنه يجب عبادة المسيح في طبيعتين ، بناء على القول الزاعم بتقديم عبادتين احدهما تقدم للكلمة والأخرى للمسيح الانسان ، ومن يهدف الغاء الناحية الانسانية في المسيح ، أو بسبب خلط أو مزج الناحيتين اللاهوتية والبشرية في المسيح أو من تصوروا أن يعبدوا المسيح على أنه طبيعة واحدة أو جوهر واحد من عدة عناصر وهو أمر جد غير مقبول ، ولم يعبدوا عبادة واحدة لله الكلمة المتجسد مع الطبيعة البشرية الخالصة ، وفقا لتقاليد الكنيسة الأولى ، فليكن محروما •

### النص العاشر :

من لم يعترف أن الذي صلب في الجسد ، هو ربنا يسوع المسيح وأنه اله حقا وصدقا وربنا له المجد ، وأنه أحد الثالوث الأقدس ، فليكن محروما •

### النص الحادى عشر :

من لم يعلن « أو يحرم » أريوس Arius وأونوميوس Eunomius ومقدونيوس Macedonius وأبولينار Apollinaire ونسطور Nestorius وأوتيخا Eutychés وأوريجين Origene وكتاباتهم البعيدة كل البعد عن الايمان المسيحي وكل ( الهرطقة ) الآخرين الذين أدانتهم ولعنهم ( حرمتهم ) الكنيسة الكاثوليكية والرسولية ، والمجامع المسكونية الأربعة ، وكل الذين تعاطفوا أو يتعاطفون مع ( الهرطقة ) السالف ذكرهم ، فليكن محروما •

## النص الثاني عشر :

من سمح لنفسه بالدفاع عن ثيودور المصيصى الخارج على تعاليم الايمان المسيحى ، حيث ادعى التفريق بين كلمة الله ، وبين المسيح وأن المسيح شعر بشدة الآلام فى الروح والجسد ، وأنه رويدا رويدا تخلص من الألم ، وأنه صار أفضل بفضل حياته الفاضلة والحالية من الدنس ، وأنه كان بشرا كسائر البشر وتم تعميده باسم الآب والابن والروح القدس ، وبفضل هذا التعميد نال نعمة الروح القدس ، ونال التمجيد باختياره السلوك الربانى . وأن المسيح صورة مثالية لله ، ولذلك كان يعبد فى شخص كلمة الله ، وأنه بعد قيامته ، صار غير قابل للتغيير فى آرائه وأفكاره ، ومنزها عن الخطأ أو العيب . وزاد ثيودور ، الخارج على الايمان المسيحى بأنه يؤكد على أن اتحاد كلمة الله وامتزاجها بالمسيح حدث كما يحدث التزاوج بين الرجل والمرأة « وأن الاثنان صارا طبيعة انسانية واحدة » . ومن بين أفكاره الخارجة على الايمان المسيحى ، بشكل مقررز ، أنه سمحت نفسه بالقول أنه « بعد القيامة » وعندما ظهر المسيح للحواريين ، فان نفحة الالهية قالت « اقبلوا الروح القدس » . ولم تهب لهم هذه النفحة الروح القدس ، غير أن هذه النفحة الالهية جعلتهم على صورة منهزمة عن النقائص ، وأيضا ، فيما يخص اعتراف توماس Thomas عندما لمس يدي وجانب ربنا المسيح ، بعد القيامة كتب يقصد به المسيح ، وانما هى عبارة للدلالة على حالة الاندهاش لمعجزة قيامة المسيح من بين الموتى ، وخاطب بها الله معبرا عن الشكر .

والأسوأ من ذلك ففى تفسيره الذى كتبه عن أعمال الرسل ، « ربى والهى » فان ثيودور يؤكد أن هذا القول الصادر عن توماس وأن ثيودور وضع المسيح على قدم المساواة مع أفلاطون ومانى ، وأبيقور ، ومارقيون وقال كما أن لكل هؤلاء المذكورين نظرية خاصة به ونقلها الى طائفته على التوالى : طائفة أفلاطون ، طائفة مانى ، طائفة أبيقور ، طائفة مارقيون ، فان للمسيح نفسه نظرية تركها لمن اعتنق المسيحية .

ولهذا فان من يقتنع بالمحظورات الصادرة عن ثيودور السالف الذكر والخارج على الايمان المسيحى ، من كتابات ضالة ، والتي افترى فيها على الله ، وعلى مخلصنا يسوع المسيح بالقذف المذكور بعاليه ، والعديد الآخر الذى لا يحصى أو يعد ، بدلا من أن يلعنه ويلعن كتاباته المضللة ، وكل من يتبعه أو يؤيده أو يزعم بصحة نظرياته ، أو يتعاطف أو يكن قد أظهر تعاطفا مع هذه النظريات ، ومازال عند رأيه الذى وصل الى مستوى آراء ( الهرطقة ) ، فليكن محروما .

واحدة ، أو جوهر واحد لألوهية أو بشرية المسيح ، فيمكن محروما • لأنه في التأكيد على الكلمة الوحيدة المتحدة كالأقنوم ، فإننا لا نقوم بوجود اختلاط أيا كان للطبيعتين في المسيح : اننا ندرك بالأحرى أن الكلمة اتحدت بالناحية البشرية وكلا الطبيعتين ظلت كما هي • ولهذا فإن المسيح الواحد ، اله وبشر فهو في نفس الوقت من جوهر الآب من الناحية اللاهوتية ومن جوهرنا من الناحية البشرية : لأن الكنيسة ترفض وتحرم أيضا أولئك الذين يفصلون أو يقسمون الناحية اللاهوتية عن الناحية الانسانية ، وكذلك أولئك الذين يتحدثون عن الاختلاط في الطبيعتين •

### النص التاسع :

من أعلن أنه يجب عبادة المسيح في طبيعتين ، بناء على القول الزاعم بتقديم عبادتين أحدهما تقدم للكلمة والأخرى للمسيح الانسان ، ومن يهدف إلغاء الناحية الانسانية في المسيح ، أو بسبب خلط أو مزج الناحيتين اللاهوتية والبشرية في المسيح أو من تصوروا أن يعبدوا المسيح على أنه طبيعة واحدة أو جوهر واحد من عدة عناصر وهو أمر جد غير مقبول ، ولم يعبدوا عبادة واحدة لله الكلمة المتجسد مع الطبيعة البشرية الحاصلة ، وفقا لتقاليد الكنيسة الأولى ، فليكن محروما •

### النص العاشر :

من لم يعترف أن الذي صلب في الجسد ، هو ربنا يسوع المسيح وأنه اله حقا وصدقا وربنا له المجد ، وأنه أحد الثالوث الأقدس ، فليكن محروما •

### النص الحادى عشر :

من لم يلعن « أو يحرم » أريوس Arius وأونوميوس Eunomius ومقدونيوس Macedonius وأبوليناري Apollinaire ونسطور Nestorius وأوتيا Eutychés وأوريجين Origene وكتاباتهم البعيدة كل البعد عن الايمان المسيحي وكل ( الهرطقة ) الآخرين الذين أدانتهم ولعنهم ( حرمتهم ) الكنيسة الكاثوليكية والرسولية ، والجامع المسكونية الأربعة ، وكل الذين تعاطفوا أو يتعاطفون مع ( الهرطقة ) السالف ذكرهم ، فليكن محروما •

## النص الثانى عشر :

من سمح لنفسه بالدفاع عن ثيودور المصيصى الخارج على تعاليم الايمان المسيحى ، حيث ادعى التفريق بين كلمة الله ، وبين المسيح وأن المسيح شعر بشدة الآلام فى الروح والجسد ، وأنه رويدا رويدا تخلص من الألم ، وأنه صار أفضل بفضل حياته الفاضلة والخالية من الدنس ، وأنه كان بشرا كسائر البشر وتم تعميده باسم الآب والابن والروح القدس ، وبفضل هذا التعميد نال نعمة الروح القدس ، ونال التمجيد باختياره السلوك الربانى . وأن المسيح صورة مثالية لله ، ولذلك كان يعبد فى شخص كلمة الله ، وأنه بعد قيامته ، صار غير قابل للتغيير فى آرائه وأفكاره ، ومنزها عن الخطأ أو العيب . وزاد ثيودور ، الخارج على الايمان المسيحى بأنه يؤكد على أن اتحاد كلمة الله وامتزاجها بالمسيح حدث كما يحدث التزاوج بين الرجل والمرأة « وأن الاثنان صارا طبيعة انسانية واحدة » . ومن بين أفكاره الخارجة على الايمان المسيحى ، بشكل مقرر ، أنه سمحت نفسه بالقول أنه « بعد القيامة » وعندما ظهر المسيح للحواريين ، فان نفحة الالهية قالت « اقبلوا الروح القدس » . ولم تهب لهم هذه النفحة الروح القدس ، غير أن هذه النفحة الالهية جعلتهم على صورة منهزمة عن النقائص ، وأيضا ، فيما يخص اعتراف توماس Thomas عندما لمس يدي وجانب ربنا المسيح ، بعد القيامة كتب يقصد به المسيح ، وإنما هى عبارة للدلالة على حالة الاندهاش لمعجزة قيامة المسيح من بين الموتى ، وخاطب بها الله معبرا عن الشكر .

والأسوأ من ذلك ففى تفسيره الذى كتبه عن أعمال الرسل ، « ربى والهى » فان ثيودور يؤكد أن هذا القول الصادر عن توماس وأن ثيودور وضع المسيح على قدم المساواة مع أفلاطون ومانى ، وأبيقور ، ومارقيون وقال كما أن لكل هؤلاء المذكورين نظرية خاصة به ونقلها الى طائفته على التوالى : طائفة أفلاطون ، طائفة مانى ، طائفة أبيقور ، طائفة مارقيون ، فان للمسيح نفسه نظرية تركها لمن اعتنق المسيحية .

ولهذا فان من يقتنع بالمحظورات الصادرة عن ثيودور السالف الذكر والخارج على الايمان المسيحى ، من كتابات ضالة ، والتى افترى فيها على الله ، وعلى مخلصنا يسوع المسيح بالقذف المذكور بعالیه ، والعديد الآخر الذى لا يحصى أو يعد ، بدلا من أن يلغنه ويلعن كتاباته المضللة ، وكل من يتبعه أو يؤيده أو يزعم بصحة نظرياته ، أو يتعاطف أو يكن قد أظهر تعاطفا مع هذه النظريات ، ومازال عند رأيه الذى وصل الى مستوى آراء ( الهرطقة ) ، فليكن محروما .

### النص الثالث عشر :

Theodoret من يسمح لنفسه بالدفاع عن كتابات ثيودوريت الضال ، ضد الايمان الحقيقي ، وضد مجمع افسوس الاول ، وضد القديس كيرلس وحرمة الاثنى عشر ، ومن يسمح لنفسه بالدفاع عن كل كتابات ثيودور ونسطور ، هؤلاء الضالين ولصالح الموالين لمذاهب ثيودور ونسطور ، ويقبلها ، ومن أجل ذلك يتعامل بضلال ضد ما يخص آباء الكنيسة الأول الذين تمسكوا باتحاد كلمة الله ومن لم يحرم ( كتابات هؤلاء الضالين السابق ذكرهم ومن يتعاطف معهم أو يتعاطف ) مع مذاهبهم ، وكل من يكتب ضد الايمان الحقيقي ، وضد كيرلس وحرمة الاثنى عشر ، ومن ماتوا على ضلالهم ، فليكونوا محرومين .

### النص الرابع عشر :

Ibas من يسمح لنفسه بالدفاع عن الخطاب الذي كتبه ايباس الى ماريس Mairs الفارسي ، وهو الخطاب الذي ينكر كلمة الله التي تجسدت من القديسة مريم والدة الله والعدراء على الدوام ، وأنه صار بشرا ، بينما يقول ايباس على عكس ذلك أنها لم تلد الا بشرا كسائر البشر ، وسماها هيكل ( لله ) ، حيث ان هناك فرق بين كلمة الله ، والطبيعة البشرية في المسيح ، وأنه افترى على القديس كيرلس ، وأن تصرفه هذا عدوان على الايمان المسيحي الحق ، وأنه متهم بكونه خارج على الكنيسة ، وقام بتعليم كتاب الضلال الذي كتبه أبوليناريوس الضال ، وأنه هاجم مجمع افسوس الاول المقدس لأنه عزل نسطور ، دون محاكمة ودون تحقيق ( لأن المجمع أعلن أن خطاب ايباس ضال ، وأن ما ورد به من ضلال يتعارض مع الايمان الحقيقي وفقا للفصول الاثنى عشر للقديس كيرلس ، وأن هذا المجمع أقر بضلال ثيودور وبضلال كتاباتهما ) .

ولهذا فمن يسمح لنفسه بالدفاع عن أفكار ايباس ، ولا يحرمها ( يلعنها ) ومن يدافع عنها قائلا أنها صحيحة على علاتها ، أو في بعض أجزائها ، وكل من يكتب أو يكتبوا لصالح هذه الأفكار الضالة التي تضمنتها ، وكل من لديه الجسارة على تقديم الدليل على صحتها ، وصحة الضلالات التي تضمنتها على أنها تعبر عن الآباء المقدسين أو عن مجمع خلقيدونية المقدس ، ومن يظل على رأيه بعد ذلك ، فيكن محروما .

## (١٦)

### « نصوص معاهدة السلام الدائم ، ٥٣٢ م » (١٦)

- أن تكون مدينة دارا منزوعة السلاح ، وينقل منها دوق اقليم ما بين النهرين الى مدينة قسطنطينية Constantia .
- أن تعود قلعتى بولون Bolon وفارانجيون Pharangion الى السيادة الفارسية ، وكذلك المناجم التى على حدود أرمينيا الفارسية .
- أن تقع مسئولية حماية الممرات القوقازية على عاتق الدولة الفارسية .
- أن يدفع الرومان أحد عشر ألف رطلا من الذهب سنويا الى الفرس .
- أن يسمح للاجئين من أهالى ايبيريا Iberia الذين يعيشون فى القسطنطينية بحق العودة الى بلادهم ، أو البقاء بالعاصمة الرومانية وفقا لرغبتهم ، مع بقاء السيادة الفارسية الى ايبيريا .
- عودة لازيقا الى السيادة الرومانية .
- عودة الحدود بين البلدين الى ما كانت عليه قبل الحرب ، مع تبادل الأسرى .

## (١٧)

### « نصوص معاهدة سلام سنة ٥٦٢ م » (١٧)

- لن يسمح الفرس لقبائل الهون Huns والالان Alans أو غيرهم من القبائل المتبربرة بالوصول الى الأراضى الرومانية عبر الممرات القوقازية . ولن يرسل الرومان الجيوش الى تلك الجهات ، أو الى أية جهة أخرى من الأراضى الفارسية .
- على العرب الموالين لكل من الفرس والرومان الالتزام بنصوص المعاهدة ، فيجب ألا يحمل العرب الموالين للفرس [ عرب الحيرة ] السلاح ضد الرومان وأن يمتنع العرب الموالين للرومان عن حمل السلاح ضد الفرس .
- على التجار الرومان والفرس المرور على المناطق الجمركية المحددة مهما كان نوع البضائع التى معهم .

---

Procopius, Wars, I, p. 207; Lebeau, Histoire du Bas-Empire, (١٦) 8, pp. 176-178; Diehl, Justinien, p. 211; Holmes, Op. Cit., p. 416; Bury, Op. Cit., p. 88; Stein, Op. Cit., pp. 294-295.  
Menander. Excerpta de Legationibus Romanorum, pp. 359- (١٧) 363; Lebeau, Histoire du Bas-Empire, 9, pp. 430-433; Bury, Op. Cit., pp. 121-122 ; Ure, Op. Cit., pp. 97-99.



- يجب تكريم السفراء والموظفين الذين يستخدمون خيول البريد ، سواء كانوا من الفرس أو الرومان ، كل حسب مكانته الرسمية ، وحسب المناسبات وأن ينالوا ما يستحقونه من الاهتمام والعناية وأن يودعوا بمثل ما استقبلوا به من تكريم دون إبطاء مع إعفاء ما يحملونه من سلع من الرسوم الجمركية .

- يجب أن يمتنع التجار العرب التابعين لكل من الدولتين ، عن السفر فى طريق غير مألوفة تجنباً لدفع الرسوم . وعلى كل هؤلاء الذين يتاجرون بين الدولتين ، اتباع طريق نصيبين ودارا وعليهم عدم دخول الأراضى الفارسية أو الرومانية الا بتصاريحات خاصة ، وأن المخالفين لذلك والمهربين سوف يلقى القبض عليهم من قبل موظفى الحدود ، ويسلمون للسلطات لينالوا العقاب .

- أن الهاربين من الخدمة العسكرية أثناء الحرب ، سواء كانوا من الفرس أو من الرومان يجب عدم منعهم من العودة الى أوطانهم ، اذا ما رغبوا فى ذلك . أما أولئك الذين يفرون أثناء السلم فيجب عدم قبولهم ، بل ويجب تسليمهم بكل الوسائل الممكنة ، ولو على عكس ارادتهم ، الى الجهة التى فروا منها .

- يجب الامتناع عن اقامة أو تقوية أسوار المدن حتى لا يكون ذلك ذريعة لتجدد أى منازعات قد تطيح بمعاهدة السلام .

- على الشعوب التابعة لكل أمة ألا تهاجم أو تشن حرباً ضد شعوب تابعة للطرف الآخر ، حتى ينعم الجميع بالسلام .

- يجب عدم وجود حامية كبرى فى دارا ، ويكتفى بوضع قوة فى حدود المعقول لحماية المدينة . ويجب ألا يجعل قائد قوات الشرق ( الرومانى ) من ذلك المكان قاعدة له . وعلى حاكم مدينة دارا منع الغارات على الحدود الفارسية والمحافظة على مصالح الرعايا الفرس ، واذا ما حدث مثل ذلك ، فالمسئولية تقع على حاكم دارا .

— اذا قام أشخاص غير مسئولين بالاعتداء على الحدود من أجل السرقة ،  
فيجب على ضباط الحدود من الجانبين القيام بتحقيق شامل • واذا  
استعصى الأمر على هؤلاء فيجب احالة الموضوع الى قائد قوات الشرق •  
فان لم يحل المشكلة في مدة ستة أشهر ، يجب تعويض المتضرر  
بمقدار ما يعادل ضعف أضراره وأن الطرف الذي يقع عليه الضرر يجب  
أن يتصل بحاكم الدولة الأخرى فان لم يتم الضمان الكافي أو التعويض  
المضاعف في خلال سنة ، فان السلام يعتبر لاغيا •

— المعاهدة مدتها خمسون عاما ونصوصها كلها سارية المفعول لمدة  
خمسین عاما •



## أباطرة بيزنطة

### أسرة قنسطنطين :

- ١ - قنسطنطين الأول الكبير توفي سنة ٣٣٧ .
- ٢ - قنسطنطيوس ٣٣٧ - ٣٦١ . حكم منفردا بعد سنة ٣٥١ .
- ٣ - يوليان ٣٦١ - ٣٦٣ .
- ٤ - يوفيان ٣٦٣ - ٣٦٤ .
- ٥ - فالنس ٣٦٤ - ٣٧٨ .

### أسرة ثيودوسيوس :

- ٦ - ثيودوسيوس الأول ٣٧٩ - ٣٩٥ حكم منفردا بعد سنة ٣٩٢ .
- ٧ - أركاديوس ٣٩٥ - ٤٠٨ .
- ٨ - ثيودوسيوس الثاني ٤٠٨ - ٤٥٠ كان أنثيميوس وصيا من سنة ٤٠٨ - ٤١٤ .
- ٩ - ماركيان ٤٥٠ - ٤٥٧ .

### أسرة ليو :

- ١٠ - ليو الأول ٤٥٧ - ٤٧٤ .
- ١١ - ليو الثاني ٤٧٤ .
- ١٢ - زينون ٤٧٤ - ٤٩١ باسيليكوس المعتصب ٤٧٥ - ٤٧٦ .
- ١٣ - أنستاسيوس ٤٩١ - ٥١٨ .

### أسرة جوستنيان :

- ١٤ - جوستين ٥١٨ - ٥٢٧ .
- ١٥ - جوستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥ .

## الملاحق : نصوص ووثائق •

- ٢١١ ١ - منشور الامبراطور باسيليسكوس ( ٩ أبريل ٤٧٥ م )
- ٢١٢ ٢ - منشور باسيليسكوس المضاد
- ٢١٣ ٣ - نصائح أجاييتوس للامبراطور جوستينيان
- ٢١٩ ٤ - قسم حكام الأقاليم قبل شغل المنصب
- ٢٢٠ ٥ - مرسوم خطة العمل لاصدار الديجست
- ٢٢٥ ٦ - كلمة جوستينيان الى طلبة الدراسات القانونية
- ٢٢٧ ٧ - رسالة الأساقفة أصحاب الطبيعة الواحدة الى جوستينيان
- ٢٢٨ ٨ - « نوفلا ٤٢ لسنة ٥٣٦م ضد قطبي أتباع الطبيعة  
الواحدة » أنثيموس وساويرس
- ٢٢٩ ٩ - نوفلا ١٤٦ لسنة ٥٥٣م عن السماح لكل اليهود  
باستعمال الترجمة اللاتينية أو اليونانية لكتبهم المقدسة
- ٢٣١ ١٠ - نوفلا ١٣٢ لسنة ٥٥٤م بشأن حظر الطوائف الدينية  
لمخالفة المذهب لدولة من عقد لاجتماعات
- ٢٣٣ ١١ - نوفلا ١٢٩ لسنة ٥٤٢م عن السامريين
- ٢٣٤ ١٢ - نوفلا ١٤٤ لسنة ٥٥٦م عن السامريين
- ٢٣٦ ١٣ - نوفلا ٥ لسنة ٥٣٥م عن الرهبان
- ٢٣٩ ١٤ - نوفلا ١٣٣ لسنة ٥٣٩م عن لرهبان
- ٢٤٤ ١٥ - قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣م
- ٢٥١ ١٦ - معاهدة السلام الدائم ٥٣٢م
- ٢٥٧ ١٧ - معاهدة سلام سنة ٥٦٢م

## قوائم المصادر والمراجع

- أ - المجموعات ومختصراتها \*
- ب - الدوريات \*
- ج - المصادر الأجنبية \*
- د - المراجع الأجنبية \*
- هـ - المصادر العربية والمعربة \*
- و - المراجع العربية والمعربة \*



As : Acta Sanctorum : ( أ ) المجموعات ومختصراتها :

CJC : Corpus Juris Civils.

CSCO : Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium.

CSEL : Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum.

CSHB : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.

DHGE : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclesiastique.

PG . Patrologia Graecae.

PL Patrologia Latina

PO : Patrologia Orientalis.

Mansi : Conciliorum Collectio

SPTB : Social and Political Thought in Byzantium from Justinian I to the Last Palaeologus, Excerpts from Literary Texts, in translation, with introduction and notes, ed E. Barker, (Oxford, 1957).

( ب ) الدوريات :

Annales d'Éthiopie .

Arabica

Armenian Review.

Byzantinische Zeitschrift.

Byzantion

Dumbarton Oaks Papers.

Echos d'Orient.

Journal of Semitic Studies

Le Muséon.

Revue Biblique.

Revue des Etudes Byzantines.

Speculum.



- Agathias*, Historiarum ed. Dindroff, in (CSHB, Bonn, 1828-.
- Cedrenus* (George), Historiarum Compendium. ed. Bekker, in (CSHB, Bonn, 1838).
- Evagrius*, History of the Church ed. and tr. John Childs London, 1854)
- Guenther* (Otto), ed., Epistulae imperatorum pontificum aliorum Avellana quae dicitur Collectio ed. Otto Guenther, in (CSEL, Vol. XXXV, Lipsiae, 1935).
- Joannes Lydus*. De Magistratibus ed. B.G. Neibuhr, in (CSHB, Bonn., 1837).
- Joannis Zonaras*, Epitomae Historiarum Tomus III ed. J. Bullnerworbst, in (CSHB, Bonn., 1897).
- John of Ephesus*, Lives of the Eastern Saints, The Syriac text with an English translation was edited and translated by E.W. Brooks, in (PO XVII (Paris, 1923), XVIII (1924), XIX (1925).
- Joshua the Stylite*, The Chronicle of Joshua the Stylite Composed in Syriac A.D. 507 Translated into English by W. Wright, Cambridge, 1882.
- Justinian*, Digest. Translated by C.H. Monro. 2 Vols. (Cambridge, 1904-1909).
- Justinian*, Institutes Translated by T.C. Sandars, (London, 1853).
- Justinian*, Code de Justinien, Tome Premier, Traduction, par P.A. Tissot, (Paris, 1806).
- Justinian*, Les Nouvelles de L'Empereur Justinien Traduites en francais par M. Bereinger fils, de Valence (Drôme), Tome Premier, Paris, 1811, Tome Deuxième, (Paris, 1912).
- Libreratus*, Breviarium, ed. Migne. (PL LXVIII, Paris, 1847).
- Malalas* (John) Chronographia ed. L. Dindorf, in (CSHB, Bonn. 1831).

- Marcellinus Comes*, Chronicon ed. Migne, in (PL 51, Paris, 1846).
- Menandrus*, Excerpta de legationibus Romanorum ed. B.G. Neibuhr, in (CSHB, Bonn., 1840).
- Michel Le Syrien*, Chronique de Michel Le Syrien Patriarch Jacobite d'Antioche (1117-1190), editée la première fois et traduite par J. B. Chabot, Tome II (Paris, 1904).
- Moberg (Axel) ed.* The Book of Himarites Fragmentas of a Hitherto unknown syriac Work edited with introduction and translation by Axel Moberg, (London, 1924).
- Procopius of Caesarea*, Wistory of Wars Translated by H. B. Dewing, (New York, 1914-1940).
- Procopius of Caesarea*, Buildings translated by H.B. Deaving, and G. Downey, (London, 1940).
- Procopius of Caesarea*, The Secret History translated by G.A. Williamson, (London, 1969).
- Procopius of Dewing*, De Bello Gotthico, IV (in CSHB, Bonn., 1833).
- Theodore Lector*, Ecclesiasticae Historiae ed. J. P. Migne, in (PG, Belgium, 1966).
- Theophanes*, Chronograpria, Votumen, I, ed. Classen, in (CSHB, Bonn, 1839).
- Victor Tunenensis*, Chronicon ed. J.P. Migne, in (PL 68, Paris, 1847).
- Zachariah of Mitylene*, The Syriac chronicle known as that of Zacharia of Mitylene. Translated by F.J. Hamilton and E.W. Brooks, (London, 1899).

( د ) المراجع الأجنبية :

- Abel (F.)* Histoire de la Palestine Depuis la conquete d'Alexandre Jusqu'a l'invasion Arab. Vol. 2, (Paris, 1952).
- Abel (F.)*, "L'île de Jutabe", Revue Biblique, 47, (Paris, 1938).
- Baker (G. P.)* Justinan (London, 1932).

- Baldwin (B.)* "Menander Protector", *Dumbarton Oaks Papers*, No. 32, (New York, 1978).
- Baker (E.)*, *Social and Political Thought in Byzantium from Justinian I to the last Palaeologus, Excerpts from literary Text, in Translation, with introduction and notes* ed. E. Barker, (Oxford, 1957).
- Barracclough (G.)* *The Medieval Papcy* (London, 1968).
- Beatie (B.T.)*, "Saint Katharine of Alexandria Traditional Themes and the Development of a Medieval German Hagiographic Narrative", *Speculum*, Vol. LII, October, 1977, No. 4.
- Bouchier (E.)* *Syria as a Roman Province* (Oxford, 1916).
- Bradley (H.)* *The Goths* fifth edition (London, 1887).
- Bussell (F.)*, *The Roman Empire* 2 Vols. (London, 1910).
- Burkitt (F. C.)*, *The Religion of the Manichees* (Cambridge, 1925).
- Bury, (J. B.)* *History of the Later Roman Empire* 2 Vols. Second edition (London, 1923).
- Bréhier (L.)* *Vie et Morte de Byzance.* (Paris, 1948).
- Bréhier (L.)*, *L'Art Byzantium* (Paris, 1924).
- Cameron (A.)*, *Circus factions ; blues and greens at Rome and Byzantium* (Oxford 1976).
- Caquot (A.)*, "L'Encription Ethiopienne de Marib", *Annales d'Ethiopie*, 5, (Paris, 1965).
- Carlyle (A.F.)*, *A History of Medieval Political Theory in the West*. Vol. I. (London. 1903).
- Carpentier (E.)* *Martyrium Arethae* in (*Acta Sanctorum*, Octobris, X, Paris, 1869).
- Charanis (P.)*, "Armenians and Greeks in the Byzantine Empire, " *Armenian Review*, 25 (Boston, 1972).
- Charanis (P.)*, "On the Slavic Settlement in the Peloponnasus", *Byzantinische Zeitschrift*, 46, (Munchen, 1953).

- Christides (V.)*, "Saracen's Prodosia in Byzantine Sources", Byzantion, 40, Bruxelles, 1970).
- Chrysos (E.)*, "The Title Basilius in the early, Byzantine international Relations", Dumbarton Oaks Papers, 32, (New York, 1978).
- Collinet (P.)*, Histoire de L'Ecole de Droit de Beyroth, (Paris, 1925).
- Colquhoun*, A summary of the Roman Civil Law, 4 Vols. (London, 1849-60).
- Courtois (C.)*, Les Vandales et l'Afrique, (Paris, 1955).
- Dieht (C.)*, Justinien et la Civilization Byzantine au VI Siecle (Paris, 1901).
- Diehl (C.)*, Byzantium : Greatness and Decline Translated from the French by Naomi Walford (New Jersey, 1957).
- Diehl (C.)*, Theodora Empress of Byzantium Translated by Samuel R. Rosenbaum (New York, 1972).
- Diehl (C.)*, Manuel d'Art Byzantine Tome Premier (Paris, 1901).
- Diehl (C.)*, Le Monte Oriental de 395 à 1081, (Paris, 1936).
- Downey (G.)*, "Procopius on Antioch A Study of Method in the De Aedificus," Byzantion, Tome XIV., (Bruxelles, 1939).
- Downey (G.)*, "The Persian Campaign in Syria in A.D. 540", Speculum, 28, (Miching, 1953).
- Downey (G.)*, A History of Antioch in Syria From Seleucus to the Arab Conquest (New Jersey, 1961).
- Downey (G.)*, The Later Roman Empire, (New York, 1969).
- Downey (G.)*, Constantinople in the Age of Justinian (Norman, 1960).
- Dubnov (S.)*, History of the Jews Vol. 2, (London, 1968).
- Duchesne (L.)* L'Englise Au VIe Siècle, (Paris, 1925).
- Dunning (W. A.)*, Political Theories of the Middle Age. Translated by F. W. Maitland, (Cambridge, 1927).

- Dvornik (J.)*, Les Slaves Byzance et Rome au IX Siècle (Paris, 1926).
- Dvornik (J.)* Origins of the Intelligence Service (New Jersey, 1974).
- Dvornik (F.)*, "Pope Gelasius and Emperor Anastasius I", Byzantinische Zeitschrift, 44, (Munich, 1951).
- Ensslin (W.)*, The Emperor and the Imperial Administration in Byzantium, edited by Norman H. Baynes and H. St. L.B. Moss (Oxford, 1953).
- Franz (E.)* History of the Byzantine Empire (New York, 1967).
- Fleury*, Histoire Ecclesiastique Tome 6 (Paris, 1722), Tome 7, (Paris, 1828).
- Forsyth J.G.H.*, "The Monastery of St. Catherine at Mount Sinai : The Church and Fortress of Justinian", Dumbarton Oaks Papers, 22 (New York, 1968).
- Fricot (A.)* Aquila in (DHGE, Tome Troisième Paris, 1924).
- Gierke (O.)*, Political Theories of the Middle Age translated by F. W. Martland (Cambridge, 1927).
- Hardy, (E.)*, "The Egyptian Policy of Justinian", Dumbarton Oaks Papers, No. 22, (New York, 1968).
- Hardy, (E.)* The large states of Byzantine Egypt (New York, 1931).
- Harnack (A.)*, History of Dogma Translated by Neil Buchanan, Vol. 4, (New York, 1958).
- Hauptmann (L.)* " Le Rapports des Byzantins avec Les Slaves et les Avars pendant la seconde moitié du VI Siècle", Byzantion, LIV, (Paris, 1929).
- Héfélé (C. J.)*, Histoire des conciles Traduction par Leclercq (Dom. H.), Tome II Deuxième Partie (Paris, 1908).
- Heyd*, Historie du commerce du Levant Vol. I, (Leipzig, 1923).
- Hirth (F.)* China and Roman Orient, (London, 1885).

- Holland (J.H.)*, The Institutes of Justinian Second edition (Oxford, 1881).
- Holmes (W.)*, The Age of Justinian and Theodora 2 Vols (London, 1912).
- Huart (C.)* Ancient Persia Translated by M.R. Dobie (London, 1927).
- Hudson (G.)*, Europe and China, (London, 1931).
- Hodgkin (T.)*, Italy and her Invaders Vol. 3, second edition, (Paris, 1896).
- Janin (R.)*, "Les Juifs dans L'Empire Byzantin, "Echos d'Orient, Tome XV, (Paris, 1912).
- Jarvis*, Yesterday and Today in Sinai (London, 1933).
- Jones (A.H.M.)*, The Deline of the Ancient World (London, 1968).
- Jones (A.H.M.)*, The Later Roman Empire Vol. I. (Oxford, 1964).
- Jones (A.H.M.)*, Cities of the Eastern Roman Provinces (Oxford, 1937).
- Kamil (M.)*, "The Ethiopic inscription of cable in South Arabia", Journal of Semitic studies, 9, (Cambridge, 1964).
- Kammerer (A.)* Essai sur L'histoire antique d'Abysinie (Paris, 1926).
- Kawar (Iran)*, "Byzantium and Kinda", Byzantinische Zeitschrift, 53 (Munchen, 1960).
- Kawar (I.)*, "The Patriate of Arethas", Byzantinische Zeitschrift, 52, Munchen, 1959).
- Kawar (I.)*, "The Arabs in the Peace Treaty of AD 561", Arabica 3, (Leiden, 1956).
- Kawar (I.)*, "Procopius and Arethas", Byzantinische Zeitschrift, 50, (Munchen, 1957).
- Labriolle (P.)*, Histoire de L'Eglise Tome IV (Paris, 1937).

- Laurent (V.)* "Le titre de Patriarche Oecuménique et la Signature Patriarchale", *Revue des Etudes Byzantines*, Tome VI, (Bucarest, 1948).
- Lebeau*, *Histoire du Bas Empire* Tomes 7-9, (Paris, 1927-1936).
- Lebon (J.)*, *Le Monophysisme Severien* (Lovain, 1909).
- Lopez (R. S.)*, "Silk Industry in the Byzantine Empire", *Speculum*, 15, (1945).
- Leutchenko (M. V.)*, *Byzance des Origines a 1453*, Troduction de Pierre Mabille (Paris, 1949).
- Lindsay (J.)*, *Byzantium into Europe* (London, 1955).
- Magoulias (H.-I.)*, *Byzantine Christianity . Emperor, Church and the West.* (Michigan, 1970)
- Mango (C.)*, *The Art of the Byzantine Empire.* (New Jersey, 1927).
- Manjlovic (G.)*, "Le Peuple de constantinople", *Byzantion*, XI, (Bruxelles, 1936).
- Mansi (Joannes Dominicus)* *Amplissime Sacrorum Conciliarum Tomus Octavus & Nonus.* (Austrie, 1960).
- Martroye (F.)*, *L'Occident a l'époque Byzantine* (Paris, 1904).
- Maspero (J.)*, *Organisation Militaire de L'Egypte Byzantine* (Paris, 1912).
- Meyendorff (J.)* *Byzantine Theology* (New York, 1974).
- McCabe (J.)*, *The Empresses of Constantinople* (London, 1913).
- Milman (H.)*, *The History of the Jews* Vol. 2, Fourth edition, (London, 1939).
- Milne (J.)*. *A History of Egypt Under Roman Rule* (London, 1913).
- Murry (D.C.)*, *A History of Heresy* (London, 1876).
- Musil (A.)*, *Palmyrena* (New York, 1928).
- Myendroff (J.)* "Justinian, The Empire and The Church", *Dumbarton Oaks Papers*, 22, (New York, 1968).

- Nicholas (B.)*, An Introduction to Roman Law (Oxford, 1962).
- Nau (F.)*, Les Arabes Chrétiens de Mesopotamie et de Syrie du VII au VIII Siècle (Paris, 1933).
- Ostrogorsky (G.)*, History of the Byzantine State Translated by J. Hussey (Oxford, 1968).
- Obolensky (D.)*, The Byzantine Commonwealth, Eastern Empire, 500-1452. (London, 1971).
- Pargoire (P.J.)*, L'Eglise Byzantine (527 a 847) (Paris 1923).
- Parker (J.)*, A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times (London, 1949).
- Payne (J.)*, John of Ephesus (Oxford, 1909).
- Philby (H. J. B.)*, The Background of Islam) (Alexanhria, 1947).
- Reinuat (M.)*, Relation Politiques et Commerciale de l'Empire Roman avec l'Asie Orientale (Paris, 1893).
- Ronald (C.)*, "On the early career of Aagthias Scholasticus", Revue, des Etudes Byzantines, Tome XXVIII, (Paris 1970).
- Salaville (S.)*, "La fete du concile de Nicee et les fetes de conciles dans le rit byzantin", Echos d'Orient, Tome XXIV (Paris, 1925).
- Salaville (S.)* "L'Affaire de L'Henotique", Echos d'Orient", Tome XVII, (Paris, 1918).
- Schulz (F.)*, History of Roman Legal Science second edition (Oxford. 1953).
- Shahid (I.)*, "Procopius and Arethas Again", Byzantion, 41, (Buxelles, 1971).
- Stein, (E.)*, Histore du Bas-Empire, Tome II (486-565), (Paris. 1950).
- Tixeront (J.)*, History of Dogomas Translated from the fifth French edition by Herder (H. L.) Vol. III (London, 1916).



- Toumanoff (C.)*, "Iberia on the eve of Bagratid Rule, an Enquiry into the Political History of Eastern Georgia between the VI and IXth century", *Le Museon*, 65, (Belgique, 1952).
- Tsirpanlis (C.N.)*, "John Lydus on the Imperial Administration", *Byzantion*, Tome VLIV, (Bruxelles, 1974).
- Ullmann (W.)* The Growth of papal Government in the Middle Ages (New York, 1962).
- Ullmann (W.)*, A History of Political Thought. The Middle Ages. Penguin Books, Third edition, (London, 1970).
- Ullmann (W.)*, Law and Politics in the Middle Ages (New York, 1975).
- Ure (P.N.)*, Justinian and his Age (London, 1951).
- Vasiliev (A. A.)*, Justin the First, (Combridge, 1950).
- Vasiliev (A.A.)*, History of the Byzantine Empire Vol. I. (Madison. 1964).
- Vasiliev (A.A.)*, "Notes on some Episodes concerning the relations between the Arabs and Byzantine Empire from the Fourth to the Sixth. Century", *Dumbarton Oaks Papers*, 10, (New York, 1956),
- Wenzel (M.)* Finding out about the Byzantines, (London, 1965).
- Walton (F.)*, Historical Introduction to the Roman law. Fourth edition, Revised, (London, 1920).

## (هـ) المصادر العربية والمصرية (\*) :

- ١ - ابن الأثير ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير . الكامل فى التاريخ .
- ٢ - الأزرقي ( ت ٢٢٣هـ ) محمد بن عبد الله أحمد أبو السيد الأزرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، صححها وعلق على حواشيها ووضع فهرسها رشدى الصالح ، ( مكة ١٣٥٢هـ ) .
- ٣ - أغاييوس ( محبوب بن قسطنطين المنجي ) ، أسقف منج ت القرن العاشر الميلادى ، كتاب العنوان ، الجزء الثانى ، ( باريس ١٩٠٩م ) .
- ٤ - البلخى ( ت أواخر القرن الرابع الهجرى ) ، البدء والتاريخ ، الجزء الثالث تحقيق هواركلمان ، ( باريس ١٨٩٩م ) .
- ٥ - الثعالبي ( ٣٥٠ - ٤٢٩هـ ) ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل النيسابورى ، غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ( طهران ، ١٦٩٣ ) .
- ٦ - أبو حنيفة الدينورى ( ت ٢٨٢هـ ) أحمد بن داود ( وهو فارسى الأصل من مدينة دينور فى إقليم همدان ) ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ( مصر ١٩٦٠م ) .
- ٧ - الحيمى الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، تحقيق الدكتور / مراد كامل ، ( القاهرة ١٩٢٧م ) .
- ٨ - ابن خلدون ( ت ٨٠٧هـ ) عبد الرحمن بن خلدون المغربى ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثانى ( بيروت ١٩٦٦م ) .
- ٩ - سعيد بن بطريق ( وهو أفثيشيوس بطريق الملكيين بالاسكندرية ومن رجال القرن العاشر الميلادى ) ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . ( بيروت ١٩٠٥ ) .
- ١٠ - طافور ( بيرو ) ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ترجمة وتقديم الدكتور حسن حبشى ، دار المعارف بمصر ، ( القاهرة ، ١٩٦٨م ) .

(\*) رتب الاعلام بعد تجريد العلم من الفاظ : ابن ، وأبو ، وال .

- ١١ - الطبرى ( ت ٣١٠ هـ ) أبو جعفر بن جرير الطبرى ( تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الثانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ( القاهرة ، ١٩٦١ م ) .
- ١٢ - ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ) ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ( ، المعارف ، تحقيق د. / ثروت عكاشة ( القاهرة ، ١٩٦٠ م ) .
- ١٣ - المسعودى ( ت ٣٤٦ هـ ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزآن ، ( بيروت ، ١٩٦٥ ) .
- ١٤ - ابن المقفع ( ساويرس أسقف الأشمونين ) ، تاريخ بطارقة الكنيسة القبطية فى الاسكندرية ، ( PO Tomus, I, Paris, 1907 ).
- ١٥ - ابن هشام الأنصارى ( ت ٢١٨ هـ ) أبو محمد عبد الملك بن عبد الله ابن هشام الأنصارى ، التيجان فى ملوك حمير ، ( حيدر آباد الدكن ١٣٤٧ هـ ) .
- ١٦ - ابن هشام الأنصارى ، السيرة النبوية ، ( القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ) .
- ١٧ - اليعقوبى ( ت ٢١٧ هـ ) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، الجزء الأول ( بيروت ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ) .

#### ( و ) المراجع العربية والمعرية :

- ١ - أرشيبالد ( لويس ) ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ( ٥٠٠ - ١٥٠٠ م ) . ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة محمد شفيق غربال ، ( القاهرة ، ١٩٦٠ م ) .
- ٢ - أسد رستم ، الروم وصلاتهم بالعرب ، الجزء الأول ، ( بيروت ، ١٩٥٥ م ) .
- ٣ - أغناطيوس يعقوب الثالث ( بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ) ، الشهداء الحميريون فى الوثائق السريانية ( دمشق ١٩٦٦ م ) .
- ٤ - بينز ( نورمان ) ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة د. / حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الطبعة الثانية ، ( القاهرة ١٩٥٧ م ) .

- ٥ - جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الثالث ،  
( بيروت ١٩٦٩ م ) .
- ٦ - جورج فضلو حوراني ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى  
العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب  
بكر ( القاهرة ١٩٥٨ م ) .
- ٧ - جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، الجزء  
الثانى ، ترجمة لويس اسكندر ( القاهرة ١٩٦٩ م ) .
- ٨ - حسن خليفة ، تاريخ النظريات السياسية وتطورها ، الطبعة  
الثانية ، ( القاهرة ، ١٩٣٥ م ) .
- ٩ - حسن شحاته سعفران ، أساطين الفكر السياسى ، والمدارس  
السياسية ، ( القاهرة ، ١٩٥٩ م ) .
- ١٠ - رافت عبد الحميد ( دكتور ) ، الدولة والكنيسة ، الجزء الاول  
( القاهرة ١٩٧٥ م ) ، الجزء الثانى ، ( القاهرة ١٩٨٠ م ) .
- ١١ - السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ( ٣٢٣ - ١٠٨١ م ) ،  
( القاهرة ١٩٦٥ م ) .
- ١٢ - السيد عبد العزيز سالم ، دراسات فى تاريخ العرب ، الجزء  
الأول ، ( القاهرة ١٩٦٧ م ) .
- ١٣ - السيد محمد يوسف ، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم  
العصور الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، مجلة كلية الآداب ،  
جامعة القاهرة ، مجلد ١٥ الجزء الأول ( مايو ١٩٥٣ م ) .
- ١٤ - شفيق شحاته ، نظرية الالتزامات فى القانون الرومانى ، القاهرة  
( ١٩٦٣ م ) .
- ١٥ - شينخو ( الأب شينخو اليسوعى ) ، تاريخ النصرانية ، الجزء الاول ،  
( بيروت ١٩١٢ م ) .
- ١٦ - عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، ( القاهرة ١٩٤٧ م ) .
- ١٧ - عبد المنعم البدر اوى : تاريخ القانون الرومانى ( الاسكندرية  
١٩٤٩ م ) .
- ١٨ - عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرمانى ، الجزء الاول ( الاسكندرية  
١٩٥٤ م ) .

- ١٩ - قاسم عبده قاسم (دكتور) ، أهل الذمة في العصور الوسطى ،  
الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ( القاهرة ١٩٧٩ م ) .
- ٢٠ - كانتور ( نومان . ف ) ، التاريخ الوسيط ، ترجمة وتعليق  
دكتور/ قاسم عبده قاسم ، دار المعارف ، ( القاهرة ، ١٩٨١ م ) .
- ٢١ - كريستنسن ( أرثر ) إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة  
د. د. يحيى الخشاب ( القاهرة ، ١٩٥٧ م ) .
- ٢٢ - محمد معروف الدواليبي ، الوجيز في الحقوق الرومانية وتاريخها ،  
الطبعة الثالثة ، ( دمشق ١٩٥٩ م ) .
- ٢٣ - مشرقى ( صموئيل ) ، مصادر الكتاب المقدس ، ( القاهرة  
١٩٧٣ م ) .
- ٢٤ - نولدكه ( ثيودور ) ، أمراء غسان ، ترجمة بندلي جوزى  
وقنيسطنطين زريق ( بيروت ١٩٣٣ م ) .
- ٢٥ - يوانس ( الأنبا يوانس أسقف الغربية ) الكنيسة في عصر الرسل  
الطبعة الثانية ( القاهرة ، ١٩٧٧ م ) .

# الفهرس

صفحة

٣	تقديم . . . . .
٧	دراسة لأهم مصادر الكتاب . . . . .

## الفصل الأول :

٢٣	أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستننيان . . . . .
----	---

## الفصل الثاني :

٥٩	جوستننيان والامبراطورية العالمية . . . . .
----	--

## الفصل الثالث :

٨١	انجازات جوستننيان الداخلية في الادارة والعمارة والشئون المالية . . . . .
----	---

## الفصل الرابع :

١١٩	جوستننيان والكنيسة العالمية . . . . .
-----	---------------------------------------

## الفصل الخامس :

١٦١	سياسة جوستننيان تجاه شعوب الحدود الشرقية . . . . .
٢٠٧	الخاتمة : . . . . .
٢١١	الملاحق : . . . . .
٢٦١	أباطرة بيزنطة : . . . . .
٢٦٣	قوائم المصادر والمراجع : . . . . .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٨٣/١٩٨٩

ISBN - ٩٧٧ - ٠١ - ٢١٧٨ - ٩





يضم هذا الكتاب بين صفحاته بحثاً علمياً جديداً عن موضوع لم يسبق الكتابة فيه ؛ وهذا الموضوع هو الصراع بين القوتين العظميين في العالم في القرن السادس الميلادي ؛ واعنى بهما الدولة الفارسية والإمبراطورية البيزنطية قبيل ظهور الإسلام ، واهمية العالم العربى الإستراتيجية والإقتصادية والسياسية .

ومن ثم فهو كتاب يحتاجه المعلم في المرحلة الثانوية ويحتاجه الطالب الجامعى فضلاً عن انه لا غنى عنه لاي باحث في التاريخ البيزنطى عامة وفترة قيام الدولة الإسلامية خاصة .

ومن بين محتوياته وجود فصل عن سيطرة الامبراطور على الكنيسة وظهور القيصرية البابوية . وفصل آخر عن الاصول العامة للدبلوماسية الدولية التى صارت المبادئ الاساسية التى تعتمد عليها الاساليب الدبلوماسية في الوقت الحاضر .

كما يحتوى على كم وافر من الوثائق والنصوص التاريخية والمعاهدات التى لم يسبق نشرها والتي غطت فصول الكتاب كلها .